سلسلة النقد
و التحقيق الحق المبين

المجلد ٣-١

على الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة النقد و التحقيق الحق المبين

كاتب:

السيد على الحسينى الميلانى

نشرت فى الطباعة:

الحقايق

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
سلسلة النقد والتحقيق ----- ۹
اشارة ----- ۹
الحق المبين(۱) ----- ۹
كلمة المركز ... ص: ۵ ----- ۹
كلمة لجنة النقد والتحقيق ... ص: ۷ ----- ۹
اشارة ----- ۹
سبب تأليف الكتاب ... ص: ۸ ----- ۱۰
طبعات الكتاب ... ص: ۹ ----- ۱۰
محاولات لتضعيف الكتاب ... ص: ۱۰ ----- ۱۰
ترجمة المؤلّف ... ص: ۱۱ ----- ۱۱
عملنا فى الكتاب ... ص: ۱۲ ----- ۱۱
العقد الثمين فى اثبات وصاية أميرالمومنين ... ص: ۱۵ ----- ۱۲
مقدمة المؤلّف ... ص: ۱۵ ----- ۱۲
المبحث الأول: فى إثبات مطلق الوصية منه صلّى اللّه عليه وآله ... ص: ۲۳ ----- ۱۴
المبحث الثانى: فى إثبات الوصية لعلى عليه السلام ... ص: ۳۳ ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
[الحديث الأوّل ...] ص: ۳۳ ----- ۱۷
[الحديث الثانى ...] ص: ۳۳ ----- ۱۷
[الحديث الثالث ...] ص: ۳۴ ----- ۱۷
[الحديث الرابع ...] ص: ۳۴ ----- ۱۷
[الحديث الخامس ...] ص: ۳۵ ----- ۱۸
[الحديث السادس ...] ص: ۳۶ ----- ۱۸

[الحدیث السابع ...] ص: ۳۶ ---- ۱۸
[الحدیث الثامن ...] ص: ۳۶ ---- ۱۹
[الحدیث التاسع ...] ص: ۳۷ ---- ۱۹
[الحدیث العاشر ...] ص: ۳۷ ---- ۱۹
[الحدیث الحادی عشر ...] ص: ۳۸ ---- ۱۹
[الحدیث الثانی عشر ...] ص: ۳۸ ---- ۲۰
[الحدیث الثالث عشر ...] ص: ۳۸ ---- ۲۰
الحق المبین فی تخریج أحادیث العقد الثمین ... ص: ۴۵ ---- ۲۱
مقدمات البحث وهی أمور ... ص: ۴۵ ---- ۲۱
اشارة ---- ۲۱
الأمر الأول ... ص: ۴۵ ---- ۲۱
الأمر الثانی ... ص: ۴۷ ---- ۲۲
الأمر الثالث ... ص: ۴۹ ---- ۲۳
الأمر الرابع ... ص: ۵۷ ---- ۲۶
الأمر الخامس ... ص: ۵۹ ---- ۲۷
الحدیثان الأوّل والثانی ... ص: ۶۲ ---- ۲۸
الحدیث الثالث ... ص: ۷۲ ---- ۳۲
الحدیث الرابع ... ص: ۸۱ ---- ۳۶
اشارة ---- ۳۷
تصحیح هذا النصّ ...: ص: ۸۵ ---- ۳۸
الجهة الأُولی: فی متن الحدیث ورواته ... ص: ۸۶ ---- ۳۹
ویضاف إلی جهة السند ...: ص: ۹۱ ---- ۴۱
الجهة الثانیة: فی النظر فی کلام ابن تیمیّة ...: ص: ۹۲ ---- ۴۱
الحدیث الخامس ... ص: ۹۶ ---- ۴۳

الحدیث السادس ... ص: ۹۹ ---- ۴۴
الحدیث السابع ... ص: ۱۰۳ ---- ۴۶
الحدیث الثامن ... ص: ۱۰۵ ---- ۴۷
الحدیث التاسع ... ص: ۱۰۹ ---- ۴۹
الحدیث العاشر ... ص: ۱۱۱ ---- ۵۰
الحدیث الحادی عشر ... ص: ۱۱۳ ---- ۵۱
الحدیث الثانی عشر ... ص: ۱۱۵ ---- ۵۲
المحتویات ... ص: ۱۲۴ ---- ۵۵
المجالس الفاخرة(۲) ---- ۵۵
کلمة المرکز ... ص: ۱۲۴ ---- ۵۵
کلمة لجنة النقد والتحقیق ... ص: ۷ ---- ۵۶
مقدمةآیة اللّه السیّد نورالدین المیلانی رحمه اللّه «۱ ...» ص: ۹ ---- ۵۶
مقدّمة: المجالس الفاخرة فی مآتم العترة الطاهرة ... ص: ۲۳ ---- ۶۰
اشارة ---- ۶۰
کلمة المؤلّف ... ص: ۲۳ ---- ۶۰
المطلب الأول فی البکاء ... ص: ۲۹ ---- ۶۱
فی البکاء ... ص: ۲۹ ---- ۶۲
المطلب الثانی: فی رثاء المیّت بالقریض ... ص: ۴۱ ---- ۶۶
فی رثاء المیّت ... ص: ۴۱ ---- ۶۶
المطلب الثالث: تلاوة الأحادیث المشتملة علی مناقب المیت ومصائبه ... ص: ۴۹ ---- ۶۸
تلاوة الأحادیث المشتملة علی مناقب المیت ومصائبه ... ص: ۴۹ ---- ۶۸
المطلب الرابع: فی الجلوس حزناً علی الموتی ... ص: ۵۵ ---- ۶۹
فی الجلوس حزناً علی الموتی ... ص: ۵۵ ---- ۷۰
المطلب الخامس: فی الإنفاق عن المیت ... ص: ۶۱ ---- ۷۱

فی الإنفاق عن المیت ... ص: ۶۱ ---- ۷۱
فصل: فی مآتمنا المختصّة بسیّد الشهداء علیه السّلام ... ص: ۶۷ ---- ۷۲
فصل: فلسفة مآتمنا المختصّة بأهل البیت علیهم السّلام ... ص: ۱۰۱ ---- ۸۶
المحتویات ... ص: ۱۴۲ ---- ۱۰۲
تفسیر سورتی الجمعة والتغابن(۳) ---- ۱۰۳
کلمة المرکز ... ص: ۵ ---- ۱۰۳
کلمة لجنة النقد والتحقیق ... ص: ۷ ---- ۱۰۳
مقدّمة الطبعة الأولی ... ص: ۹ ---- ۱۰۳
تفسیر سورة الجمعة ... ص: ۱۵ ---- ۱۰۵
سورة الجمعة ... ص: ۱۵ ---- ۱۰۵
تفسیر سورة التغابن ... ص: ۱۶۹ ---- ۱۶۶
«سورة التّغابن ... ص: ۱۶۹ ---- ۱۶۶
الکتاب القادم ...: ص: ۲۳۰ ---- ۱۹۰
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۹۰

سلسلة النقد والتحقيق

اشارة

نام كتاب: سلسلة النقد والتحقيق

نويسنده: حسينى ميلانى، على

موضوع: عقائد

زبان: عربى

تعداد جلد: ۳

ناشر: الحقائق

مكان چاپ: قم

الحق المبين(۱)

كلمة المركز ... ص: ۵

الحمد للّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرّر المركز تشكيل لجنةٍ تقوم- بإشراف وتوجيه من سيّدنا الفقيه المحقّق آية اللّه السيد على الميلانى- دام ظلّه- بنقد بعض البحوث المنتشرة من المعاصرين وتحقيق بعض الكتب التراثيّة الصغيرة فى الحجم والكبيرة فى الفائدة، فى مختلف العلوم والمسائل الاسلاميّة، وإخراجها فى سلسلة تحت عنوان (سلسلة النقد والتحقيق) خدمةً للعلم والدين، وإحقاقاً للحق المبين، وإحياءً لآثار العلماء المحقّقين وتوفيراً للمصادر النافعة للباحثين، سائلين المولى الكريم المفضال أن يتقبّل منّا هذا العمل وسائر الأعمال.

مركز الحقائق الإسلامية

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷

كلمة لجنة النقد والتحقيق ... ص: ۷

اشارة

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فإنّ وصاية أمير المؤمنين عليه السلام لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ممّا وردت فيه الأحاديث المتكثّرة فى كتب الفرق الإسلاميّة، وشهدت به الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين، والأشعار المرويّة عنهم وعن سائرالعلماء والشعراء إلى يومنا هذا.

وقد عُنِيَ جماعة من علماء المسلمين بجمع الأدلّة والشواهد على ذلك وتأليف كتب مفردةٍ فيه.

ولعلّ من خيرة الكتب فى الباب هو كتاب (العقد الثمين فى إثبات وصاية أمير المؤمنين) تأليف الحافظ القاضى محمد بن على الشّوكانى الصنعانى المتوفّى سنة ۱۲۵۰، فقد أورد عدّة من الأحاديث فى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۸

الموضوع عن جمعٍ من صحابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وانتقد ما روى عن بعضهم من إنكار الوصاية بالنقد العلمى الرصين.

سبب تأليف الكتاب ... ص: ۸

لقد ذكر الحافظ الشوكانى فى مقدّمة الكتاب السّبب فى تأليفه له فقال: «سألنى بعض آل الرسول صلّى اللَّه عليه وآله الجامعين بين فضيلتى العلم والشرف من سكّان المدينة المعمورة بالعلوم، مدينة زبيد، عن إنكار عائشة ام المؤمنين زوجة النبى صلّى اللَّه عليه وآله لصدور الوصيّة من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، لمّآ ذكروا عندها أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام كان وصيّاً لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله. وهذا ثابت من قولها فى الصحيحين والنسائى من طريق الأسود ابن يزيد بلفظ: «متى أوصى إليه؟..»

ثم قدَّم قبل الورود فى البحث مطالب مفيدة جدّاً، وأشار إلى قواعد علميّة نافعة للباحثين، وتعرّض لبعض حالات عائشة زوجة النبى (صلّى اللَّه عليه وآله) وما نقل عنها فى المسائل المختلفة.

ثم جعل الكتاب فى مبحثين:

الأول: فى إثبات مطلق الوصيّة منه صلّى اللَّه عليه وآله.

والثانى: فى إثبات مقيّدها، أى كونها إلى على عليه السّلام.

فأورد فىالمبحث الثانى طائفةً من الأحاديث عن أشهر كتب أهل

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹

السنّة فى الحديث، رواها الأئمة الأعلام بأسانيدهم إلى الصحابة عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، فيها الدلالة الواضحة على وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام.

ولايخفى أنه لم يكن بصدد الاستقصاء لجميع الأحاديث الواردة فى الباب، وإلّا فإنها أكثر وأكثر، بل لقد أشتهر بين الصّحابة والتابعين فمن بعدهم «الوصىّ» لقباً لعلىٍ عليه السّلام، ويشهد بذلك نفس الأحاديث فى الصحيحين فى إنكار عائشة الوصيّة إليه ... هذا، مضافاً الى الأشعار المرويّة فى الكتب المعتمدة عن الصحابة وغيرهم المشتملة على هذاالقب للإمام عليه السلام، وحتى اللغويون يذكرون ذلك فى كتبهم اللغويّة فى مادة «وصى».

طبعات الكتاب ... ص: ۹

وقد طُبِعَ هذا الكتاب لأوّل مرة فى صنعاء اليمن عام ۱۴۱۱ من النسخة المخطوطة الموجودة فى الجامع الكبير، نشر دار التراث.

ثم طبع مرّةً اخرى، سنة ۱۴۱۳ هجريّة، حقّقه وخرّج أحاديثه، أبو هارون عيسى بن يحيى بن معافى شريف، نشر مكتبة الصحابة فى جدّة ومكتبة التابعين بالقاهرة.

وطبع ثالثةً، سنة ۱۴۱۹ هجرية، بتحقيق عدنان السيد على الحسينى، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية. قم- إيران.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۰

وطبع رابعةً، سنة ۱۴۲۵ هجرية، بتحقيق فاضل الفراتى، نشر مكتبة هيئة الأمين بالكويت.

محاولات لتضعيف الكتاب ... ص: ۱۰

هذا، وقد حاول بعض الناس الطعن فى هذا الكتاب بشتّى الوجوه، فكان أوّلها إنكار أن يكون من تأليف الحافظ القاضى الشوكانى.

لكنّ الكتاب مطبوع فى اليمن عن نسخةٍ موجودة فى الجامع الكبير، وقد نسب إلى مولّفه فى كتاب (هديّة العارفين فى أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين) وفى (ذيل كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون) ونسبه إليه بكلّ صراحةٍ ووضوح: مؤرّخ اليمن محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسينى الصنعانى المتوفّى سنة ۱۳۸۱ صاحب كتاب (نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر).

ثم قالوا: إنّ الشوكانى قد ألّف هذا الكتاب فى أوّل أمره، فلمّا عرف السنّة ووضّحها على منهج السّلف عدل عمّا ذكر فيه وانتهى إليه.

لكنّ القاضى الشوكانى قد ألّف هذا الكتاب- كما عن نسخته الأصليّة- بسنة ۱۲۰۵، أى ألّفه وعمره ۳۲ سنة.

فهناك انبروا للطّعن فى أسانيد الأحاديث التى استدلّ بها فى المبحث الثانى، استناداً- فى الأغلب- إلى آراء أبى الفرج ابن الجوزى فى

(كتاب الموضوعات) ومَنْ حذا حذوه.

كلّ ذلك- كما صرّحوا- لئلّا يغترّ الشيعة الاثنا عشرية بهذا الكتاب ولئلّا يتّخذوه ذريعةً للطّعن فى عائشة ومَنْ أنكر الوصاية لأمير المؤمنين.

لكنّ تلك المحاولات لا تجدى أصحابها نفعاً، لأنّ أهل العلم يستمعون الأقوال وينظرون إليها نظرةَ الباحث المحقّق، فما وجدوه حقّاً أخذوا به، غير مبالين بمثل تلك المحاولات، لا سيّما وصاحب الكتاب من كبار العلماء فى الحديث والفقه وسائر العلوم.

ترجمة المؤلِّف ... ص: ۱۱

وهو الحافظ الفقيه المحدّث محمد بن على بن محمد بن عبداللّه الشوكانى ثم الصنعانى.

ولد بقرية شوكان من خولان العالية، فى ذى القعدة الحرام سنة ۱۱۷۳، وكان فقيهاً مجتهداً، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، وكان يرى حرمة التقليد، له ۱۱۴ مؤلّفاً فى مختلف العلوم، من أشهرها:

* نيل الأوطار (فى الفقه).

* فتح القدير (تفسير للقرآن الكريم).

* الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة.

* إرشاد الفحول (فى علم الاصول).

* إتحاف الأكابر بأسناد الدفاتر. وهو ثبت مرويّاته عن شيوخه.

* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السّابع (تراجم العلماء).

* درّ السحابة فى فضائل القرابة والصحابة.

وتولّى القضاء بمدينة صنعاء.

وتوفّى بها فى جمادى الآخرة، سنة ۱۲۵۰.

وتوجد ترجمته مفصّلة بقلمه فى البدر الطالع ۲/ ۲۱۴- ۲۲۵.

عملنا فى الكتاب ... ص: ۱۲

وقد رأينا من الواجب علينا نشر هذا الكتاب فى طبعةٍ محقّقةٍ، ذكرنا فيها مصادر الأحاديث، وعملنا على تصحيح أسانيدها على ضوء كتب أهل السنّة المعتمدة، وبالاستناد إلى كلمات كبار علمائهم فى الجرح والتعديل، خدمةً للدّين الحنيف، والباحثين المحقّقين بإنصاف، وقد ألحقنا ذلك بمتن الكتاب حسب تسلسل الأحاديث المذكورة فى المبحث الثانى منه.

وقد سمّينا هذا العمل ب (الحق المبين فى تخريج أحاديث العقد الثمين).

هذا، ومن الواجب علينا أنْ نذكّر بأنا قد استفدنا كثيراً فى تحقيق الكتاب وتخريج أحاديثه من مؤلَّفات سيدنا الاستاذ الفقيه المحقق آية

اللّه الميلانى وإرشاداته وتوجيهاته.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۳

واللّه نسأل أن يحشرنا فى زمرةالعاملين بالسنّة النبويّة الثابتة ويتقبّل أعمالنا بقبول حسن، إنّه رؤوف رحيم.

لجنة التحقيق

بمركز الحقائق الاسلامية

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۵

العقد الثمين فى اثبات وصاية أميرالمومنين ... ص: ۱۵

مقدمة المؤلّف ... ص: ۱۵

أحمدك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، وأُصلّى وأُسلّم على رسولك وآله الأكرمين.

وبعد:

فإنه سألنى بعض آل الرسول صلّى اللّه عليه وآله الجامعين بين فضيلة العلم والشرف من سكان المدينة المعمورة بالعلوم، مدينة زبيد «۱» عن إنكار عائشة أم المؤمنين زوجة النبى صلّى اللّه عليه وآله لصدور الوصيّة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لما ذكروا عندها أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان وصياً لرسول اللّه صلّى اللّه عليه

---

(۱) زبيد بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة التحتانية بعدها ياء مثناة تحتانية ثم دال مهملة: مدينة مشهورة على طريق الحديدة وتعز باليمن، تبعد عن الحديدة جنوباً بقدر مائة كيلو متراً أو أكثر بقليل، وهى كانت مشهورة من قبل بمدينة العلم والعلماء.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۶

وآله وهذا ثابت من قولها فى الصحيحين، والنسائى من طريق الأسود بن يزيد بلفظ: متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته إلى صدرى فدعا بالطست، فلقد انخنث فى حجرى وما شعرت أنّه مات، فمتى أوصى إليه؟. وفى روايةٍ عنها أنّها أنكرت الوصية مطلقاً ولم تقيد بكونها إلى على عليه السلام فقالت: ومتى أوصى، وقد مات بين سحرى ونحرى «۱» ولنقدم قبل الشروع فى الجواب مقدمة ينتفعُ بها السائل.

فنقول: ينبغى أنْ يعلم أولًا: إنّ قول الصحابى ليس بحجة، وأن المثبت أولى من النافى «۲»، وأنّ مَنْ علم حجة على مَنْ لم يعلم، وأنّ الموقوف لا يعارض المرفوع على فرض حجيته.

وهذه الأمور قد قررت فى الأصول. ونيطت بأدلة تقصر عن نقضها أيدى الفحول. وان تبالغت فى الطول.

ويعلم ثانياً: أنّ أمَّ المومنين كانت تسارع إلى ردّ ما خالف اجتهادها، وتبالغ فى الإنكار على راويه، كما يقع مثل ذلك لكثير من المجتهدين.

---

(۱) الحديث أخرجه البخارى (فتح البارى ۵/ ۳۵۶) وأخرجه أيضاً البخارى (فتح البارى ۸/ ۱۴۸)، ومسلم ۳/ ۱۲۵۷، والترمذى فى الشمائل، والنسائى ۱/ ۳۲ و ۶/ ۲۴۱ وأحمد ۱/ ۳۹۹، ۲۷۰ و ۲۷۴.

(۲) أى مقدم عليه.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۷

وتتمسك تارة بعموم لا- يعارض ذلك المروى، كتغليطها لعمر لما روى مخاطبته صلّى اللَّه عليه وآله لأهل قليب بدر، وقوله عند ذلك: يا رسول اللَّه، إنما تخاطب أمواتاً، فقال له: «ما أنتم بأسمع منهم» فردّت هذه الرواية عائشة بعد موت عمر، وتمسكت بقوله تعالى: «وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» «۱»

. وهذا التمسك غير صالح لرد هذه الرواية من مثل هذا الصحابى، وغاية ما فيه بعد تسليم صدقه على أهل القليب أنه عام وحديث إسماعهم خاص، والخاص مقدم على العام، وتخصيص عمومات القرآن بما صح من آحاد السنة هو مذهب الجمهور «۲».

وتارة تتمسك بما تحفظه، كقولها لما بلغها رواية عمر عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بلفظ: «إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله» فقالت: يرحم اللَّه عمر، ما حدّث رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أنّ الميت ليعذب ببكاء أهله ولكن قال: «إنّ اللَّه ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه». ثم قالت: حسبكم القرآن: «وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» أخرجه الشيخان والنسائى. وفى روايةٍ أنه ذكر لها أنّ ابن عمر يقول: إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، فقالت: يغفر اللَّه لأبى عبدالرحمن، أما إنه لم

---

(۱) سورة فاطر: الآية ۲۲ «وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» وما نافية والباء صلة.

(۲) قصة أصحاب القليب وقوله صلّى اللَّه عليه وآله: «وما أنت بأسمع منهم» فى صحيح البخارى (فتح البارى ۷/ ۳۰۱).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۸

يكذب ولكنه نسى أو خطأ، إنما مرَّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله على يهودية يُبكى عليها. فقال: «إنها ليبكى عليها وإنها لتعذب فى قبرها».

أخرجها الشيخان ومالك والترمذى والنسائى «۱»، وقد ثبت هذا الصحيح فى صحيح البخارى وغيره من طريق المغيرة بلفظ: «مَنْ ينح عليه يعذب بما نيح عليه» «۲».

فهذا الحديث قد ثبت عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله من طريق ثلاثة من الصحابة، ثم إنّ عائشة ردّتْ ذلك متمسكة بما تحفظه وبعموم القرآن.

وأنت تعلم أنّ الزيادة مقبولة بالإجماع إنْ وقعت غير منافية، والزيادة هنا فى رواية عمر وابنه والمغيرة؛ لأنها متناولة بعمومها للميت من المسلمين، ولم تجعل عائشة روايتها مخصصة للعموم، أو مقيدة

---

(۱) الحديث أخرجه البخارى (فتح البارى ۳/ ۱۵۱- ۱۵۲) فى قصة طويلة وفيها إنكارعائشة على عمر بعد أن مات أو تغليظها له بقولها: رحم اللَّه عمر، واللَّه ما حدث رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله «إن اللَّه ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه.

(۲) الحديث أخرجه البخارى (فتح البارى ۳/ ۱۶۰) فقال: باب ما يكره من النياحة على الميت، وقال عمر دعهن يبكين على أبى سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة- والنقع- التراب على الرأس- واللقلقة الصوت. وساقه بسنده إلى المغيرة قال: سمعت النبى صلّى اللَّه عليه وآله يقول: «إن كذباً علىّ ليس ككذب على أحد، من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۹

للإطلاق حتى يكون قولها مقبولًا من وجه، بل صرحت بخطأ الراوى أو نسيانه، وجزمت بأن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لم يقل ذلك. وأما تمسكها بقول اللَّه تعالى: «وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» فهو لا يعارض الحديث؛ لأنه عام والحديث خاص.

ولهذه الواقعات نظائر بينها وبين جماعة من الصحابة كأبى سعيد، وابن عباس وغيرهما ومن جملتها الواقعة المسؤول عنها أعنى إنكارها الوصية منه صلّى اللَّه عليه وآله إلى على عليه السلام وقد وافقها فى عدم وقوع مطلقها منه صلّى اللَّه عليه وآله غير مقيّد بكونها إلى على عليه السلام ابن أبى أوفى، فأخرج عنه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، من طريق طلحة بن مصرف قال: سألت ابن أبى

أوفى هل أوصى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله؟ قال: لا. قلت: فكيف كُتِبَ على الناس الوصية وأمر بها، ولم يوصِ. قال: أوصى بكتاب اللَّه تعالى «۱».

وأنت تعلم أنّ قوله: أوصى بكتاب اللَّه تعالى لا يتم معه قوله: لا فى أول الحديث؛ لأنّ صدق اسم الوصية لا يعتبر فيه أن يكون بأمور متعددة حتى يمتنع صدقه على الأمر الواحد لا لغةً ولا شرعاً ولا عرفاً؛ للقطع بأنّ مَنْ أوصى بأمر واحد يقال له: موصى لغةً وشرعاً وعرفاً، فلابدّ من

---

(۱) الحديث أخرجه البخارى (فتح البارى ۵/ ۳۵۶، ۸/ ۱۴۸، ۹/ ۶۷)، ومسلم ۳/ ۱۲۵۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۰

تأويل قوله: لا، وإلّا لم يصح قوله: أوصى بكتاب اللَّه تعالى، وقد تأوّله بعضهم بأنّه أراد أنه لم يوص بالثلث كما فعله غيره، وهو تأويل حسن، لسلامة كلامه معه من التناقض «۱».

إذا عرفت هذه المقدمة. فالجواب على أصل السؤال ينحصر فى بحثين:

البحث الأول: فى إثبات مطلق الوصية منه صلّى اللَّه عليه وآله.

والبحث الثانى: فى إثبات مقيّدها، أعنى كونها إلى على عليه السلام.

---

(۱) أنظر: فتح البارى: ۵/ ۳۶۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۳

المبحث الأول: فى إثبات مطلق الوصية منه صلّى اللَّه عليه وآله ... ص: ۲۳

المبحث الأول: فى إثبات مطلق الوصية منه صلّى اللَّه عليه وآله

أما البحث الأول:

فأخرج مسلم من حديث ابن عباس أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أوصى بثلاث: أن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزهم. الحديث (۱).

وفى حديث أنس عند النسائى وأحمد، وابن سعد واللفظ له:

كانت غاية وصية رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله حين حضره الموت:

«الصلاة وما ملكت أيمانكم» «۱». وله شاهد من حديث على عند أبى داود وابن ماجة زاد: «أدّوا الزكاة بعد الصلاة».

---

(۱)

الحديث أخرجه أحمد ۳/ ۱۱۷، والنسائى فى الكبرى ۴/ ۲۵۸ فى كتاب الوفاة، وابن ماجة ۲/ ۹۰۰- ۹۰۱. وقال البوصيرى فى زوائد ابن ماجه: إسناده حسن. أ. ه. وأخرجه أيضاً ابن سعد ۲/ ۲۵۳، وابن حبان ۸/ ۲۰۵، والحاكم ۳/ ۵۷، والخطيب البغدادى ۴/ ۲۳۹- ۲۴۰ فى كتابه تاريخ بغداد كل هؤلاء من طريق سليمان التيمى.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۴

وأخرجه أحمد «۱» وأخرج سيف بن عمر فى الفتوح من طريق ابن أبى مليكة، عن عائشة أنّ النبى صلّى اللَّه عليه وآله حذّر من الفتن فى مرض موته، وأمر بلزوم الجماعة والطاعة.

وأخرج الواقدى من مرسل العلاء بن عبدالرحمن أنه صلّى اللَّه عليه وآله أوصى فاطمة: «قولى إذا متّ إنا للَّه وإنا إليه راجعون».

وأخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث عبدالرحمن بن عوف قالوا: يا رسول اللَّه أوصنا- يعنى فى مرض موته- قال: «أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وأبنائهم من بعدهم» «۲». وقال:

لا يروى عن عبدالرحمن إلّابهذا الإسناد، تفرّد به عتيق بن يعقوب وفيه

---

(۱) حديث على عليه السلام لفظه: «كان آخر كلام النبى صلّى اللَّه عليه وآله: «الصلاة ومامَلكت أيمانكم» الذى اعتبره المصنف شاهداً.

(۲) الحديث أخرجه البزار ۳/ ۲۹۲. فقال: ثنا بشر ابن خالد العسكرى ثنا جعفر بن عونعن حميد بن القاسم بن حميد بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عن عبدالرحمن بن عوف قال: لما حضر النبى صلّى اللَّه عليه وآله الوفاة. قالوا: يا رسول اللَّه أوصنا. قال: «أوصيكم بالسابقين الأولين وبأبناءهم من بعدهم، وبأبناءهم من بعدهم، وبأبناءهم من بعدهم إلا تفعلوا لا يقبل منكم صرف ولا عدل» قال البزار: لم يروه إلا عبدالرحمن بن عوف ولا له إلا هذا الإسناد، ولم نسمعه إلا من بشر. قلت: وفيه من لا يعرف حاله كما قال المصنف نقلًا عن الحافظ فى الفتح ۵/ ۳۶۳. والحديث أيضاً فى معجم المعجمين رقم ۳۹۶۶، والهيثمى فى المجمع ۱۰/ ۱۷ قال: رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار ورجالهما ثقات.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۵

مَن لا يعرف حاله.

وفى سنن ابن ماجة من حديث على قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «إذا أنا متُّ فاغسلونى بسبع قرب من بئر أريس» «۱». وكانت بقباء.

وفى مسند البزار، ومستدرك الحاكم بسند ضعيف أنه صلّى اللَّه عليه وآله أوصى أن يصلى عليه أرسالًا بغير إمام.

وأخرج أحمد، وابن سعد أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله سأل عائشة عن الذهيبة فى مرض موته فقال: «ما فعلت الذهيبة؟» قالت: هى عندى. قال: «أنفقيها».

وأخرج ابن سعد من وجه آخر أنه قال: «ابعثى بها إلى على ليتصدق بها» «۲».

وفى المغازى لابن إسحاق قال: لم يوص رسول اللَّه صلّى اللَّه

---

(۱) الحديث: «إذا أنا مت فاغسلونى ... الخ»؛ أخرجه ابن ماجة ۱/ ۴۷۱.

(۲) الحديث أخرجه أحمد ۶/ ۴۹، ۱۸۲ وابن سعد ۲/ ۲۳۸ وفى موارد الظمآن حديث ۲۱۴۲ وزيادة: «ابعثى بها إلى على ليتصدق بها» أخرجها ابن سعد ۲/ ۲۳۹. والحديث صحيح بمجموع طرقه، وأما الزيادة فهذا سندها. قال ابن سعد ۲/ ۲۳۹ أخبرنا سعيد بن منصور أخبرنا يعقوب بن عبدالرحمن عن أبى حازم عن سهل بن سعد...

فذكره وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الصحيح، وكلهم ثقات. أنظر: مجمع الزوائد ۳/ ۱۲۴، والترغيب والترهيب للمنذرى رقم ۱۳۵۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۶

عليه وآله عند موته إلّابثلاث: لكلّ من الداريين والرَّهاويين والأشعريين بخادم ومائة وسق من خيبر وأن لا يترك فى جزيرة العرب دينان وأن ينفذ بعث أسامة «۱».

وقد سبق فى حديث ابن أبى أوفى أنه صلّى اللَّه عليه وآله أوصى بالقرآن.

وثبت فى الأمهات وغيرها أنه صلّى اللَّه عليه وآله قال: «استوصوا بالأنصار خيراً، استوصوا بالنساء خيراً، أخرجوا اليهود من جزيرة

العرب».

ونحو هذه الأمور التى كلّ واحد منها لو انفرد لم يصح أنْ يقال أن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لم يوصِ.

وثبت فى الصحيح من حديث أبى موسى أوصانى خليلى بثلاث «۲».

ولعل مَنْ أنكر ذلك أراد أنه صلّى اللَّه عليه وآله لم يوص على الوجه الذى يقع من غيره من تحرير أمور فى مكتوب، كما أرشد إلى

---

(۱) الحديث قال ابن إسحاق فى المغازى ۳/ ۴۸۹، ثنا صالح بن كيسان عن الزهرى عن عبيداللَّه بن عبداللَّه ابن عتبة.

(۲) أخرجه البخارى (فتح البارى ۳/ ۵۶، ۴/ ۲۲۶)، ومسلم ۱/ ۴۹۹ عن أبى هريرة، ومسلم ۱/ ۴۹۹ عن أبى الدرداء.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۷

ذلك بقوله: «ما حق أمرىء مسلم له شىء يريد أنْ يُوصى فيه يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده». أخرجه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر «۱»، ولم يلتفت إلى أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قد نجز أموره قبل دنو الموت، وكيف يظن برسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أن يترك الحالة الفضلى؟. أعنى تقديم التنجيز قبل هجوم الموت وبلوغها الحلقوم، وقد أرشد إلى ذلك، وكرّر وحذّر وهو أجدر الناس بالأخذ بما ندب إليه. وبرهان ذلك أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قد كان سبّلَ أرضه. ذكره النووى، وأما السّلاح والبغلة والأثاث وسائر المنقولات، فقد أخبر أنّها صدقة كما ثبت عنه فى الصحيح. وقال فى الذهبية التى لم يترك سواها ما قال كما سلف.

إذا عرفت هذا، علمت أنّه لم يبقَ من أمور رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله عند موته يكون عصمة لها عن الضلالة وجنة تدرأ عنها ما تسبب من المصائب الناشبة عن اختلاف الأقوال فلم يجب إلى ذلك وحيل بينه وبين ما هنالك، ولهذا قال الحبر ابن عباس: الرزية كلّ الرزية،

---

(۱) الحديث أخرجه البخارى (فتح البارى ۵/ ۳۵۵)، عن ابن عمر أن رسول اللَّه صلّى اللَّهعليه وآله قال: «ما حق امرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلّاووصيته مكتوبة عنده» تابعه محمد بن مسلم عن عمرو عن ابن عمر عن النبى صلّى اللَّه عليه وآله وأخرجه مسلم ۳/ ۱۲۴۹، ۱۲۵۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۲۸

ما حال بين رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وبين كتابه. كما ثبت ذلك عنه فى الصحيح البخارى وغيره «۱».

فإن قلتَ: لا شك أنّ فى هذه الأدلة التى سقتها كفاية وأنّ المطلوب يثبت بدون هذا، وإن عدم علم عائشة بالوصية لا يستلزم عدمها، ونفيها لا ينافى الوقوع، وغاية ما فى كلامها الإخبار بعدم علمها، وقد علم غيرها، ومَنْ علم حجة على مَنْ لم يعلم، أو نفى الوصية حال الموت لا- يلزم من نفيها فى الوقت الخاص نفيها فى كل وقت، إلّاأنّ ثمة إشكالًا وهو ما ثبت أنه صلّى اللَّه عليه وآله مات وعليه دين ليهودى آصع من شعير «۲»، فكيف ولم يوصِ به كما أوصى بسائر تركته.

---

(۱) الحديث أخرجه البخارى ۱/ ۲۰۸، ۲/ ۲۷۰، ۸/ ۱۳۲، ۱۰/ ۱۲۶، ۱۳/ ۳۳۶، فتح، ومسلم ۳/ ۱۲۵۹، وأحمد ۱/ ۳۲۴- ۳۲۵، ۳۳۶، عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبى صلّى اللَّه عليه وآله وجعه قال: «ائتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» قال عمر: إنّ النبى صلّى اللَّه عليه وآله غلبه الوجع وعندنا كتاب اللَّه حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط. قال: قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع» فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وبين كتابه.

(۲) حديث: «رهن الدرع» ... جاء عن عائشة وابن عباس وأنس وأسماء بنت يزيد، أما عن عائشة فأخرجه البخارى ۴/ ۳۰۲، ۵/ ۱۴۲،

۶/ ۹۹، ۸/ ۱۵۱، فتح، وأحمد ۶/ ۲۳۷، والنسائی ۷/ ۲۸۸، ۳۰۳، وابن ماجة ۲/ ۸۱۵، وعن أنس أخرجه البخاری أیضاً ۴/ ۳۰۲، ۵/ ۱۴۰، فتح، والترمذی ۳/ ۵۱۹- ۵۲۰، والنسائی ۷/ ۲۸۸، وابن ماجة ۲/ ۸۱۵.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۲۹

قلت: قد کان صلّی اللَّه علیه وآله رهن عند الیهودی فی تلک الآصع درعه، والرهن حجة للیهودی کافیة فی ثبوت الدین، وقبول قوله لا یحتاج معه إلی الوصیة. کما قال تعالی فی آیة الدین: «وَلَمْ تَجِدُوا کاتِبًا فَرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ» «۱»

، علی أنّ علم ذلک لم یکن مختصاً به بل قد شارکه فیه بعض الصحابة، ولهذا أخبرت به عائشة، ولیس المطلوب من الوصیة للشارع إلّاالتعریف بما علی المیت من حقوق اللَّه، وحقوق الآدمیین وقد حصل ههنا.

---

(۱) سورة البقرة: الآیة ۲۸۳.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۳۳

المبحث الثانی: فی إثبات الوصیة لعلی علیه السلام ... ص: ۳۳

اشارة

المبحث الثانی: فی إثبات الوصیة لعلی رضی اللَّه عنه

وأما البحث الثانی:

[الحدیث الأوّل ...] ص: ۳۳

فأخرج أحمد بن حنبل عن أنس أنّ النبی صلّی اللَّه علیه وآله قال:

«وصیی ووارثی ومنجز موعدی علی بن أبی طالب».

[الحدیث الثانی ...] ص: ۳۳

وأخرج أحمد من حدیثه قال: قلنا لسلمان سل رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله مَنْ وصیه؟ قال سلمان: یا رسول اللَّه مَنْ وصیک؟ قال: «یا سلمان مَنْ کان وصی موسی؟» قال: یوشع بن نون. قال: «فإنّ وصیی ووارثی ویقضی دینی وینجز موعدی علی بن أبی طالب» «۱».

---

(۱) فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل ۲/ ۶۱۵، برقم ۱۰۵۲، ط جامعة أم القری، المملکة العربیة السعودیة، لسنة ۱۹۸۳ م. وسیأتی الکلام مفصلًا حول أسانید الحدیث ورواته ودفع الشبهات عنه فی تخریج أحادیث کتاب العقد الثمین تحت الحدیث الأوّل والثانی.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۳۴

[الحدیث الثالث ...] ص: ۳۴

وأخرج الحافظ أبو القاسم البغوی فی معجم الصحابة عن بریدة قال: قال رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله: «لکلّ نبیٍّ وصی ووارث، وإنّ علیاً وصیی ووارثی» «۱».

[الحدیث الرابع ...] ص: ۳۴

وأخرج ابن جرير عن على عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «يا بنى عبدالمطلب إنى قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة، وقد أمرنى اللَّه أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم» قال: فأحجم القوم عنها جميعاً.

وقلت: أنا يا نبى اللَّه أكون وزيرك. فأخذ برقبتى ثم قال: «هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» «۲».

---

(۱) معجم الصحابة، للبغوى ۴/ ۳۶۳ وعنه فى الرياض النضرة ۳/ ۱۳۸ أخرجه ابن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۳۹۱- ۳۹۲ وابن الجوزى عن طريق البغوى فى الموضوعات ۱/ ۳۷۶، ح ۲۵ كلاهما مسنداً، كما سيأتى فى التخريج.

(۲) تفسير الطبرى المسمى ب (جامع البيان فى تفسير القرآن) ۱۹/ ۷۴، ط بيروت دار المعرفة، وأيضاً أخرجه فى تاريخه المسمى بتاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبرى) ۲/ ۳۲۰- ۳۲۲، بطرقٍ مختلفة. وله مصادر كثيرة جداً، كما سيأتى فى التخريج.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۳۵

[الحديث الخامس ...] ص: ۳۵

وأخرج محمد بن يوسف الكنجى الشافعى فى مناقبه «۱»، من حديث ذكره متصلًا برسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وفيه فى وصف على عليه السلام «ووعاء علمى ووصيى» «۲».

---

(۱)

قال الحاجى خليفة فى كشف الظنون ۲/ ۱۴۹۷: كفاية الطالب فى مناقب‌على بن أبى طالب؛ للشيخ الحافظ أبى عبداللَّه محمد بن يوسف بن محمد الكنجى الشافعى.

قال: أبو شامة المقدسى: «وفى ۲۹ رمضان- سنة ۶۵۸- قُتِل بالجامع الفخر محمد بن يوسف بن محمد الكنجى، وكان من أهل العلم بالفقه والحديث لكنه كان فيه كثرة كلام، وميل إلى مذهب الرافضة، جمع لهم كتباً توافق أغراضهم.

ويذكر لنا الحافظ شمس الدين الذهبى العوامل والأسباب المؤدية لقتله فيقول «لدبره وفضوله! فكأنّ ذكر مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجمع فضائله وأحاديثه خطيئة تبرّر وتسوّغ قتل صاحبها مهما بلغ- عندهم- من السمو والرفعة والمجد والعلم والدين والأدب.

(۲) كفاية الطالب: ۱۶۸، الباب ۳۷ رقم ۱.

مجمع الزوائد: ۹/ ۱۱۱، كنز العمّال: ۱/ ۱۵۴. ويأتى الكلام مفصلًا عن هذا الحديث فى تخريج أحاديث كتاب العقد الثمين تحت الحديث الخامس.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۳۶

[الحديث السادس ...] ص: ۳۶

وأخرج أيضاً عن علىّ عليه السلام أنّه قال: أمرنى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بقتال ثلاثة: الناكثين، والقاسطين، والمارقين «۱».

[الحديث السابع ...] ص: ۳۶

وأخرج أيضاً عن جابر أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال لعلى بن أبى طالب: «سلام عليك يا أبا ريحانتى، أوصيك بريحانتىّ خيراً». قال: هذا حديث حسن عال من حديث جعفر بن محمد، تفرد به حماد بن عيسى، لم نكتبه إلّامن حديث محمد بن يونس السامى عالياً «۲».

[الحديث الثامن ...] ص: ۳۶

وأخرج الطبرانى عن عمار عنه صلّى اللّه عليه وآله،: «ألا أرضيك

---

(۱) أنظر: كفاية الطالب: ص ۱۶۸، باب ۳۷، أُسد الغابة: ۴/ ۳۳، كنز العمّال: ۶/ ۸۸، وتاريخ بغداد: ۱۳/ ۱۸۶، مناقب أمير المؤمنين؛ لمحمد بن سليمان الكوفى: ۲/ ۳۳۸ ح ۸۱۳، مجمع الزوائد ۶/ ۲۳۵، المعجم الكبير: ۴/ ۱۷۲، الكامل: ۲/ ۱۸۸.

(۲) كفاية الطالب: ۲۱۳، باب ۵۵، ح ۱. وهو فى: حلية الأولياء: ۳/ ۲۰۱، ذخائر العقبى: ص ۱۲۴، كنز العمّال: ۶/ ۲۲۰، صحيح الترمذى: ۲/ ۳۰۶، خصائص النسائى: ص ۱۲۴، سنن أبى داود: ۸/ ۱۶۰.

يا علىّ؟ أنت أخى ووزيرى تقضى دينى وتنجز موعدى وتبرىء ذمتى».

الحديث بطوله «۱».

[الحديث التاسع ...] ص: ۳۷

وأخرج البزار عن أنس مرفوعاً: «على يقضى دِينى». وروى بكسر الدال «۲».

[الحديث العاشر ...] ص: ۳۷

وأخرج ابن مردويه والديلمى، عن سلمان الفارسى مرفوعاً:

«على بن أبى طالب ينجز عداتى ويقضى دينى» «۳».

---

(۱) أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير: ۱۲/ ۴۲۰، رقم ۱۳۵۴۹، وعنه مجمع الزوائد: ۹/ ۱۲۱، وكنز العمّال ۶/ ۱۵۵، المعيار والموازنة، لأبى جعفر الإسكافى المعتزلى: ص ۲۰۹.

(۲) أخرجه فى مسنده ۲/ ۱۰۶ ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ۹/ ۱۱۳، والمناوى فى فيض القدير ۴/ ۳۵۹، ح ۵۶۰۱، والمتقى الهندى فى كنزالعمال ۱۱/ ۶۰۴، ح ۳۲۹۱۹.

قال: البزار فى مسنده عن أنس. قال الهيثمى: فيه ضِرار بن صرد وهو ضعيف، وسيأتى الكلام عنه مفصلًا فى تخريج الأحاديث تحت الحديث التاسع.

(۳) أخرجه الخوارزمى فى مناقبه: ص ۷، ح ۳۸، والديلمى فى فردوس الأخبار؛ ۳/ ۸۸، والمتقى الهندى فى كنز العمّال: ۱۱/ ۶۱۱، ح ۳۲۹۵۶.

[الحديث الحادى عشر ...] ص: ۳۸

وأخرج الديلمى عن أنس مرفوعاً: «على أنت تبيّن للناس ما اختلفوا فيه من بعدى» «۱».

[الحديث الثانى عشر ...] ص: ۳۸

وأخرج أبو نعيم فى الحلية، والكنجى فى المناقب من حديث طويل وفيه: «وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين» «۲».

[الحديث الثالث عشر ...] ص: ۳۸

وأخرج العلامة إبراهيم بن محمد الصنعانى فى كتابه إشراق الإصباح «۳»، عن محمد بن على الباقر عليه السلام عن آبائه عنه صلّى اللّه

---

(۱) فردوس الأخبار، للديلمى ۲/ ۷۸، وأخرجه الحاكم النيسابورى فى مستدركه ۳/ ۱۲۲، وهو فى كنز العمّال: ۱۱/ ۶۱۵، ح ۳۲۹۸۳، تاريخ مدينة دمشق: ۴۲/ ۳۸۷، الكشف الحثيث؛ سبط ابن العجمى: ص ۱۳۸. والمناقب؛ للخوارزمى: ص ۳۲۹، ح ۳۴۶، سبل الهدى والرشاد؛ للصالحى الشامى: ۱۱/ ۲۹۵، وينابيع المودة: ص ۸۶، ج ۲، ص ۱۵۹.

(۲) أخرجه أبو نُعيم فى حلية الأولياء ۱/ ۶۳، والكنجى الشافعى فى كفاية الطالب: ۲۱۱، ب ۵۴، كنز العمّال: ۱۱/ ۶۱۹، ح ۳۳۰۱۰، وح ۳۳۰۱۱، كشف الخفاء ومزيل الالباس؛ للعجلونى: ۲/ ۲۴۲، شرح نهج البلاغة؛ للمعتزلى: ۹/ ۱۶۹.

(۳) إبراهيم بن محمد بن نزار الصنعانى، من أعلام القرن الثامن الهجرى، صاحب كتاب (إشراق الإصباح فى مناقب الخمسة الأشباح) هم محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين وذريتهم (عليهم الصلاة والسلام). أنظر: مصادر الفكر العربى الإسلامى فى اليمن ص ۱۱۴.

عليه وآله من حديث طويل، وفيه: «وهو- يعنى علياً- وصيى ووليى» «۱».

قال المحب الطبرى بعد أن ذكر حديث الوصية إلى على عليه السلام:

والوصية محمولة على ما رواه أنس من قوله: «وصيى ووارثى يقضى دينى وينجز موعدى على بن أبى طالب». أو على ما أخرجه ابن السراج من قوله صلّى اللّه عليه وآله: «يا على، أوصيك بالعرب خيراً» «۲». أو على ما رواه حسين بن على عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال: أوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله علياً أنْ يغسله. فقال: يا رسول اللّه أخشى أنْ لا أطيق. قال: «إنك ستعان عليه» «۳». انتهى.

والحامل له على هذا الحمل حديث عائشة السابق.

والواجب علينا الإيمان بأنّ علياً عليه السلام وصى رسول اللّه

---

(۱) يأتى البحثُ مفصلًا- تحت الحديث الثانى وما بعده- حول أحاديث الوصية والدراسة فى متونها وأسانيدها، ولا ينكرها إلّامكابرٌ، فراجع.

(۲) أنظر: مجمع الزوائد ۱۰/ ۵۲.

(۳) كنز العمّال ۷/ ۲۴۹، رقم ۱۸۷۸۰.

صلّى اللّه عليه وآله ولا يلزمنا التعرض للتفاصيل الموصى بها، فقد ثبت أنّه أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وعيّن له علاماتهم، وأودعه جملًا من العلوم، وأمره بأمور خاصة كما سلف.

فجعل الموصى بها فرداً منها ليس من دأب المنصفين.

وأورد بعضهم- على القائلين بأنّ علياً عليه السلام وصى رسول اللّه- سؤالًا، فقال: إنْ كانت الوصاية إخباره بما لم يخبر به غيره من

الملاحم ونحوها، فقد شاركه فی ذلک حذیفة، فإنه خصّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله بمعرفة المنافقین، واختصّه بعلم الفتن، وإن حملت علی الوصایة بالعرب کما ذکر الطبری، فقد أوصی صلّی اللّه علیه وآله المهاجرین بالأنصار، وأوصی أصحابه بأصحابه.

وأنت تعلم أنّا لم نقصر الوصیة بالعرب، ولم نتعرّض للتفصیل؛ بل قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله إنّه وصیّه، فقلنا: إنّه وصیّه. فلا یرد علینا شیء من ذلک.

تنبیه:

اعلم أنّ جماعة من المبغضین للشیعة عدّوا قولهم إنّ علیّاً علیه السلام وصی لرسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله، من خرافاتهم، وهذا إفراط وتعنت یأباه الإنصاف، وکیف یکون الأمر کذلک، وقد قال بذلک جماعة من الصحابة، کما ثبت فی الصحیحین أنّ جماعة ذکروا عند عائشة أنّ

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۴۱

علیّاً وصی، وکما فی غیرهما، واشتهر الخلاف بینهم فی المسألة وسارت به الرکبان، ولعلّهم تلقنوا قول عائشة فی أوائل الطلب وکبر فی صدورهم حتّی ظنّوه مکتوباً فی اللوح المحفوظ، وسدّوا آذانهم عن سماع ما عداه وجعلوه کالدلیل القاطع، وهکذا، فلیکن الاعتساف والتنکب عن مسالک الإنصاف، ولیس هذا بغریب بین أرباب المذاهب، فإنّ کلَّ طائفة- فی الغالب- لا تقیم لصاحبتها وزناً، ولا تفتح لدلیلها وإن کان فی أعلی رتبة الصحة اذناً، إلا من عصم اللّه وقلیل ما هم.

وقد اکتفینا بإیراد هذا المقدار من الأدلة الدالة علی المراد، وإن کان المقام محتملًا للإکثار لکثرة الآثار والأخبار، فمَنْ رام الإستیفاء فلیراجع الکتب المصنفة فی مناقب علی علیه السلام.

حرره المجیب غفراللّه له:

محمد بن علی الشوکانی

ختم اللّه له ولوالدیه بالحسنی

فی الیوم التاسع والعشرین من شهر شعبان ۱۲۰۵

ولا حول ولا قوة إلّاباللّه العلی العظیم.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۴۵

الحق المبین فی تخریج أحادیث العقد الثمین ... ص: ۴۵

مقدمات البحث وهی أمور ... ص: ۴۵

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحیم

هذا تخریج أحادیث کتاب (العقد الثمین) للحافظ الشّوکانی، وقد رأینا من الضّروری تقدیم امور تساعد الباحثین فی الوصول إلی النتیجة الصحیحة:

الأمر الأول ... ص: ۴۵

إعلم أنّ لأهل السنّة کتباً أشتهرتْ بینهم بالصّحاح الستّة، اهتمّوا بشأنها غایة الإهتمام وجعلوا روایاتها المدارک فی مسائل الحلال

والحرام وسائر الأحكام، وكتبوا عليها الشروح الكثيرة ودرّسوها ورووها بالأسانيد الغزيرة، وأثنوا عليها الثناء العظيم وعظّموها أكبر التعظيم، ونحن فى هذا المقام نكتفى بكلام للشيخ أحمد ولىّ اللَّه المحدّث الدهلوى المتوفى سنة ۱۱۷۶ فى بيان طبقات كتب الحديث، قال:

«هى باعتبار الصحّة والشهرة على أربع طبقات ... فالطبقة الأولى منحصرة بالإستقراء فى ثلاثة كتب: الموطأ وصحيح البخارى وصحيح

مسلم ... أمّا الصحيحان، فقد اتفق المحدّثون على أنّ جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنّفيهما، وأنه كلّ من يهوّن أمرهما فهو مبتدع متّبع غير سبيل المؤمنين...

الطبقة الثانية: كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين، ولكنّها تتلوها، كان مصنّفوها معروفين بالوثوق والعدالة والحفظ والتبحّر فى فنون الحديث، ولم يرضوا فى كتبهم هذه بالتساهل فيما اشترطوا على أنفسهم، فتلقّاها من بعدهم بالقبول، واعتنى بها المحدّثون والفقهاء طبقة بعد طبقة، واشتهرت فيما بين الناس، وتعلّق بها القوم شرحاً لغريبها وفحصاً عن رجالها واستنباطاً لفقهها، وعلى تلك الأحاديث بناء عامّة العلوم، كسنن أبى داود، وجامع الترمذى ومجتبى النسائى...

والطبقة الثالثة: مسانيد وجوامع ومصنفات، صُنِفتْ قبل البخارى ومسلم وفى زمانهما وبعدهما ...، ولم تشتهر فى العلماء ذلك الاشتهار ...

كمسند أبى على، ومصنف عبدالرزاق، ومصنف أبى بكر بن أبى شيبة...

والطبقة الرابعة: كتب قصد مصنفوها- بعد قرون متطاولة- جمع ما لم يوجد فى الطبقتين الأوليين، وكانت فى المجاميع والمسانيد المختفية، فنوّهوا بأمرها ... وهذه الطبقة مادّة كتاب الموضوعات لابن الجوزى» «... ۱».

---

(۱) حجة اللَّه البالغة ۱/ ۱۳۳- ۱۳۵.

الأمر الثانى ... ص: ۴۷

لايخفى أنّ لكلّ علم علماء إليهم المرجع فيه وعليهم المعوَّل، ولأهل السنّة فى الجرح والتعديل للرجال علماء، ولكنّهم مع الأسف- مجروحون على لسان المتأخّرين عنهم والمحقّقين عندهم.

فهم فى الوقت الذى يرجعون إلى أقوال يحيى بن سعيد القطّان فى قبول الرجال وردّهم، يقولون بأنّه كان متعنّتاً فى نقد الرجال، وهكذا وصفه الذهبى وأضاف: «فإذا رأيته قدوثّق شيخاً، فاعتمد عليه، أمّا إذا ليّن أحداً فتأنّ فى أمره حتى ترى قول غيره فيه، فقد ليّن مثل إسرائيل، وهمام وجماعة احتجّ بهم الشيخان» «... ۱».

وكذا قالوا فى أبى حاتم الرازى، فقد ذكر الذهبى بترجمته: «إذا وثّق أبو حاتم رجلًا فتمسّك بقوله، فإنه لا يوثّق إلّارجلًا صحيح الحديث، وإذا ليّن رجلًا أو قال فيه: لا يحتج به، فتوقّف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثّقه أحد فلا تبنِ على تجريح أبى حاتم فإنه متعنّت فى الرجال، قد قال فى طائفة من رجال الصحاح: ليس بحجة، ليس بقوى أو نحو ذلك» «۲».

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۹/ ۱۸۳.

(۲) المصدر ۱۳/ ۲۶۰.

ومن العجب، رجوعهم إلى أقوال أبى الفتح الأزدى، وقد قال الذهبى: «قلت: وعليه فى كتابه فى الضعفاء مؤاخذات، فإنه ضعّف جماعةً بلا دليل، بل قد يكون غيره قد وثّقهم» «۱» وقال الحافظ ابن حجر: «قد قدّمت غير مرة: أنّ الأزدى لا يعتبر تجريحه، لضعفه هو» «۲».

والأعجب من ذلك إكثارهم من النقل عن أبى إسحاق الجوزجانى واعتمادهم عليه فى نقد الرّجال، وخاصّةً فى الطعن فى الرواة الشيعة وردّ أحاديثهم، وهم ينصّون على كونه ناصبيّاً؛ قال الذهبى: «قال الدارقطنى: كان من الحفّاظ الثقات المصنّفين، وفيه إنحراف عن علىّ» «۳».

وقال ابن حجر: قال ابن حبّان فى الثقات: كان حرورى المذهب، ولم يكن بداعية، وكان صلباً فى السُنّة، حافظاً للحديث، إلّاأنّه من صلابته ربّما كان يتعدّى طوره. وقال ابن عدىّ: كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق فى الميل على علىّ. وقال السلمى عن الدارقطنى بعد

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۱۶/ ۳۴۸.

(۲) مقدمة فتح البارى: ۴۳۰.

(۳) تذكرة الحفّاظ ۱/ ۵۴۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۴۹

أن ذكر توثيقه: لكن فيه إنحراف عن علىّ، اجتمع على بابه أصحاب الحديث، فأخرجت جاريةٌ له فرّوجةً لتذبحها فلم تجد مَنْ يذبحها، فقال: سبحان اللّه! فرّوجة لا يوجد مَنْ يذبحها وعلىٌّ يذبح فى ضحوة نيّفاً وعشرين ألف مسلم.

قلت: وكتابه فى الضعفاء يوضّح مقالته، ورأيت فى نسخةٍ من كتاب ابن حبّان: حَرِيزى المذهب، وهو- بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وبعد الياء زاى- نسبة إلى حريز بن عثمان المعروف بالنصب، وكلام ابن عدىّ يؤيّد هذا، وقد صحّف ذلك أبو سعد ابن السمعانى فى الأنساب، فذكر فى ترجمة الجَرِيرى- بفتح الجيم- أنّ إبراهيم بن يعقوب هذا كان على مذهب محمّد بن جرير الطبرى، ثمّ نقل كلام ابن حبّان المذكور. وكأنّه تصحّف عليه، والواقع أنّ ابن جرير يصلح أن يكونَ من تلامذة إبراهيم بن يعقوب لا بالعكس، وقد وجدت روايةَ ابن جرير عن الجوزجانى فى عدّة مواضع من التفسير والتهذيب والتاريخ» «۱».

الأمر الثالث ... ص: ۴۹

كثير من رجال الأحاديث المرويّة فى كتب أهل السنة، وكثير من مشاهير مؤلّفيهم، موصوفون عندهم بالتشيع، فيقولون بترجمته:

---

(۱) تهذيب التهذيب ۱/ ۱۵۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۵۰

«شيعى» أو «فيه تشيّع» أو «يتشيّع» ونحو ذلك، تجد ذلك فى رجال الكتب المعروفة عندهم بالصّحاح، وخاصةً فى كتابى البخارى ومسلم.

فقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفصل التّاسع من مقدمة كتابه (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى) وهو أشهر شروحه: «الفصل التاسع: فى سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب، مرتّباً لهم على حروف المعجم، والجواب عن الاعتراضات موضعاً موضعاً» فذكر أسمائهم وبحث عنهم من الصفحة ۳۸۱ حتى قال فى ص ۴۵۹: «فصل: فى تمييز أسباب الطعن فى المذكورين» فأورد أسماء جماعةٍ رموا بالتشيع ودافع عنهم، كإسماعيل بن أبان، وعبدالرزاق بن همام الصنعانى، وعدى بن ثابت الأنصارى، وأبى نعيم

الفضل بن دكين، ومحمد بن فضيل بن غزوان...

فما معنى التشيع؟

قال الحافظ ابن حجر: «والتشيع محبّة على وتقديمه على الصحابة، فمن قدّمه على أبى بكر وعمر فهو غال فى تشيّعه ويطلق عليه رافضى وإلّا فشيعى، فإنْ انضاف الى ذلك السبُّ أو التصريح بالبغض فغال فى الرفض، وإنْ اعتقد الرّجعة الى الدنيا فأشدّ فى الغلو» «۱».

---

(۱) مقدمة فتح البارى: ۴۶۰.

والقائلون بتقديم أمير المؤمنين على على أبى بكر وعمر- فضلًا عن عثمان- فى الصحابة والتابعين كثيرون.

فمن الصّحابة مَن ذكرهم الحافظ ابن عبدالبر القرطبى فى «الاستيعاب» حيث قال:

«وروى عن سلمان، وأبى ذر، والمقداد، وخباب، وجابر، وأبى سعيد الخدرى، وزيد بن الأرقم: أنّ على بن أبى طالب- رضى اللّه عنه- أوّل من أسلم. وفضّله هؤلاء على غيره» «۱».

ومن التابعين وأتباعهم ذكر ابن قتيبة جماعةً فى كتابه المعارف حيث قال: «الشيعة: الحارث الأعور، وصعصعة بن صوحان، والأصبغ ابن نُباتة، وعطيّة العوفى، وطاووس، والأعمش، وأبو إسحاق السبيعى، وأبو صادق، وسلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة، وسالم بن أبى الجعد، وإبراهيم النخعى، وحبّة بن جوين، وحبيب بن أبى ثابت، ومنصور بن المعتمر، وسفيان الثورى، وشعبة بن الحجاج، وفطر بن خليفة، والحسن بن صالح بن حى، وشريك، وأبو إسرائيل الملائى، ومحمد بن فضيل، ووكيع، وحميد الرواسى، وزيد بن الحباب، والفضل بن دكين، والمسعود الأصغر، وعبيداللّه بن موسى، وجرير بن عبدالحميد،

---

(۱) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ۳/ ۱۰۹۰.

وعبداللّه بن داود، وهشيم، وسليمان التيمى، وعوف الأعرابى، وجعفر الضبيعى، ويحيى بن سعيد القطّان، وابن لهيعة، وهشام بن عمّار، والمغيرة صاحب ابراهيم، ومعروف بن خربوذ، وعبدالرزاق، ومعمر، وعلى بن الجعد» «۱».

ومن العلماء والمحدّثين فى القرون اللّاحقة من الشيعة من لا يحصى عددهم إلّااللّه...

وقد اضطرب القوم واختلف موقفهم تجاه هؤلاء الرواة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ... ولننقل عبارة الحافظ ابن حجر فإنه قال:

«فقد اختلف أهل السنة فى قبول حديث مَنْ هذا سبيله، إذا كان معروفاً بالتحرّز من الكذب، مشهوراً بالسلامة من خوارم المروءة، موصوفاً بالديانة والعبادة. فقيل: يُقبل مطلقاً، وقيل: يُردّ مطلقاً، والثالث التفصيل بين أنْ يكون داعيةً لبدعته أو غير داعية، فيقبل غير الداعية ويردّ حديث الداعية. وهذا المذهب هو الأعدل، وصارت إليه طوائف من الأئمة، وادّعى ابن حبّان إجماع أهل النقل عليه، لكن فى دعوى ذلك نظر.

ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل، فبعضهم أطلق ذلك، وبعضهم

---

(۱) المعارف: ۳۴۱.

زاده تفصيلًا فقال: إنْ اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد بدعته ويزيّنه ويحسّنه ظاهراً فلا تقبل، وإنْ لم تشتمل فتقبل، وطرد

بعضهم هذاالتفصيل بعينه فى عكسه فى حق الداعية فقال: إنْ اشتملت روايته على ما يردّ بدعته قبل وإلّا فلا. وعلى هذا إذا اشتملت رواية المبتدع سواءكان داعيةً أم لم يكن على ما لا تعلّق له ببدعته أصلًا هل تردّ مطلقاً أو تقبل مطلقاً؟

مال أبو الفتح القشيرى إلى تفصيل آخر فيه فقال: إنْ وافقه غيره فلايلتفت إليه هو إخماداً لبدعته وإطفاءً لناره، وإنْ لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث إلّاعنده- مع ما وصفنا من صدقه وتحرّزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلّق ذلك الحديث ببدعته- فينبغى أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنّة على مصلحة إهانته وإطفاء بدعته واللّه أعلم» «۱».

أقول:

فالتشيع لا- يضر بالوثاقة ولا- يمنع من الإعتماد، وهذا ما نصَّ عليه الحافظ ابن حجر فى غيرموضعٍ، ففى كلامه حول «خالد بن مخلّد القطوانى الكوفى» قال:

---

(۱) مقدمة فتح البارى: ۳۸۲.

«خ م ت س ق- خالد بن مخلَّد القطوانى الكوفى أبو الهيثم، من كبار شيوخ البخارى، روى عنه وروى عن واحدٍ عنه، قال العجلى: ثقة وفيه تشيّع. وقال ابن سعد: كان متشيّعاً مفرطاً. وقال صالح جزرة: ثقة إلّا أنّه يتشيّع. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

قلت: أمّا التشيّع فقد قدّمنا أنه- إذا كان ثبت الأخذ والأداء- لا يضرّه، سيّما ولم يكن داعية إلى رأيه» «۱».

بل الرّفض غير مضر ... قال الحافظ ابن حجر:

«خ ت ق- عبّاد بن يعقوب الرواجنى الكوفى أبو سعيد، رافضى مشهور، إلّاأنه كان صدوقاً، وثّقه أبو حاتم، وقال الحاكم: كان ابن خزيمة إذا حدّث عنه يقول: حدّثنا الثقة فى روايته المتّهم فى رأيه عبّاد بن يعقوب، وقال ابن حبان: كان رافضيّاً داعية، وقال صالح بن محمد، كان يشتم عثمان رضى اللّه عنه.

قلت: روى عنه البخارى فى كتاب التوحيد حديثاً واحداً مقروناً وهو حديث ابن مسعود: أىّ العمل أفضل؟. وله عند البخارى طريق أخرى من رواية غيره» «۲».

وقال الحافظ الذهبى فى «أبان بن تغلب».

---

(۱) مقدمة فتح البارى: ۳۹۸.

(۲) المصدر: ۴۱۰.

«أبان بن تغلب [م، عو] الكوفى شيعى جلد، لكنّه صدوق فلنا صدقه وعليه بدعته. وقد وثّقه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم، وأورده ابن عدى وقال: كان غالياً فى التشيّع. وقال السعدى: زائغ مجاهر.

فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، وحدّ الثقة العدالة والإتقان؟

فكيف يكون عدلًا مَن هو صاحب بدعة؟

وجوابه: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى كغلوّ التشيّع أو كالتشيّع بلا غلو ولا تحرّف، فهذا كثير فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصّدق. فلو ردّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بيّنة» «... ۱».

لكنّ بعض المتعصّبين منهم يقدحون فى الرجل إذا كان شيعيّاً ويكرهون الرواية عنه، ويعبّرون عنه بعباراتٍ شنيعة، بل حتى وإنْ كان من الصّحابة، مع أنّ المشهور بينهم- بل ادعى عليه الإجماع- عدالة الصحابة أجمعين، وإليك نموذجاً من ذلك:

قال الحافظ ابن حجر: «ع- عامر بن واثلة أبو الطفيل الليثى المكى، أثبت مسلم وغيره له الصحبة- وقال أبو على ابن السكن: روى عنه

---

(۱) ميزان الاعتدال ۱/ ۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج ۱، ص: ۵۶

رؤيته لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم من وجوهٍ ثابتة، ولم يرو عنه من وجهٍ ثابت سماعه.

وروى البخارى فى التاريخ الأوسط عنه أنه قال: أدركت ثمان سنين من حياة النبى صلّى اللَّه عليه وسلّم. وقال ابن عدى: له صحبة، وكان الخوارج يرمونه بإتّصاله بعلى وقوله بفضله وفضل أهل بيته، وليس بحديثه بأس.

وقال ابن المدينى: قلت لجرير: أكان مغيرة يكره الرواية عن أبى الطفيل؟ قال: نعم.

وقال: صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه: مكى ثقة.

وكذا قال ابن سعد وزاد: كان متشيّعاً. قلت: أساء أبو محمد بن حزم فضعّف أحاديث أبى الطفيل وقال: كان صاحب راية المختار الكذّاب.

وأبو الطفيل صحابى لا شكّ فيه، ولا يؤثّر فيه قول أحدٍ ولا سيّما بالعصبيّة والهوى. ولم أر له فى صحيح البخارى سوى موضعٍ واحدٍ فى العلم، رواه عن على، وعنه معروف بن خربوذ. وروى له الباقون» «۱».

---

(۱) مقدمة فتح البارى: ۴۱۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج ۱، ص: ۵۷

الأمر الرابع ... ص: ۵۷

ولابأس بإيراد كلامٍ لأحد كبار الحفّاظ وهو الحاكم النيسابورى بشأن التابعين، وهذا نصّ عبارته:

«ذكر النوع الرابع عشر من علوم الحديث

(النوع الرابع عشر) من هذا العلم معرفة التابعين. وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فانهم على طَبَقات فى الترتيب؛ ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفترق بين الصحابة والتابعين ثم لم يفرق أيضاً بين التابعين وأتباع التابعين. قال اللَّه عزّوجلّ: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فيها أَبَدًا ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

وقد ذكرهم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم، كما حدّثناه أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك ببغداد، وأبو العباس محمد بن يعقوب الأموى بنيسابور، وأبو أحمد بكر بن محمد الصيرفى بمرو، قالوا: حدّثنا أبو قلابة عبدالملك بن محمد الرقّاشى، حدّثنا أزهر بن سعد، حدثنا ابن عون، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبداللَّه قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم: خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الّذين يلونهم. فلا أدرى أذكر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم بعد قرنه

سلسلة النقد والتحقيق، ج ۱، ص: ۵۸

قرنين أو ثلاثة؟

قال الحاكم:

هذا حديث مخرج فى الصحيح لمسلم بن الحجاج وله علة عجيبة.

حدثناه محمد بن صالح بن هانئ حدّثنا محمّد بن نُعيم، حدّثنا عمرو بن على، حدّثنا أزهر، حدثنا ابن عون، عن إبراهيم، عن عبيدة،

عن عبداللَّه قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم خير الناس قرنى. قال:

فحدّثتُ به يحيى بن سعيد. فقال: ليس فى حديث ابن عون عن عبداللَّه.

فقلت له: بلى فيه. قال: لا. فقلت: إنّ أزهر حدّثنا عن ابن عون، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبداللَّه قال: رأيتُ أزهر جاء بكتابه ليس فيه عن عبداللَّه قال: عمرو بن على: فاختلفت إلى أزهر قريباً من شهرين للنظر فيه. فنظر فى كتابه ثم خرج فقال: لم أجده إلّاعن عبيدة عن النبى صلّى اللَّه عليه وسلّم.

فخير الناس قرناً بعد الصحابة مَنْ شَافَه أصحاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحى والتنزيل» «۱».

---

(۱) معرفة علوم الحديث: ۴۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۵۹

الأمر الخامس ... ص: ۵۹

لقد ألّف أبو الفرج ابن الجوزى الحنبلى- المتوفّى سنة ۵۷۹- كتاباً فى الأحاديث الضعيفة سمّاه ب (العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية) وكتاباً فى الأحاديث الموضوعة سماه ب (كتاب الموضوعات) وكلاهما مطبوعان منتشران.

وقد أصبح هذان الكتابان ذريعةً بيد بعض المتعصّبين الّذين يحاولون ردّ مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام، مع أنّ كبار العلماء المحقّقين يصرّحون بأن أبا الفرج قد جازف كثيراً فى إدراج الأحاديث فى الكتابين المذكورين، نكتفى هنا بذكر بعض كلماتهم:

قال الذهبى: «ربّما يذكر ابن الجوزى فى الموضوعات أحاديث حساناً قويّة».

وقال الحافظ ابن حجر- فى قصّةٍ أوردها-: «دلّت هذه القصّة على أن ابن الجوزى حاطب ليلٍ لا ينتقد مايحدّث به» «۱».

وقال الحافظ جلال الدين السيوطى: «وقد أكثر جامع الموضوعات فى نحو مجلّدين، أعنى أبا الفرج ابن الجوزى، فذكر فى

---

(۱) لسان الميزان: ۲/ ۸۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۰

كتابه كثيراً ممّا لادليل على وضعه» «... ۱».

فهذه طائفة من كلماتهم فى ابن الجوزى وكتابه (الموضوعات).

ولذا لم يعبأ الحفّاظ والمحقّقون بإدخاله حديث «أنا مدينة العلم وعلى بابها» فى‌الكتاب المذكور، فمنهم مَنْ نصَّ على صحّته، ومنهم مَنْ ذهب إلى أنّه حسن يحتجُّ به، كالحافظ الصّلاح العلائى، فإنه قال فى كلام له نقله الحافظ السيوطى: «ولم يأت أبو الفرج ولا غيره بعلّةٍ قادحة فى حديث شريك، سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدر» «۲» وكالحافظ الزركشى- فيما نقله عنه المناوى-: «ينتهى إلى درجة الحسن المحتجّ به، ولا يكون ضعيفاً فضلًا عن كونه موضوعاً» «۳» وكالحافظ ابن حجر، فإنه قال فى فتيا له- نقلها الحافظ السيّوطى-: «هذا الحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك وقال إنّه صحيح، وخالفه أبو الفرج ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات وقال إنه كذب. والصّواب خلاف قوليهما معاً، وأنّ الحديث من قسم الحسن لايرتقى إلى الصحة ولا ينحطّ إلى كذب» «۴».

ولمّا أدرج كتابه (العلل المتناهيّة) الحديث الصحيح: «إنّى تارك

---

(۱) تدريب الراوى: ۱/ ۲۳۵.

(۲) اللآلئ المصنوعة ۱/ ۳۳۲.

(۳) فيض القدير ۳/ ۴۷.

(۴) اللآلئ المصنوعة ۱/ ۳۳۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۱

فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتى» ... اعترض الحفّاظ عليه بشدّة، قال الحافظ السخاوى: «وتعجّبت من إيراد ابن الجوزى له فى (العلل المتناهية) بل أعجب من ذلك قوله: إنه حديث لا يصحّ. مع ماسيأتى من طرقه إلى بعضها فى صحيح مسلم» «۱».

وقال الحافظ السمهودى: «ومن العجيب ذكر ابن الجوزى له فى (العلل المتناهية) فإيّاك أن تغترّ به، وكأنه لم يستحضره حينئذٍ» «۲».

وقال المناوى: «قال الهيثمى: رجاله موثّقون، ورواه أبو يعلى بسندٍ لابأس به والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر. ووهم مَنْ زعم ضعفه كابن الجوزى» «۳».

فظهر أنه لا يجوز الاغترار بإيراد ابن الجوزى حديثاً فى (العلل) أو (الموضوعات)، وأنه لا يغترّ بذلك إلّامَنْ كان على شاكلته.

نقول:

بعد الإطّلاع على هذه الأمور التى لها الإرتباط الوثيق بالموضوع، نوضّح صحّة الأحاديث المستدل بها فى كتاب (العقد الثمين)، واحداً واحداً، وباللّه نستعين:

---

(۱) إستجلاب إرتقاء الغرف: ۸۳.

(۲) جواهر العقدين: ۲۳۲.

(۳) فيض القدير ۳/ ۱۴- ۱۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۲

الحديثان الأوّل والثانى ... ص: ۶۲

روى الشوكانى عن أحمد فى المناقب، وكذا روى غير واحدٍ عنه كالحافظ أبى العباس محبّ الدين الطّبرى، وقد جاء فى الكتاب المذكور ما نصّه:

«حدّثنا هيثم بن خلف، قال: حدّثنا محمد بن أبى عمر الدورى قال: حدثنا شاذان، قال: حدثنا جعفر بن زياد، عن مطر، عن أنس- يعنى ابن مالك- قال: قلنا لسلمان: سلْ النبى صلّى اللّه عليه وآله مَن وصيّه، فقال له سلمان: يا رسول اللّه، مَنْ وصيّك؟ قال: يا سلمان مَنْ كان وصى موسى؟ قال: يوشع بن نون. قال: فإنّ وصيى ووارثى يقضى دينى وينجز موعدى على بن أبى طالب رضى اللّه عنه» «۱».

أقول

هذا الحديث من زيادات (القطيعى)، وهو: «الشيخ العالم المحدّث، مسند الوقت، أبو بكر، أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب البغدادى ... وقال السُّلمى: سألت الدارقطنى عنه: فقال: ثقةٌ زاهد قديم، سمعتُ أنّه مجابُ الدّعوة. وقال البرقانى: كان صالحاً وثبت عندى أنّه صدوق» «۲».

و (هيثم بن خلف) هو:

---

(۱) ذخائر العقبى: ۷۰.

(۲) سير أعلام النبلاء: ۱۶/ ۲۱۰، رقم ۱۴۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۳

هيثم بن خلف بن محمد بن عبدالرحمان بن مجاهد، المتوفى ۳۰۷، المتقِنُ الثّقة، أبو محمد الدورى البغدادى، وكان من أوعية العِلم، ومن أهل التحرّى والضّبط. هكذا ذكره الذهبى «۱».

علماً أنّ الهيثم بن خلف هو من مشايخ أبى على النيسابورى الذى ترجم له الذهبى قائلًا: أبو على النَّيسابورى الحافظ الإمام العلامة الثّبت، أبو على، الحسين بن على بن يزيد بن داود النّيسابورى. أحدّ النقاد. إلى أنْ قال: قال الحاكم: كان أبو على باقعةً- أى داهيةً- فى الحفظ، لا تُطاق مذاكرتُه، ولا يفى بمذاكرته أحد من حفّاظنا.

وقال: قال الحافظ أبو بكر بن أبى دارم، ما رأيتُ ابن عُقدة لا يتواضع لأحدٍ من الحفاظ كما يتواضع لأبى على النيسابورى.

وقال: قال أبو عبدالرحمان السُّلمى: سألت الدّارقطنى عن أبى على النّيسابورى، فقال: إمامٌ مهذَّب.

وقال الخليلى: قال ابنُ المقرىء الأصبهانى، إنّى لأدعو له فى أدبار الصّلوات، كنتُ أتّبعه فى شيوخ مصر والشام. وقال: قال عبدالرحمان ابن مندة: سمعتُ أبى يقول: ما رأيتُ فى اختلاف الحديث والإتقان أحفظ من أبى على النيسابورى «۲».

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۱۴/ ۲۶۱، رقم ۱۶۸.

(۲) المصدر ۱۶/ ۵۱، رقم ۳۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۴

و (الدورى) هو أبو بكر محمد بن حفص الدورى، سمع الأسود بن عامر شاذان، وأحمد بن إسحاق الحضرمى ومحمد بن مصعب القرقسانى، وأبا نعيم الفضل بن دكين، وحجاج بن محمد، والحكم بن موسى، وأبا عبيدة القاسم بن سلام. وروى عنه عبداللَّه بن إسحاق المدائنى، وحاجب بن أوكين الفرغانى، ومحمد بن مخلد الدورى، وسماه حاجب بن أركين أحمد، ومات سنة ۲۵۹ «۱».

و (شاذان) هو الأسود بن عامر شاذان، أبو عبدالرحمان الشامى نزيل بغداد، ذكره المزى وابن حجر العسقلانى وأوردا توثيقات الأكابر له «۲»، وقال ابن حجر فى تقريب التهذيب: ثقةٌ من التاسعة، مات فى أوّل سنة ۲۰۸، ووضع علامة الصحاح الستة «۳».

و (جعفر بن زياد) لم يتكلّم فيه إلّامن جهة التشيّع، والتشيّع غير مضرّ كما نصَّ عليه الحافظ ابن حجر، وقد تقدَّم كلامه، ولذا قال بترجمة هذا الرّجل: «صدوقٌ يتشيّع» «۴».

---

(۱) الأنساب للحافظ السمعانى ۲/ ۵۶۵، رقم ۴۰۲۹.

(۲) تهذيب الكمال ۳/ ۲۲۶ رقم ۵۰۳، تهذيب التهذيب ۱/ ۲۹۷.

(۳) تقريب التهذيب ۱/ ۷۶.

(۴) المصدر ۱/ ۱۳۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۵

و (مطر) هو مطر بن أبى ميمون الإسكاف المحاربى، هكذا ترجمه الحافظ ابن عدى، وروى الحديث بإسناده عن عبيداللَّه بن موسى عن مطر عن أنس، ثم قال عن مطر: «هو إلى الضعف أقرب منه إلى الصّدق» «۱».

فإنْ صحّ هذا الكلام، فغايته أن يكون الحديث ضعيفاً لا موضوعاً، لكنّ ابن الجوزى قد أدرجه فى الموضوعات- وتبعه ابن تيمية وأضاف أنّه موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث «۲» وهذا تعصّب بيّن.

قال ابن الجوزى بعد أنْ أورده: «ففيه: مطر بن ميمون. قال البخارى: منكر الحديث، وقال أبو الفتح الأزدى: متروك الحديث. وفيه جعفر، وقد تكلّموا فيه» «۳».

وكلامه مردود. أمّا «جعفر بن زياد» فقد عرفته. وأمّا «مطر» فكلام الأزدى فيه غير مسموع لضعفه هو كما تقدّم، وكذا كلام البخارى فإنه تعصّب كما سيتّضح.

وقد روى الحافظ ابن عساكر هذا الحديث بإسناده فقال: «قرأت على أبى محمد بن حمزة عن أبى بكر الخطيب، أنا الحسن بن أبى بكر، أنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبداللَّه القطّان، حدثنا الحسن بن

---

(۱) الكامل فى الضعفاء ۸/ ۱۳۶.

(۲) منهاج السنّة ۵/ ۲۳.

(۳) الموضوعات ۱/ ۳۷۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۶

العبّاس الرازى، حدثنا القاسم بن خليفة أبو محمد، حدثنا أبو يحيى التيمى إسماعيل بن إبراهيم عن مطير أبى خالد، عن أنس بن مالك قال:

كنا إذا أردنا أن نسأل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أمرنا على بن أبى طالب، أو سلمان الفارسى، أو ثابت بن معاذ الأنصارى؛ لأنهم كانوا أجرأ أصحابه على سؤاله، فلما نزلت: «إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» «۱»

وعلمنا أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله نُعيت إليه نفسه، قلنا لسلمان: سَلْ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله من نسند إليه أمورنا، ويكون مفزعنا، ومن أحبّ الناس إليه؟ فلقيه، فسأله فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، فخشى سلمان أن يكون رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قد مقته ووجد عليه، فلما كان بعد لقيه، قال: «يا سلمان، يا أبا عبداللَّه، ألا أحدّثك عمّا كنت سألتنى؟ فقال: يا رسول اللَّه، إنّى خشيت أن تكون قد مقتّنى ووجدتَ علىّ، قال: كلّا يا سلمان، إنّ أخى ووزيرى وخليفتى فى أهل بيتى، وخير من تركتُ بعدى، يقضى دينى، وينجز موعدى على بن أبى طالب».

قال الخطيب: مطير هذا مجهول.

أخبرنا أبو القاسم بن السَّمرقندى، نا أبو القاسم بن مسعدة، نا

---

(۱) سورة النصر: الآية ۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۷

حمزة بن يوسف، نا أبو أحمد بن عدى، نا ابن أبى سفيان، نا على بن سهل، نا عبيداللَّه بن موسى، نا مطر الإسكاف، عن أنس قال:

قال النبى صلّى اللَّه عليه وآله على أخى، وصاحبى، وابن عمى، وخيرُ من أترك بعدى، يقضى دَينى، ينجز موعدى.

قال: قلت له: أين لقيت أنساً؟ قال: بالخريبة.

أخبرنا أبو القاسم الشّحّامى وأبو المظفّر القشيرى، قالا: أنا أبو سعد الأديب، أنا أبو سعيد الكرابيسى، أنا أبو لبيد السامى، نا سويد بن سعيد، نا عمرو بن ثابت، عن مطير، عن أنس قال:

قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: إنّ خليلى ووزيرى وخيرُ من أخلف بعدى يقضى دَينى وينجز موعودى على بن أبى طالب رضى اللَّه عنه.

أخبرنا أبو عبداللَّه محمّد بن الفضل وأبو محمّد هبة اللَّه بن سهل، وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالوا: أنا أبو سعد الجنْزرودى، أنا عبداللَّه بن محمّد بن عبدالوهاب الرازى، نا يوسف بن عاصم الرازى، نا سويد بن سعيد، نا عمرو بن ثابت، عن مطر، عن أنس قال:

قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: إنّ خليلى ووزيرى وخليفتى فى أهلى وخير مَنْ أترك بعدى وينجز موعدى ويقضى دَينى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۸

على بن أبى طالب «۱».

فهذه عدّة من أسانيد الحديث، وقد عرفت أنّه من الأحاديث التى اتّفق المخالف والموافق على روايتها فى فضل أمير المؤمنين وكماله، ممّا لم ينقل مثله ولا الأقلُّ منه فى حقّ غيره من الصحابة.

ولمّا تصحّف اسم الراوى من «مطر» إلى «مطير» قالوا: مجهول.

ولكنّه لمّا رواه عن «مطر» كما هو الصحيح، لم يتكلّم فيه ابن عساكر، ولايخفى عدم وجود «جعفر بن زياد» فى السند.

وقد أخرجه الحافظ الطبرانى بإسنادٍ آخر فقال: «حدّثنا محمد بن عبداللَّه الحضرمى، حدثنا إبراهيم بن الحسن الثعلبى، حدثنا يحيى بن يعلى، عن ناصح بن عبداللَّه، عن سماك بن حرب، عن أبى سعيد الخدرى، عن سلمان قال:

قلت: يا رسول اللَّه، لكلّ نبىّ وصى، فمَنْ وصيّك؟ فسكت عنّى.

فلمّا كان بعد رآنى فقال: يا سلمان! فأسرعت إليه قلت: لبيّك. قال: تعلم مَنْ وصىّ موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون، قال: لِمَ؟ قلت: لأنه كان أعلمهم. قال: فإنّ وصيى وموضع سرّى وخير مَنْ أترك بعدى، ينجز عدتى ويقضى دينى: على بن ابى طالب» «۲».

---

(۱) تاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۵۶- ۵۷.

(۲) المعجم الكبير ۶/ ۲۲۱، رقم ۶۰۶۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۶۹

وهذا السند ليس فيه «جعفر» ولا- «مطر»، وظاهر الحافظ الطبرانى قبوله سنداً- كما اعترف ابن كثير وسيأتى كلامه- فاضطرّ إلى أن يذكر تأويلًا لمعناه، فقال بعده ما نصّه: «قوله: وصيى. يعنى: أوصاه فى أهله لا بالخلافة. وقوله: خير من أترك بعدى، يعنى: من أهل بيته».

لكنّه تمحّل واضحٌ، وتكلّف بيّن، بل المراد هو الخلافة من بعده، وهذا المعنى هو محلّ الحاجة للصّحابة إذ طلبوا من سلمان أن يسأل عنه النبى صلّى اللَّه عليه وآله، وإلى ما ذكرنا أشار ابن كثير إذ قال: «وفى تأويل الطبرانى يبدو صّحة الحديث- وإن كان غير صحيح- نظر واللَّه أعلم» «۱».

إلا أنّ ابن كثير لم يذكر وجه الضّعف، حتّى رجعنا إلى الحافظ الهيثمى فوجدناه يقول: «وفى إسناده ناصح بن عبداللَّه، وهو متروك» «۲».

لكنّه قول مردود:

أوّلًا: الرجل ممّن أخرج عنه الترمذى وابن ماجة «۳».

وثانياً: هو من مشايخ جمعٍ من أئمّة القوم كأبى حنيفة وهو من أقرانه «۴».

---

(۱) جامع المسانيد والسنن ۵/ ۳۸۳، برقم ۳۶۳۳.

(۲) مجمع الزوائد ۹/ ۱۱۳- ۱۱۴.

(۳) تهذيب الكمال ۲۹/ ۲۶۱.

(۴) المصدر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷۰

وثالثاً: قد وثّقه أو مدحه غير واحدٍ من الأكابر:

«قال ابن حبان: كان شيخاً صالحاً غلب عليه الصّلاح، فكان يأتى بالشىء على التوهّم، فلمّا فحش ذلك منه استحقّ الترك.

وقال أحمد بن حازم بن أبى غرزة، سمعت عبيداللّه بن موسى، وأبا نعيم يقولان جميعاً عن الحسن بن صالح قال: ناصح بن عبداللّه المحلّمى نعم الرجل» «۱».

ورابعاً: قال ابن عدى- بعد أن أورد أحاديث له- «وهو فى جملة متشيّعى أهل الكوفة، وهو ممّن يُكتب حديثه» «۲».

وخامساً: إنّ السّبب فى تضعيف من ضعّفه هو نقله لأحاديث الفضائل والمناقب بكثرة، وإليه أشار أبو حاتم «۳» وابن عدى، بل بهذا السبّب قيل: «وكان يذهب إلى الرّفض» «۴»، وإليك عبارة الذهبى: «قلت:

كان من العابدين. ذكره الحسن بن صالح فقال: رجل صالح، نعم الرّجل»

---

(۱) تهذيب الكمال ۲۹/ ۲۶۱.

(۲) الكامل وعنه المزى فى تهذيب الكمال ۲۹/ ۲۶۱.

(۳) الجرح والتعديل ۸/، برقم ۲۳۰۳.

(۴) الضعفاء الكبير للعقيلى ۴/ ۳۱۱.

ثم روى ما يلى:

«إسماعيل بن أبان، حدثنا ناصح أبو عبداللّه عن سماك عن جابر قالوا: يا رسول اللّه، مَنْ يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها إلّامَنْ حملها فى الدنيا. يعنى علياً.

يحيى بن يعلى المحاربى، عن ناصح بن عبداللّه، عن سماك بن حرب، عن أبى سعيد الخدرى عن سلمان قال قلت: يا رسول اللّه... هذا خبر منكر» «۱».

فظهر، أنّ السبب الأصلى للقدح فى الرجل نقل مثل هذه الروايات، فإنّ القوم لا يطيقون سماعها ولا يتحمّلون الرّاوى لها!.

وتلخّص:

إنّ القول بوضع هذا الحديث باطلٌ، والقائل به هو ابن الجوزى المعروف بالتسرّع كما تقدّم، ولذا تعقّبه الحافظ السيوطى «۲».

وأمّا دعوى اتّفاق العلماء على وضعه، فكسائر دعاوى ابن تيميّة الباطلة الصادرة عن التعصّب والعناد.

بل الحديث معتبرٌ، وله أسانيد عدّة فى كتب الحفّاظ، والإستدلال به صحيح على القواعد العلميّة المتّبعة.

---

(۱) ميزان الاعتدال ۴/ ۲۴۰.

(۲) اللآلئ المصنوعة ۱/ ۳۵۸- ۳۵۹.

الحديث الثالث ... ص: ۷۲

أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوى:

«حدثنا محمد بن حميد، نا على بن مجاهد، نا محمد بن إسحاق، عن شريك بن عبداللّه، عن أبى ربيعة الإيادى، عن ابن بريدة عن أبيه، قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: لكلّ نبى وصى ووارث وإنَّ علياً وصيى ووارثى» «۱».

وعنه الحافظ ابن عساكر قال:

«أخبرنا أبو القاسم البغوى» «... ۲».

والحافظ ابن الجوزى، قال:

«أنبأنا على بن عبيداللّه الزاغونى قال: أنبأنا أحمد بن محمد السمسار قال: حدّثنا عيسى بن على الوزير قال: حدّثنا البغوى، قال: حدّثنا محمد بن حميد الرازى قال: حدّثنا علىّ بن مجاهد قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عن شريك بن عبداللّه، عن أبى ربيعة الإيادى عن ابن بُريدة عن أبيه قال: قال النبى صلّى اللّه عليه وآله: «لكلّ نبىّ وصىّ،

---

(۱) معجم الصحابة ۴/ ۳۶۳.

(۲) تاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۳۰.

وإنّ عليّاً وصىّ ووارثى» «۱».

وأخرجه الحافظ ابن عساكر عن طريقٍ آخر، قال: «أخبرنا أبو على الفراوى وأبو محمد السيّدى، وأبو القاسم الشحامى، قالوا: أنا أبو سعد الجنزرودى، أنا عبدالوهّاب بن محمّد بن عبدالوهّاب الرازى، نا يوسف بن عاصم الرازى، نا محمّد بن حميد، نا على بن مجاهد، عن محمّد بن إسحاق، عن شريك بن عبداللّه النخعى، عن أبى ربيعة الإيادى، عن ابن بريدة، عن أبيه أنّ النبى صلّى اللّه عليه وآله قال: إنّ لكلّ نبىّ وصيّاً ووارثاً، وإنّ عليّاً وصيّى ووارثى».

وأخرجه الحافظ ابن عدى؛ إذ قال بترجمة شريك بن عبداللّه النخعى: «قد روى عنه من الأجلّاء: محمّد بن إسحاق صاحب المغازى و ...فأمّا حديث محمّد بن إسحاق، فحدّثنا محمّد بن منير، ثنا على بن سهل، ثنا محمّد بن حميد، ثنا سلمة، حدّثنى محمد بن إسحاق، عن شريك بن عبداللّه، عن أبى ربيعة الإيادى، عن ابن بريدة، عن أبيه: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: لكلّ نبىّ وصىّ ووارث، وإنّ عليّاً وصيّى ووارثى» «۲».

أقول: وقد تُكلّم فى هذا الحديث؛ لأنّ فيه: (محمد بن حُميد

---

(۱) الموضوعات ۱/ ۳۷۶.

(۲) الكامل فى ضعفاء الرجال ۵/ ۲۱.

الرازى)، فمن هو هذا الرجل؟

قال المزّى: «روى عنه: أبو داود والترمذى وابن ماجة».

ثمّ ذكر فى الرواة عنه: أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى الذهلى، ويحيى بن معين، وعبداللّه بن محمد بن عبدالعزيز البغوى، ومحمد بن إسحاق الصاغانى، ومحمد بن جرير الطبرى، وعبداللّه بن أحمد بن حنبل...

ثمّ ذكر كلمات المدح والذمّ «۱».

وقال الخطيب البغدادى: «قدم بغداد وحدّث بها عن ... روى عنه:

أحمد بن حنبل، وابنه عبداللّه بن أحمد، والحسن بن على بن شبيب المعمرى، وأحمد بن على الأبار، وعبداللّه بن محمد البغوى، ومحمد ابن محمد الباغندى، وغيرهم» ... ثمّ ذكر كلمات المدح والذمّ له «۲».

وقال ابن عدى: «محمد بن حميد: أبو عبداللّه الرازى، حدّثنى محمّد بن ثابت، سمعت بكر بن مقبل يقول: سمعت أبا زرعة الرازى يقول: ثلاثة ليس لهم عندنا محاباة، فذكر فيهم محمّد بن حميد.

سمعت محمد بن إبراهيم المنقرى يقول: سمعت فضلك الصائغ يقول: قال أبو زرعة الرازى: سمعت أبا عبداللّه محمد بن حميد وكان

---

(۱) تهذيب الكمال ۲۵/ ۹۹.

(۲) تاريخ بغداد ۲/ ۲۵۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷۵

عندى ثقة. ذكره فى قصّة.

حدّثنا الجنيدى، ثنا البخارى، قال: محمد بن حميد الرازى، عن يعقوب القمّى وجرير، فيه نظر.

سمعت ابن حمّاد يقول: قال السعدى: محمد بن حميد الرازى كان ردىء المذهب، غير ثقة.

ثنا القاسم بن زكريا، ثنا محمد بن حميد، حدّثنا على بن مجاهد وحكام وهارون، عن عنبسة، عن أبى هاشم الواسطى، عن ميمون بن سياه، عن أنس، عن النبى صلّى اللّه عليه وآله فى قوله: «سِدْرَةِ الْمُنْتَهى» «۱»

، قال شجرة نبق.

حدّثنا أحمد بن محمد بن عبدالعزيز بن الجعد، ثنا محمد بن حميد، ثنا جرير، عن سليمان بن أرقم، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر: أنّه سمع النبىّ صلّى اللّه عليه وآله يقرأ: «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ» «۲»

، وسمعته يقول: «بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فى صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» «۳».

ثنا إسماعيل بن حمّاد أبو النضر، ثنا محمّد بن حميد، حدّثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة بن سعيد، عن سالم الأفطس، عن

---

(۱) سورة النجم: الآية ۱۴.

(۲) سورة الرعد: الآية ۴۳.

(۳) سورة العنكبوت: الآية ۴۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷۶

الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة: إنّ النبى صلّى اللّه عليه وآله قال: قوموا فصلّوا على أخيكم النجاشى، فصفّوا خلفه كما يصفّون على الجنازة، وكبّر عليه أربعاً.

قال الشيخ: وتكثرتْ أحاديث ابن حُميد التى أُنكرت عليه إن ذكرناها، على أنّ أحمد بن حنبل قد أثنى عليه خيراً، لصلابته فى السنّة» «۱».

وإنّما ذكرنا كلام ابن عدى بتمامه، لأُمور:

الأوّل: إنّه قد أورد حديث الوصيّة بترجمة شريك، ولم يورده بترجمة محمد بن حميد، مع أنّه قد أورد أحاديث أُخر.

والثانى: إنّه قد استشهد بحديث الوصيّة لرواية محمد بن إسحاق عن شريك، ولم يذكر حديثاً آخر- بخلاف غير ابن إسحاق من الرواة عن شريك، فذكر أكثر من حديث- وذلك ظاهر فى أنّ لا رواية له عنه غيرها، فلو كان حديث الوصيّة موضوعاً لما استشهد به على كون شريك من مشايخ ابن إسحاق.

والثالث: إنّ ابن عدى لم يقدح فى محمّد بن حميد، بل إنّ كلمته فى آخر كلامه بترجمته ظاهرةٌ فى المدح، غير أنّ فى أحاديثه ما أُنكر عليه.

---

(۱) الكامل فى الضعفاء ۷/ ۵۲۹- ۵۳۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷۷

وبعد...

فإنّ الرجل قد تضاربت آراء العلماء فيه؛ ففى تهذيب الكمال: «قال أبو قريش محمد بن جمعة بن خلف الحافظ: قلت لمحمّد بن يحيى الذهلى: ما تقول فى محمد بن حميد؟

قال: ألا ترانى؟! هو ذا أُحدّث عنه.

قال: وكنت فى مجلس أبى بكر الصاغانى محمد بن إسحاق، فقال:

حدّثنا محمد بن حميد.

فقلت: تحدّث عن ابن حميد؟!

فقال: وما لى لا أُحدّث عنه، وقد حدّث عنه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين؟!».

وقال النسائى: ليس بثقة.

وقال البخارى: حديثه فيه نظر.

قال الجوزجانى: ردىء المذهب، غير ثقة.

ولدى التحقيق يظهر: إنّ الموثّقين له أكثر وأكبر ممّن تكلّم فيه، لا- سيّما وأنّ المنقول عن البخارى: «حديثه فيه نظر»، فليس النظر فيه نفسه، كما أنّ مفاد كلام الجوزجانى هو الطعن فى مذهبه، لكنّ المنقول عن أحمد أنّه قد أثنى عليه خيراً «لصلابته فى السُنّة»؛ فكيف الجمع بين هذا وكونه ردىء المذهب؟!

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷۸

بل لقد وقع التضارب بين رأى أحمد، ورأى البخارى فى حديثه؛ ففى الكامل عن البخارى: «محمد بن حميد الرازى، عن يعقوب القمّى وجرير، فيه نظر»، لكن فى تاريخ بغداد عن أحمد: «أمّا حديثه عن ابن المبارك وجرير، فهو صحيح».

وفى الكامل: «على أنّ أحمد بن حنبل قد أثنى عليه خيراً لصلابته فى السُنّة»، لكن فى الميزان: «قال أبو على النيسابورى: قلت لابن خزيمة: لو أخذت الإسناد عن ابن حميد؛ فإنّ أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه؟ قال: إنّه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه ما أثنى عليه أصلًا».

بل لقد نسبت الآراء المتضاربة إلى الواحد منهم؛ ففى الكامل: «عن فضلك الصائغ، عن أبى زرعة، أنّه وثّق محمد بن حميد»، لكن فى الميزان: «كذّبه أبو زرعة»!!

وتلّخص:

۱- إنّ محمد بن حميد الرازى من رجال ثلاثة من الصحاح الستّة...

۲- إنّه من مشايخ عدّةٍ كبيرةٍ من الأئمة الأعلام الّذين لا تجوز نسبة الرواية عن الكذّابين إليهم، وإلّا لتوّجه الطعن عليهم.

۳- إنه قد وثقه غير واحدٍ من الأئمة المرجوع إليهم عندهم فى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۷۹

الجرح والتعديل.

۴- إنّ كلمات القوم فى الأكثر ترجع إنكار بعض أحاديث الرجل.

۵- نعم، قد طعن فيه الجوزجانى، لكنّه من مشاهير النّواصب «۱»، وطعن فيه أيضاً ابن خراش، الّذى كذّب حديث «انّا معاشر الأنبياء ...»

وخرَّج مثالب أبى بكر وعمر «۲».

۶- إنّ الرجل برىء من تلك الأحاديث التى أنكروها عليه؛ ولذا قال المزّى فى تهذيب الكمال: «قال أبو بكر بن أبى خيثمة: سئل يحيى بن معين عن محمّد بن حميد الرازى؟

فقال: ثقة ليس به بأس، رازى كيّس.

وقال على بن الحسين بن الجنيد الرازى، سمعت يحيى بن معين يقول: ابن حميد ثقة، وهذه الأحاديث التى يحدّث بها ليس هو من قبله، إنّما هو من قبل الشيوخ الّذين يحدّث عنهم».

وحديث الوصيّة ليس منها؛ لأنّه قد ذكر- فى الكامل وتبعه فى الميزان- بترجمة «شريك القاضى» وهو من شيوخه الثقات، وهنا تحيّر الذهبى، فكذّب بالحديث زوراً وبهتاناً: «ولا يحتمله شريك».

---

(۱)

تذكرة الحفّاظ ۲/ ۴۵۹، تهذيب التهذيب ۱/ ۱۵۹.

(۲) سير أعلام النبلاء ۱۳/ ۵۰۹.

قلت:

ولماذا لا يحتمله شريك، وقد رويتم عنه بالأسانيد أنّه روى عن أبى إسحاق، عن أبى وائل، عن حذيفة، عن النبى صلّى اللَّه عليه وآله، قال: «علىّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر»؟!

قال ابن عدى: «وقول شريك رواه رجل من أهل الكوفة يقال له:

الحرّ بن سعيد، وقد رواه عن الحرّ غير واحدٍ. وروى عنه أحمد بن يحيى الصوفى وقال: ثنا الحرّ بن سعيد النخعى- وكان من خيار الناس-» «۱».

فظهر: أنّه ليس الراوى عنه بعض الكذّابين، كما زعم الذهبى ذلك زوراً وبهتاناً «۲».

هذا، وقد عرفت أنّ لهذا الحديث طرقاً عديدة، ومنها طريق الحاكم- وليس فيه محمد بن حميد- وقد أخرجه ابن الجوزى؛ إذ قال:

«أنبأنا زاهربن طاهر، قال: أنبأنا أبو بكر البيهقى، قال: أنبأنا الحاكم أبو عبداللَّه النيسابورى، قال: أنبأنا محمود بن محمد أبو محمد المطوعى، قال: حدّثنا أبو حفص محمد بن أحمد بن رازبه، قال: حدّثنا أبو عبدالرحمن أحمد بن عبداللَّه الفريانى، قال: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن شريك بن عبداللَّه، عن أبى ربيعة الإيادى،

---

(۱) الكامل فى ضعفاء الرجال ۵/ ۱۴- ۱۵.

(۲) ميزان الاعتدال ۲/ ۲۷۱- ۲۷۲.

عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «إنّ لكلّ نبى وصيّاً ووارثاً، وإنّ وصيّى ووارثى علىّ بن أبى طالب».

قال ابن الجوزى: «الفريانى؛ قال ابن حبّان: كان يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم..

وفيه: سلمة؛ قال ابن المدينى: رمينا حديث سلمة بن الفضل» «۱».

أمّا صاحب تنزيه الشريعة فلم يقل إلّا: «حديث: لكلّ نبىّ وصىّ وإنّ علياً وصيّى ووارثى (حا) من طريق أحمد بن عبداللَّه الفريانى» «۲».

اشارة

هـذا حديث الدار فى يوم الإنذار، حين أنزل اللَّه عزّوجلّ «وَأَنْذِرْ عَشـيرَتَکَ الْأَقْرَبينَ»، فدعاهم إلى دار عمّه، وهم يومئذ أربعون رجلًا، يزيدون رجلًا أو ينقصونه، وفيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعبّاس وأبو لهب، والحديث فى ذلک من صـحاح السُـنن المأثورة، وفى آخره قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

يا بنى عبدالمطلب؛ إنّى- واللَّه- ما أعلم شابّاً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخيرالدنيا والآخرة، وقد أمرنى اللَّه أنْ

---

(۱) كتاب الموضوعات ۱/ ۳۷۶.

(۲) تنزيه الشريعة المرفوعة ۱/ ۳۵۶. و «الغريانانى» غلط مطبعى.

أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرنى على أمرى هذا؟!!

فقال علىّ وكان أحدثهم سناً: أنا يا نبىّ اللَّه أكون وزيرک عليه.

فأخذ رسول اللَّه برقبة على، وقال: إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرک أن تسمع لأبنک وتطيع. انتهى.

أخرجه بهـذه الألفاظ كثير من حفظة الآثار النبوية، كابن إسـحاق، وابن جرير، وابن حاتم، وابن مردويه، وأبى نعيم، والبيهقى فى سـننه وفى دلائله، والثعلبى والطبرى فى تفسير سورة الشعراء من تفسيرهما الكبيرين.

وأخرجه الطبرى أيضاً فى الجزء الثانى من كتابه «تاريخ الأُمم والملوک» «۱».

وأرسله ابن الأثير إرسال المسلّمات فى الجزء الثانى من كامله «۲»، عند ذكره أمراللَّه نبيّه بإظهار دعوته.

وأبو الفداء فى الجزء الأوّل من تاريخه «۳»، عند أوّل مَنْ أسلم من الناس.

---

(۱) تاريخ الأُمم والملوک (تاريخ الطبرى): ۳۲۰- ۳۲۲، بطرق مختلفة.

(۲) الكامل فى التاريخ ۲/ ۶۰.

(۳) المختصر فى أحوال البشر ۱/ ۱۱۶.

ونقله الإمام أبو جعفر الإسكافى المعتزلى فى كتابه: نقض العثمانية، مصرّحاً بصحّته «۱».

وأورده الحلبى فى باب استخفائه صلّى اللَّه عليه وآله وأصحابه فى دار الأرقم «۲»، من سيرته المعروفة.

وأخرجه بهـذا المعنى مع تقارب الألفاظ غير واحـد من أثبات السُـنّة وجهابذة الحديث، كالطحاوى، والضـياء المقدسـى فى المختارة، وسعيد بن منصور فى السُنن.

وحسبک ما أخرجه أحمد بن حنبل من حديث علىّ فى ص ۱۷۸ وفى ص ۲۵۷ من الجزء الأوّل من مسنده، فراجع.

وأخرج فى أوّل ص ۵۴۴ من الجزء الأوّل من مسنده أيضاً حديثاً جليلًا عن ابن عباس يتضمّن هذا النصّ فى عشر خصائص ممّا امتاز به علىّ على مَنْ سواه.

---

(۱) شـرح نهـج البلاغة، لابن أبى الحديد، ۱۳/ ۲۱۱، مكتبـة السـيد المرعشـى قم، تحقيق أبى الفضـل إبراهيم، كنز العمّال: ۱۳/ ۱۱۴،

۳۶۳۷۱، تفسير الطبرى: ۱۹/ ۱۴۹، ط دار الفكر، تفسير ابن كثير: ۳/ ۳۶۴، ط، دار المعرفة، الدر المنثور: ۵/ ۹۷، ط، دار المعرفة. تاريخ مدينة دمشق: ۴۲/ ۴۹، ط دار الفكر، تاريخ الطبرى: ۲/ ۶۳، ط، مؤسسة الأعلمى.

(۲) أنظر: الصفحة الرابعة من ذلك الباب، أو ص ۲۸۳ من الجزء الأوّل من السيرة الحلبية.

وذلك الحديث أخرجه النسائى أيضاً عن ابن عبّاس فى ص ۵۲ من خصائصه العَلَوية، والحاكم فى ص ۱۳۲ من الجزء الثالث من المستدرك، وأخرجه الذهبى فى تلخيصه للمستدرك معترفاً بصحّته.

ودونك الجزء السادس من كتاب كنز العمّال، فإنّ فيه التفصيل «۱».

وعليك بكتاب منتخب الكنز وهو مطبوع فى هامش مسند الإمام أحمد، فراجع منه ما هو فى هامش ص ۴۱ إلى ص ۴۳ من الجزء الخامس تجد التفصيل؛ وحسبنا هذا ونعم الدليل «۲».

---

(۱) راجع منه: الحديث ۳۶۳۷۱ فى ص ۱۱۴ تجده منقولًا عن ابن جرير. والحديث ۳۶۴۰۸ فى ص ۱۲۸ تجده منقولًا عن أحمد فى مسنده، والضياء المقدسى فى المختارة، والطحاوى، وابن جرير وصحّحه. والحديث ۳۶۴۱۹ فى ص ۱۳۱ تجده منقولًا عن ابن إسحاق، وابن جرير، وابن حاتم، وابن مردويه، وأبى نعيم، والبيهقى فى شعب الإيمان وفى الدلائل ... والحديث ۳۶۴۶۵ ص ۱۴۹ تجده منقولًا عن ابن مردويه.. والحديث ۳۶۵۲۰ فى ص ۱۷۴ تجده منقولًا عن أحمد فى مسنده، وابن جرير، والضياء فى المختاره.

ومن تتّبع كنز العمّال وجد هذا الحديث فى أماكن أُخر شتّى، وإذا راجعت ص ۲۵۵ من المجلّد الثالث من شرح النهج للإمام المعتزلى الحديدى، أو أواخر شرح الخطبة القاصعة منه، تجد هذا الحديث بطوله.

(۲) المراجعات: ۱۱۰- ۱۱۲.

تصحيح هذا النصّ ...: ص: ۸۵

لولا اعتبار صحّته من طريق أهل السُنّة ما أوردناه هنا.

على أنّ ابن جرير والإمام أبا جعفر الإسكافى، أرسلا صحّته إرسال المسلّمات «۱».

وقد صحّحه غير واحد من أعلام المحقّقين.

وحسبك فى تصحيحه ثبوته من طريق الثقات الأثبات، الّذين احتجّ بهم أصحاب الصحاح بكلّ ارتياح.

ودونك ص ۱۷۸ من الجزء الأوّل من مسند أحمد، تجده يخرج هذا الحديث عن أسود بن عامر «۲»، عن شريك «۳»، عن

---

(۱) راجع: الحديث ۳۶۴۰۸ من أحاديث الكنز فى ص ۱۲۸ من جزئه الثالث عشر تجد هناك تصحيح ابن جرير لهذا الحديث وإذا راجعت من منتخب الكنز ما هو فى أوائل هامش ص ۴۳ من الجزء ۵ من مسند أحمد تجد تصحيح ابن جرير لهذا الحديث أيضاً.

أمّا أبو جعفر الإسكافى فقد حكم بصحّته جزماً فى كتابه نقض العثمانية، فراجع ماهو موجود فى ص ۲۴۴ من المجلّد ۱۳ من شرح نهج البلاغة للحديدى، طبع مصر.

(۲) احتجّ البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وقد سمع شعبة عندهما، وسمع عبدالعزيز بن أبى سلمة عند البخارى، وسمع عند مسلم زهير بن معاوية، وحمّاد بن سلمة، روى عنه فى صحيح البخارى محمد بن حاتم بن بزيع، وروى عنه فى صحيح مسلم هارون بن عبداللّه، والناقد، وابن أبى شيبة، وزهير.

(۳) احتجّ به مسلم فی صحیحه.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۸۶

الأعمش «۱»، عن المنهال «۲»، عن عباد بن عبداللَّه الأسدی «۳»، عن علیّ مرفوعاً.

وکلّ واحد من سلسلة هذا السند حجّة عند الخصم، وکلّهم من رجال الصحاح بلا کلام، وقد ذکرهم القیسرانی فی کتابه الجمع بین رجال الصحیحین؛ فلا مندوحة عن القول بصحّة الحدیث.

أقول:

یقع الکلام فی هذا المقام فی جهات:

الجهة الأُولی: فی متن الحدیث ورواته ... ص: ۸۶

لقد روی الشیخ علی المتّقی الهندی هذا الحدیث فی کتابه الکبیر (کنز العمّال) بعدّة ألفاظٍ، عن جمعٍ کثیرٍ من أئمّة الحدیث، ونحن نورد هنا محلّ الحاجة، ومَنْ أراد النصوص الکاملة فلیرجع إلیه:

(۳۶۴۰۸ ...)- «عن علیّ، قال: لمّا نزلت هذه الآیة «وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ

---

(۱) احتجّ به البخاری ومسلم فی صحیحیهما.

(۲) احتجّ به البخاری.

(۳) هو عباد بن عبداللَّه بن الزبیر بن العوّام القرشی الأسدی، احتجّ به البخاری ومسلم فی صحیحیهما، سمع أسماء وعائشة بنتی أبی بکر، وروی عنه فی الصحیحین ابن أبی ملیکة، ومحمد بن جعفر بن الزبیر، وهشام بن عروة.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۸۷

الْأَقْرَبِینَ» جمع النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله من أهل بیته، فاجتمع ثلاثون، فأکلوا وشربوا، فقال لهم: مَنْ یضمن عنّی دینی ومواعیدی ویکون معی فی الجنّة ویکون خلیفتی فی أهلی؟ وقال رجل: یا رسول اللَّه؟ أنت کنت بحراً، مَنْ یقوم بهذا؟! ثمّ قال الآخر. فعرض هذا علی أهل بیته واحداً واحداً.

فقال علیّ: أنا.

حم، وابن جریر وصحّحه، والطحاوی، والضیاء» «۱».

(۳۶۴۴۱۹ ...)- «عن علیٍّ، قال: لمّا نزلت هذه الآیة علی رسول اللَّه «وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ ...» تکلّم النبیّ صلّی اللَّه علیه وآله فقال: یا بنی عبدالمطّلب! إنّی- واللَّه- ما أعلم شابّاً فی العرب جاء قومه بأفضل ما جئتکم به، إنّی قد جئتکم بخیر الدنیا والآخرة، وقد أمرنی اللَّه أن أدعوکم إلیه، فأیّکم یؤازرنی علی أمری هذا «۲»؟

فقلت- وأنا أحدثهم سنّاً وأرمصهم عیناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً-: أنا یا نبیّ اللَّه أکون وزیرک علیه.

---

(۱) کنز العمّال ۱۳/ ۱۲۸- ۱۲۹، و «حم»: رمز أحمد فی المسند، و «الضیاء»: هو المقدسی صاحب کتاب المختارة.

(۲) وفی تفسیر البغوی ۴/ ۲۷۸- الملتزم فیه بالصحّة- توجد هنا إضافة: «ویکون أخی ووصیّی وخلیفتی فیکم».

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۸۸

فأخذ برقبتی فقال: إنّ هذا أخی ووصیّی وخلیفتی فیکم، فاسمعوا له وأطیعوا. فقام القوم یضحکون ویقولون لأبی طالب: قد أمرک أن تسمع وتطیع لعلیّ.

ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقى معاً فى الدلائل» «۱».

(۳۶۴۶۵ ...)- «عن علىّ، قال: لمّا نزلت هذه الآية «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» دعا بنى عبدالمطّلب ... ثمّ قال لهم- ومدّ يده-: مَنْ يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووليّكم من بعدى؟!

فمددت وقلت: أنا أبايعك، وأنا يومئذٍ أصغر القوم، عظيم البطن، فبايعنى على ذلك (... قال:) وذلك الطعام أنا صنعته.

ابن مردويه» «۲».

(۳۶۵۲۰ ...)- «عن علىٍّ إنّه قيل له: كيف ورثت ابن عمّك دون عمّك؟!

فقال: جمع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بنى عبدالمطّلب...

فقال: يا بنى عبدالمطّلب! إنّى بعثت إليكم خاصّة وإلى الناس عامّةً، وقد

---

(۱) كنز العمّال ۱۳/ ۱۳۱- ۱۳۳.

(۲) المصدر ۱۳/ ۱۴۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۸۹

رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيّكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى؟ فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه- وكنت من أصغر القوم- فقال: اجلس. ثمّ قال ثلاث مرّات. كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لى:

اجلس. حتّى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى. قال: فلذلك ورثت ابن عمّى دون عمّى.

حم، وابن جرير، والضياء» «۱».

أقول:

وهذا سند الرواية الأُولى- التى رواها المتّقى برقم (۳۶۴۰۸) عن أحمد، وابن جرير وصحّحه، والطحاوى، والضياء- فى مسند أحمد: «أسود بن عامر، ثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبداللَّه الأسدى، عن علىٍّ» «۲».

وهذا سند الرواية الأخيرة- التى رواها برقم (۳۶۵۲۰) عن أحمد، وابن جرير، والضياء- فى مسند أحمد: «عفّان، ثنا أبو عوانة، عن عثمان ابن المغيرة، عن أبى صادق، عن ربيعة بن ناجذ، عن علىٍ رضى اللَّه عنه، قال: جمع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بنى عبدالمطّلب» «... ۳».

---

(۱) كنز العمّال ۱۳/ ۱۷۴.

(۲) مسند أحمد ۱/ ۱۷۸.

(۳) المصدر ۱/ ۲۵۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۰

وقد أخرج الحافظ الهيثمى الرواية الأُولى، ثمّ قال: «رواه أحمد، ورجاله ثقات» «۱».

وأخرج النسائى أيضاً الرواية الأخيرة- بسند أحمد بن حنبل نفسه- فى خصائص سيّدنا أمير المؤمنين عليه السلام «۲»، وأهل العلم يعلمون بأنّ هذا الكتاب جزء من سنن النسائى. ولا يخفى عليهم أيضاً صحّة السند المذكور.

وأخرجه الهيثمى: «عن علىٍّ، قال: لمّا نزلت «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: يا علىّ! اصنع رجل شاةٍ بصاع من طعام واجمع لى بنى هاشم ... فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول اللَّه فقال: أيّكم يقضى عنّى دينى؟ قال: فسكت وسكت القوم. فأعاد رسول اللَّه المنطق. فقلت: أنا يا رسول اللَّه. فقال: أنت يا علىّ، أنت يا علىّ.

رواه البزّار- واللفظ له- وأحمد باختصار، والطبرانی فی الأوسط باختصارٍ أیضاً، ورجال أحمد وأحد إسنادی البزّار رجال الصحیح غیر شریک وهو ثقة».

---

(۱) خصائص أمیرالمومنین علیّ ۶۶ رقم ۹۹.

(۲) مجمع الزوائد ۸/ ۳۰۲.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۹۱

أقول:

فهذه نصوص الحدیث، وهؤلاء رواته.

وأمّا من حیث السند، فقد رأیتَ کیف ینصّون علی صحّته.

وأمّا من حیث الدلالة، فکلُّ لفظٍ دلیل علی إمامة علیٍّ علیه السلام بعد رسول اللّه، وهو بمجموع ألفاظه من أقوی النصوص سنداً ودلالةً علی ذلک.

ویضاف إلی جهة السند ...: ص: ۹۱

۱- الحدیث من روایات تفسیر الطبری، وابن أبی حاتم الرازی، والبغوی، وقد احتجَّ ابن تیمیّة فی منهاج السُنّة بهذه الکتب «۱»، ووصف الطبری وابن أبی حاتم- وجماعةٍ من المفسّرین- بأنّهم: «لم یذکروا الموضوعات» «۲»، وبأنّهم: «الّذین لهم فی الإسلام لسان صدق، وتفاسیرهم متضمّنة للمنقولات التی یعتمد علیها فی التفسیر» «۳».

۲- الحدیث من روایات کتاب المختارة للضیاء المقدسی، وهو

---

(۱) أنظر: احتجاجه بتفسیر البغوی فی منهاج السُنّة ۱/ ۴۵۷.

(۲) منهاج السُنّة ۷/ ۱۳.

(۳) المصدر ۷/ ۱۷۸- ۱۷۹.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۱، ص: ۹۲

ممّن التزم بالصحّة، بل قال الحافظ ابن حجر- لإثبات صحّة أحد الأحادیث-: «قلت: وأخرجه الضیاء فی المختارة من المعجم الکبیر للطبرانی (... قال) وابن تیمیّة یصرّح بأنّ أحادیث المختارة أصحّ وأقوی من أحادیث المستدرک» «۱».

۳- الحدیث من جملة الفضائل العشر المختصّة بأمیر المؤمنین علیه السلام، فی الصحیح عن ابن عبّاس.

الجهة الثانیة: فی النظر فی کلام ابن تیمیّة ...: ص: ۹۲

والآن، فلننظر فی کلام ابن تیمیّة حول هذا الحدیث، وهذا نصّه:

«هذا الحدیث لیس فی شیء من کتب المسلمین التی یستفیدون منها علم النقل، لا فی الصحاح ولا فی المسانید والسُنَن والمغازی والتفسیر التی یذکر فیها الإسناد الذی یحتجّ به، وإذا کان فی بعض کتب التفسیر التی ینقل منها الصحیح والضعیف، مثل تفسیر الثعلبی والواحدی والبغوی، بل وابن جریر وابن أبی حاتم، لم یکن مجرّد روایة واحدٍ من هؤلاء دلیلًا علی صحّته...

(قال:) إنّ هذا الحدیث کذب عند أهل المعرفة بالحدیث، فما من عالمٍ یعرف الحدیث إلّاوهو یعلم أنّه کذب موضوع، ولهذا لم یرْوه

أحد منهم فى الكتب التى يرجع إليها فى المنقولات، لأنّ أدنى مَنْ له معرفة

---

(۱) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۷/ ۲۱۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۳

بالحديث يعلم أنّ هذا كذب...

(قال:) وقد رواه ابن جرير، والبغوى بإسنادٍ فيه عبدالغفّار بن القاسم بن فهد أبو مريم الكوفى، وهو مجمع على تركه ... ورواه ابن أبى حاتم، وفى إسناده عبداللّه بن عبدالقدّوس، وهو ليس بثقة...

(قال:) إنّ بنى عبدالمطّلب لم يبلغوا أربعين رجلًا حين نزلت هذه الآية...

(قال:) ليس بنو هاشم معروفين بمثل هذه الكثرة فى الأكل، ولا عرف فيهم مَنْ كان يأكل جذعةٍ، ولا يشرب فرقاً...

(قال:) إنّ الذى فى الصحاح من نزول هذه الآية غير هذا» «... ۱».

أقول:

أوّلًا: إنّ هذا الحديث موجود فى سنن النسائى «۲»، ومسند أحمد، ومسند البزّار، وفى المعجم الأوسط للطبرانى، والمختارة للضياء، وغيرها من كتب الحديث ... كما عرفت.

ورواه ابن إسحاق صاحب المغازى...

وهو فى كثير من التفاسير المعتمدة.

---

(۱) منهاج السُنّة ۷/ ۲۹۹- ۳۰۷.

(۲) السُنن الكبرى ۵/ ۱۲۵/ ۸۴۵۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۴

وعرفت أنّ عدّةً من أسانيده صحيحة، بإعتراف الحافظ الهيثمى، الذى هو عندهم من نقّاد الحديث، وأنّ جمعاً من أكابرهم يقولون بصحّته ... وأنّ البيهقى وأبا نعيم الأصبهانى يجعلان القضية من دلائل النبوّة.

فكلام ابن تيميّة يشتمل على أكاذيب لا كذبة واحدة.

وثانياً: قد عرفت أنّ غير واحدٍ من أسانيده الصحيحة ليس فيه «عبدالغفّار» ابن القاسم» ولا «عبداللّه بن عبدالقدّوس».

وثالثاً: إنّ «عبدالغفّار بن القاسم» ليس بمجمعٍ على تركه، بل هو مختلف فيه.

قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو حاتم: ليس بمتروكٍ، وكان من رؤساء الشيعة» «۱».

ونقلوا عن شعبة بن الحجّاج أنّه كان يروى عنه، ويثنى عليه، ويقول: لم أر أحفظ منه «۲».

وعن ابن عقدة أنّه كان يثنى عليه ويطريه؛ قال ابن عدى: وتجاوز الحدّ فى مدحه حتّى قال: لو انتشر علم أبى مريم وخرّج حديثه لما احتاج الناس إلى شعبة.

---

(۱) تعجيل المنفعة: ۲۹۷.

(۲) المصدر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۵

قال ابن عدى: وإنّما مال إليه ابن عقدة هذا الميل لإفراطه فى التشيّع «۱».

قلت: وإنّما تكلّم مَنْ تكلّم فى أبى مريم، لأنّه كان يحدّث ببلايا عثمان وعائشة «۲».

ورابعاً: إنّ «عبداللّه بن عبدالقدّوس» من رجال البخارى فى التعاليق، ومن رجال الترمذى، وأخرج له أبو داوُد، وذكره ابن حبّان فى الثقات.

وقال البخارى: هو فى الأصل صدوق إلّاأنّه يروى عن أقوامٍ ضعاف، وقال يحيى بن المغيرة: أمرنى جرير أنْ أكتب عنه حديثاً، وقال ابن عدى: عامّة ما يرويه فى فضائل أهل البيت «۳».

وهذا هو الذنب الوحيد!! ولذا قال الحافظ فى التقريب: «صدوق رُمِىَ بالرفض» «۴».

وقد تقدّم أنّ الرفض غير مضرّ.

وخامساً: إنّ التشكيك فى صحّة الحديث بأنّ بنى عبدالمطّلب ما

---

(۱) الكامل ۷/ ۱۸.

(۲) تعجيل المنفعة: ۲۹۷.

(۳) تهذيب التهذيب ۵/ ۲۶۵.

(۴) تقريب التهذيب ۱/ ۴۳۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۶

كانوا يبلغون الأربعين، وأنّهم ما كانوا بهذا القدر يأكلون، لا يُصغى إليه، ولا رواج له عند مَن يفهمون...

وكذلك المعارضة بما ورد فى بعض كتبهم فى شأن نزول الآية، فالحديث الذى نستند إليه متفق عليه، ولا يعارضه ما انفردوا به، كما لا يخفى على أهل الدراية.

الحديث الخامس ... ص: ۹۶

نصّ الحديث كما ذكره الحافظ الكنجى الشافعى:

أخبرنا المعمر أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغرى، أخبرنا الشيخان ابن البطى والكاغذى، قال أبو الفتح: أخبرنا أبو الفضل بن خيرون، وقال أبو المظفر، أخبرنا أبو بكر أحمد بن على الطريثيثى قالا:

أخبرنا أبو على بن شاذان، أخبرنا عبداللّه بن جعفر بن درستويه، أخبرنا الحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفارسى الفسوى فى مشيخته، حدّثنا أبو طاهر محمد بن قسيم «۱» الحضرمى، حدّثنا حسن بن حسين العرنى، حدّثنى يحيى بن عيسى الرملى، عن الأعمش، عن حبيب بن أبى ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لأمّ سلمة: «هذا على بن أبى طالب لحمه من لحمى ودمه

---

(۱) هذا خطأ مطبعى أو تصحيف من النسّاخ، والصحيح: تسنيم.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۷

من دمى، وهو منّى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبىّ بعدى يا أم سلمة هذا على أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، «ووعاء علمى ووصيى» وبابى الذى أوتى منه، أخى فى الدنيا والآخرة، ومعى فى المقام الأعلى، يقتل القاسطين والناكثين والمارقين».

أقول:

أمّا رجال السند حتى الفسوى صاحب المشيخة، فهم من كبار الحفّاظ والمشايخ الأعلام، ولا حاجة إلى التطويل بذكر تراجمهم.

و (الفسوى) هو:

يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسى أبو يوسف بن أبى معاوية الفسوى الحافظ، صاحب التصانيف المشهورة، هكذا وصفه المزى.

وقال أيضاً: قال النسائى: لا بأس به.

وقال: وذكره ابن حبّان فى كتاب الثقات، وقال: كان ممّن جمع وصنّف وأكثر، مع الورع والنُسك والصلابة فى السُنّة «۱».

وقال ابن حجر فى تقريبه: يعقوب بن سفيان الفارسى، أبو يوسف الفَسَوى، ثقة حافظ، من الحادية عشرة، مات سنة ۲۷۷.

وهو من رجال النسائى وابن ماجة «۲».

---

(۱) تهذيب الكمال ۳۲/ ۳۲۴، رقم ۷۰۸۸.

(۲) التقريب ۲/ ۱۰۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۸

وقال الذهبى: الإمام الحافظ، الحجّة، الرحال، محدِّث إقليم فارس، أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسى «... ۱».

و (الحسن العرنى) قد وثّقه الذهبى تبعاً للحاكم «۲»، فلا كلام فيه.

وهو يرويه عن:

(يحيى بن عيسى التميمى) النهشلى، الفاخورى، الكوفى نزيل الرملة، صدوق ورمى بالتشيع مات سنة ۲۰۱، وهو من رجال البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى وابن ماجة. هذا ما قاله ابن حجر «۳».

وقال المزى: يحيى بن عيسى بن عبدالرحمان التميمى النهشلى أبو زكريا الكوفى الجرار الفاخورى سكن الرملة. قال أبو داود: بلغنى عن أحمد بن حنبل أنّه أحسن الثناء عليه. وقال العجلى: ثقة، وكان فيه تشيع «۴».

وهو يرويه عن (الأعمش) وهو من رجال الصحاح الستّة «۵». وهو

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۱۳/ ۱۸۰، رقم ۱۰۶.

(۲) المستدرك ۳/ ۲۱۱.

(۳) تقريب التهذيب ۲/ ۳۵۵، رقم ۱۴۵.

(۴) تهذيب الكمال ۳۱/ ۴۸۸ رقم ۶۸۹۶.

(۵) تقريب التهذيب ۱/ ۳۳۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۹۹

يرويه عن (حبيب بن أبى ثابت) هو قيس، ويقال هند بن دينار الأسدى، مولاهم، أبو يحيى الكوفى. ثقة فقيه جليل «۱».

فالحديث صحيح بلا كلام.

الحديث السادس ... ص: ۹۹

قال الحافظ الكنجى:

أخبرنا أبو الحسن بن أبى عبداللّه، عن المبارك بن الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو القاسم بن أحمد، حدّثنا حسين بن إسحاق التسترى، حدّثنا محمد بن صباح الجرجانى، حدّثنا محمد بن كثير، حدّثنا حارث بن حصيرة، عن أبى صادق، عن مخنف بن سليم، قال: أتينا أبا أيوب الأنصارى وهو يعلف خيلًا له، قال: فقلنا عنده فقلتُ له: يا أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ثم جئتَ

تقاتل المسلمين، قال: «إنَّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله أمرنى بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلتُ الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء اللَّه المارقين بالسعفات بالطرقات بالنهروانات وما أدرى أين هو».

نقول:

حديث وصية النبىّ (صلّى اللَّه عليه وآله) لعلى بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، عن أبى أيّوب الأنصارى، أخرجه الحاكم فى

---

(۱) تقريب التهذيب ۱/ ۱۴۸، رقم ۱۰۶.

مستدركه بإسنادين، حيث قال:

حدّثنا أبو سعيد أحمد بن يعقوب الثقفى، حدّثنا الحسن بن على بن شبيب المعمرى، حدّثنا محمد بن حميد، حدّثنا سلمة بن الفضل، حدثنى أبو زيد الأحول، عن عقاب بن ثعلبة، حدثنى أبو أيوب الأنصارى فى خلافة عمر بن الخطاب، قال: أمر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله علىَّ بن أبى طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين».

(قال): حدّثنا أبو بكر بن بالويه، حدّثنا محمد بن يونس القرشى، حدّثنا عبدالعزيز بن الخطاب، حدّثنا على بن غراب بن أبى فاطمة، عن الأصبغ بن نباته، عن أبى أيوب الأنصارى رضى اللَّه عنه قال سمعت النبى صلّى اللَّه عليه وآله يقول لعلىّ بن أبى طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات، قال أبو أيوب: قلت: يا رسول اللَّه مع مَنْ نقاتل هؤلاء الأقوام؟

قال: مع على بن أبى طالب» «۱».

لكنّ الحديث من أصحّ الأحاديث المشهورة- وإنْ حاول مثل ابن تيميّة تكذيبه «۲» - فقد رواه أئمة الحديث بأسانيدهم عن عدّةٍ من الصّحابة، كعلىّ أمير المؤمنين، وعبداللَّه بن مسعود وأبى سعيد

---

(۱) المستدرك ۳/ ۱۳۹- ۱۴۰.

(۲) منهاج السنة ۶/ ۱۱۲.

الخدرى، وعمّار بن ياسر...

ومن الأئمة والحفاظ الذين رووه عن هؤلاء الأصحاب وغيرهم:

محمد بن جرير الطبرى، أبو بكر البزار، أبو يعلى الموصلى، ابن مردويه، أبو القاسم الطبرانى، الحاكم النيسابورى، الخطيب البغدادى، إبن عساكر الدمشقى، إبن الأثير الجزرى، جلال الدين السيوطى، ابن كثير الشافعى، المحب الطبرى، أبو بكر الهيثمى، المتقى الهندى.

ونحن نذكر هنا بعض الأسانيد المعتبرة لهذا الحديث:

أخرج الحافظ أبو بكر الهيثمى فى (باب ما كان بينهم يوم صفين):

«عن على قال: عهد إلىَّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى قتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وفى روايةٍ: أُمِرْتُ بقتال الناكثين. فذكره.

رواه البزّار والطبرانى فى الأوسط. وأحد إسنادى البزّار رجاله رجال الصحيح غير الرّبيع بن سعيد ووثّقه ابن حبان» «۱».

قال: «وعن أبى سعيد عقيصا قال: سمعت عمّاراً- ونحن نريد صفّين- يقول: أمرنى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بقتال الناكثين

---

(۱) مجمع الزوائد- كتاب الفتن، باب فيما كان بينهم يوم صفين رضى اللَّه عنهم- ۷/ ۲۳۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۰۲

والقاسطين والمارقين.

رواه الطبرانى. وأبو سعيد متروك» «۱».

قلت: ليس متروكاً، فقد أخرج الحاكم والذهبى بإسنادهما حديث:

«على مع القرآن والقرآن مع على لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض» فقالا: «هذا حديث صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمى هو عقيصاء ثقة مأمون» «۲».

قال: «وعن قيس بن أبى حازم قال قال على: إنفروا إلى بقيّة الأحزاب، إنفروا بنا إلى ما قال اللَّه ورسوله، إنا نقول: صدق اللَّه ورسوله، ويقولون: كذب اللَّه ورسوله.

رواه البزّار بإسنادين، فى أحدهما يونس بن أرقم، وهو ليّن. وفى الآخر السيّد بن عيسى قال: الأزدى: ليس بذاك. وبقيّة رجالهما ثقات» «۳».

قلت: أمّا (يونس بن أرقم) فيكفى أنّا لم نجد له جرحاً، وإنّما ليّنه ابن خراش فقط، بل إنّ أبا حاتم الرازى- على تعنّته فى الرجال كما وصفه الذهبى بترجمته فى سير أعلام النبلاء- لم يقدح فيه، بل وثّقه

---

(۱) مجمع الزوائد- كتاب الفتن، باب كان بينهم يوم صفين رضى اللَّه عنهم- ۷/ ۲۳۸.

(۲) المستدرك وتلخيصه ۳/ ۱۲۴.

(۳) مجمع الزوائد ۷/ ۲۳۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۰۳

ابن حبّان، نعم قال: «كان يتشيّع» ولعلّه السبب فى تليين ابن خراش، لكنْ قد نصّ ابن حجر على عدم الإلتفات إليه «۱».

فظهر صحّة السند الأول

وأمّا (السيد بن عيسى) فلم يتكلّم فيه إلّا «الأزدى» وقد نصّ الذهبى على أنّه لا يلتفت إلى قول الأزدى «۲» وقال ابن حجر: «لا يعتبر تجريحه لضعفه هو» «۳». ثم إنّ ابن حجر ينصّ على أن ابن حبان ذكر «السيد بن عيسى» فى الثقات «۴».

الحديث السابع ... ص: ۱۰۳

قال الحافظ الكنجى:

أخبرنا أبو طالب عبداللطيف بن القبيطى والخطيب أبو تمام، قالا:

أخبرنا محمد بن عبدالباقى، أخبرنا أبو الفضل بن أحمد الأصبهانى، حدّثنا أحمد بن عبداللَّه، حدّثنا أبو بكر بن خلّاد وأبو بحر محمد بن الحسن، قالا: حدّثنا محمد بن يونس السامى، حدّثنا حماد بن عيسى

---

(۱) مقدمة فتح البارى: ۴۳۱.

(۲) ميزان الاعتدال ۱/ ۶۱.

(۳) مقدمة فتح البارى: ۴۳۰.

(۴) لسان الميزان: ۳/ ۱۳۱، رقم ۴۰۶۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۰۴

الجهنى، حدّثنا جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر: إنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قال لعلى بن أبى طالب: سلامٌ عليك يا أبا ريحانتى، وأوصيك بريحانتىّ من الدنيا خيراً، فعن قليل ينهدُّ ركناك واللَّه خليفتى عليك.

قال: فلما قُبض النبى صلّى اللَّه عليه وآله قال على: هذا أحد الركنين الذين قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، فلما ماتت فاطمة قال على: هذا الركن الثانى الذى قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله».

نقول:

وأخرجه أبو نعيم «۱» ولم يخدش فى سنده، وأيضاً أخرجه ابن عساكر «۲»، بسندٍ آخر ولم يعترض عليه وسكت، فسكوت هؤلاء الأعلام يكشف عن صحة وقوّة هذا الحديث سنداً ودلالةً.

نعم، قد تكلّم فى (حمّاد بن عيسى) المتوفى ۲۰۸. ولكن الحق والإنصاف أنّ حمّاد بن عيسى ثقة، لأنّه من رجال الصحاح، فقد أخرج عنه الترمذى وابن ماجة كما ذكر الحافظ ابن حجر «۳» فى تقريبه. هذا أوّلًا.

ثانياً: روى عنه رجال أكابر وبعضهم متعصبون، كإبراهيم

---

(۱) حلية الأولياء ۳/ ۲۰۱.

(۲) تاريخ مدينة دمشق ۱۴/ ۱۶۱.

(۳) تقريب التهذيب ۱/ ۱۹۷ رقم ۴۵۶.

الجُوزجانى، وأحمد بن سعيد الدارمى، والحسن الحُلوانى، وعباس الدورى، وعبد بن حميد، ومحمد بن موسى القّطان الواسطى، ومعلّى بن مهدى الموصلى، وغيرهم.

ثالثاً: يحيى بن مَعين قال عنه: شيخٌ صالح «۱».

الحديث الثامن ... ص: ۱۰۵

أخرج الحافظ الطبرانى:

حدّثنا محمّد بن عثمان بن أبى شيبة، حدّثنا محمد بن يزيد- هو أبو هشام الرفاعى-، حدّثنا عبداللَّه بن محمد الطهوى، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: بينما أنا مع النبى صلّى اللَّه عليه وآله فى ظل بالمدينة وهو يطلب علياً رضى اللَّه عنه إذا انتهينا إلى حائط فنظرنا فيه إلى على وهو نائم فى الأرض وقد اغبّر، فقال: «لا ألوم الناس يُكنونك أبا تراب» فلقد رأيتُ علياً تغيّر وجهه واشتد ذلك، فقال: «ألا أرضيك يا علىّ؟ قال: بلى يا رسول اللَّه، قال: أنت أخى ووزيرى تقضى دينى وتنجز موعدى وتبرىء ذمتى، فمَنْ أحبك فى حياة منى فقد قضى نحبه، ومَنْ أحبكَ فى حياةٍ منكَ بعدى ختم اللَّهُ له بالأمن والإيمان، ومَنْ أحبك بعدى ولم يرك ختم اللَّهُ له بالأمن والإيمان وأمنه يوم الفزع الأكبر،

---

(۱) تهذيب الكمال ۷/ ۲۸۲ رقم ۱۴۸۶.

ومَنْ مات وهو يبغضك يا على ماتَ ميتةً جاهلية يحاسبه اللَّهُ بما عمل فى الإسلام».

أقول:

و (محمد بن عثمان بن أبى شيبة) قال الذهبى: «كان بصيراً بالحديث والرجال، له تواليف مفيدة، وثّقه صالح جزرة، وقال ابن عدى:

لم أر له حديثاً منكراً. توفى سنة ۲۹۷» «۱».

و (محمّد بن يزيد بن محمد الرِّفاعى) الكوفى المقرىء- أبو هشام- قاضى بغداد المتوفى سنة ۲۴۸ من رجال مسلم، والترمذى، وابن ماجة القزوينى.

وقال البرقانى: هو ثقةٌ، أمرنى الدارقطنى أنْ أُخرج حديثه فى الصحيح.

وقال أحمد بن محمد مُحرز: سألتُ يحيى بن مَعين، عن أبى هشام، فقال: ما أرى به بأساً.

وقال العجلى: لا بأس به، صاحبُ قرآن، قرأ على سُليم، وولى قضاء المدائن «۲».

وأمّا (ليث) و (مجاهد) فمن رجال الصّحاح الستّة.

---

(۱) ميزان الاعتدال ۳/ ۶۴۲ رقم ۷۹۳۴.

(۲) سير أعلام النبلاء ۱۲/ ۱۵۳، رقم ۵۵.

ثمّ إنّ مورد هذا الحديث هو قضيّة المؤاخاة، فإنّه لمّا آخى النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله بين أصحابه، لم يؤاخ بين على عليه السلام وأحد من الصحابة، فذهب أمير المؤمنين عاتباً على رسول اللَّه، فجاءَ النبى وأخبره بأنه إنّما ادّخره لنفسه، وقال له هذا الكلام المشتمل على عدّة مناقب.

وقد أخرجه الطبرانى بإسنادٍ أخر له عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس- مع اختلافٍ فى اللّفظ فقال:

لمّا آخى النبى صلّى اللَّه عليه وسلّم بين أصحابه، وبين المهاجرين والأنصار، فلم يؤاخِ بين على بن أبى طالب وبين أحدٍ منهم، خرجَ علىّ مغضباً، حتّى أتى جدولًا من الأرض، فتوسّد ذراعه، فتسفى عليه الريح، فطلبه النبى صلّى اللَّه عليه وسلّم حتى وجده، فوكزه برجله، فقال له:

قم، فما صلحت أنْ تكون إلّاأبا تراب، أغضبتَ علىَّ حين آخيتُ بين المهاجرين والأنصار، ولم أُؤاخ بينكَ وبين أحدٍ منهم؟ أما ترضى أنْ تكون منّى بمنزلة هارون من موسى إلّاأنّه ليس بعدى نبى؟ ألا مَنْ أحبّك حفَّ بالأمن والإيمان، ومَنْ أبغضكَ أماته اللَّه ميتةً جاهليةً وحوسب بعمله فى الإسلام «۱».

---

(۱) المعجم الكبير ۱۱/ ۶۲، رقم ۱۱۰۹۲.

أقول:

و (محمود بن محمد المروزى) قال الحافظ الخطيب البغدادى:

«قدم بغداد وحدّث بها عن داود بن رشيد، والحسين بن على بن الأسود، وعلى بن حجر وحامد بن آدم المروزيين، وسهل بن العباس الترمذى.

روى عنه: محمد بن مخلّد، وعبدالصمد بن على الطستى، وأبو سهل بن زياد، وإسماعيل بن على الخطبى، وأبو على بن الصواف أحاديث مستقيمة».

ثمّ روى عن طريقه حديثاً، وأرّخ وفاته بسنة سبع وتسعين» «۱».

عن (حامد بن آدم)، وقد أخرج عنه الحاكم فى المستدرك «۲» وذكره ابن حبّان فى الثقات «۳» وقال ابن عدى: «لم أر فى حديثه إذا روى عن ثقةٍ شيئاً منكراً، وإنّما يؤتى ذلك إذا حدَّث عن ضعيف» «۴».

نعم، قد تكلّم فيه السعدى، لكن السعدى نفسه مجروح،

---

(۱) تاريخ بغداد ۱۳/ ۹۳.

(۲) لسان الميزان ۲/ ۱۹۹.

(۳) كتاب الثقات ۸/ ۲۱۸.

(۴) الكامل فى الضعفاء ۳/ ۴۰۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۰۹

فلا يعارَض بكلامه توثيق الحاكم وابن حبان وغيرهما.

عن (جرير)؛

عن (ليث)؛

عن (مجاهد).

وهؤلاء أئمّة أعلام، لا حاجة إلى توثيقهم.

الحديث التاسع ... ص: ۱۰۹

عن عبداللَّه بن الحارث، عن ابن عباس، عن على قال لما نزلت:

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يا علىّ اصنع رجل شاة بصاع من طعام واجمع لى بنى هاشم، وهم يومئذٍ أربعون رجلًا أو أربعون غير رجل، قال: فدعا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بالطعام الجذعة بأدامها، ثم تناول القدح فشربوا منه حتى رووا يعنى من اللبن، فقال بعضهم: ما رأينا كالسحر يرون أنّه أبو لهب الذى قاله، فقال: يا على اصنع رجل شاة بصاعٍ من طعام واعدد قعباً من لبن قال: فقلت، فأكلوا كما أكلوا فى اليوم الأوّل وشربوا كما شربوا فى المرة الأولى رأينا اليوم فى السحر، فقال: يا على اصنع رجل شاة بصاع من طعام واعدد قعباً من لبن، قال: ففعلتُ، فقال: يا على اجمع لى بنى هاشم فجمعتهم فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فقال: أيّكم يقضى دينى؟

قال: فسكت وسكت القوم، فأعاد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله المنطق، فقلتُ: أنا يا رسول اللَّه، قال: أنت يا على أنت يا على».

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۰

أقول:

ولم يتوقفوا فى سند الحديث، إلّاأنّ الهيثمى فى مجمعه- فى أحد طرق هذا الحديث- رمى (ضرار بن صُرد) بالضعف، وهذا مردود:

فقد قال المزّى: «روى عنه البخارى فى كتاب أفعال العباد»، ثمّ ذكر أسماء الرواة عنه من كبار الأئمّة: ك: أبى حاتم الرازى، وأبى زرعة الرازى، ومحمد بن عثمان بن أبى شيبة، ومحمد بن عبداللَّه مطيّن، وأبى بكر زهير بن حرب، وحنبل بن إسحاق ... وأمثالهم.

قال: «وقال أبو حاتم: صدوق، صاحب قرآن وفرائض، يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به، روى حديثاً عن معتمر، عن أبيه، عن الحسن، عن أنس، عن النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، فى فضيلةٍ لبعض الصحابة، ينكرها أهل المعرفة بالحديث» «۱».

ولقد ذكر الذهبى بترجمة أبى حاتم الرازى أنّه إن وثّق أحداً فتمسّك بقوله «۲»، وقد قال فى الرجل: «صدوقٌ».

نعم، ذنبه هو روايته لمثل هذه الأحاديث فى فضل أمير المؤمنين عليه وآله الصّلاة والسلام؟!

وقد وجدنا بعض الإنصاف لدى الحافظ ابن حجر؛ لأنّه لم يورد

---

(۱) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ۱۳/ ۳۰۴، ۳۰۵.

(۲) سير أعلام النبلاء ۱۳/ ۲۶۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۱

الرجل فى لسان الميزان، لكونه من رجال البخارى فى كتابه أفعال العباد، وقال فى تقريب التهذيب: «ضرار- بكسر أوّله مخفّفاً- ابن صرد- بضمّ المهملة وفتح الراء- التيمى، أبو نعيم، الطّحان، الكوفى، صدوقٌ، له أوهام وخطأ، ورمى بالتشيّع، وكان عارفاً بالفرائض، من العاشرة. مات سنة ۲۹ عخ» «۱».

الحديث العاشر ... ص: ۱۱۱

أخبرنى عبدوس بن عبداللّه الهمدانى بهمدان إجازةً، أخبرنى الشريف أبو طالب المفضل بن محمد الجعفرى، أخبرنى الحافظ أبو بكر بن مردويه، حدثنى جدّى، حدثنى أحمد بن محمود بن خرذاد، أخبرنى أبو الحسين القاضى، حدثنى عبدالرحمان بن دبيس بن حميد، حدثنى محمد بن إسماعيل بن رجا الزبيدى، عن مطر، عن أنس، عن سلمان قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: على بن أبى طالب يُنجز عداتى ويقضى دينى.

نقول:

قال الذهبى بترجمة ابن مردويه: الحافظ المجودُ العلامة، محدّث أصبهان، أبو أحمد بن موسى بن فورك بن موسى بن جعفر، الأصبهانى.

---

(۱) تقريب التهذيب ۱/ ۳۷۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۲

قال أبو بكر بن أبى على- وذكر أبا بكر بن مردويه- هو أكبر من أنْ ندلَّ عليه وعلى فضله وعلمه وسيره، وأشهرُ بالكثرة والثقة من أنْ يُوصف حديثه، أبقاه اللّه «... ۱».

وأيضاً قال الذهبى: «وأجاز لى أبو نعيم الحداد: سمعتُ أبا بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن مردويه يقول: رأيتُ من أحوال جدّى من الديانة فى الرواية ما قضيتُ منه العجب من تثبُّته وإتقانه، وأهدى له كبيرٌ حلاوةً، فقال: إنْ قبلتُها، فلا أذن لك بعدُ فى دخُول دارى وإنْ ترجع به، تزِد علىَّ كرامة» «۲».

فيظهر لنا من هذه الحكاية شدّة ورع وتقوى ابن مردويه، وأنه كان محتاطاً فى نقل الرواية إلى حدٍّ عجيب، فهو إذاً لا يروى إلّاعن مَنْ كان ثِقةً صالحاً صدوقاً؛ لشدّةِ تحفظه.

وأما فى خصوص (أبى الحسين القاضى) فقد قال السمعانى فى الأنساب: وأبو الحسين أحمد بن على بن الحسين بن التوزى القاضى، وكان مكثراً ثقةً «۳».

وترجم له الخطيب البغدادى أيضاً فقال: «كتبت عنه، وكان صدوقاً

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۱۷/ ۳۰۸، رقم ۱۸۸.

(۲) المصدر ۱۷/ ۳۰۹.

(۳) الأنساب ۴/ ۳۲۴، رقم ۲۱۳۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۳

كثير الكتاب» «۱».

وقال الحافظ ابن حجر «۲» (محمد بن إسماعيل بن رجاء الزُبيدى) بضم الزاى، الكوفى، صدوق يتشيّع، من الثامنة.

فهذه إطلالةٌ سريعةٌ على بعض رجالات سند الحديث.

الحديث الحادى عشر ... ص: ۱۱۳

أخرجَ الديلمى:

عن عبدان بن يزيد بن يعقوب الدقاق من أصل كتابه، حدثنا إبراهيم بن الحسين بن ديزيل، حدّثنا أبو نعيم ضِرار بن صُرد، حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعتُ أبى يذكر عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه أنّ النبى صلّى اللّه عليه وآله قال لعلى: أنت تبيّن لأمتى ما اختلفوا فيه بعدى.

قلت:

قال الحاكم فى مستدركه بعد هذا الحديث: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه «۳».

---

(۱) تاريخ بغداد ۴/ ۳۲۴.

(۲) تقريب التهذيب: ۲/ ۱۴۵، رقم ۴۶.

(۳) المستدرك: ج ۳، ص ۱۲۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۴

وقال الذهبى بترجمة (ابن ديزيل): الإمام، الحافظ، الثقة العابد، أبو إسحاق، إبراهيم بن الحسين بن على، الهمدانى الكسائى، ويعرف بابن ديزيل، و كان يصومُ يوماً ويُفطر يوماً.

قال الحاكم: هو ثِقةٌ مأمون.

وقال ابنُ خِراش: صدوقُ اللّهجة.

وقال صالح بن أحمد فى تاريخ همدان سمعتُ جعفر بن أحمد يقول: سألتُ أبا حاتم الرازى، عن ابن ديزيل، فقال: ما رأيتُ، ولا بلغنى عنه إلّاصدقٌ وخيرٌ «۱».

وقال ابن حجر: (مُعتَمر بن سُليمان التيمى) أبو محمد البصرى، ثقة من كبار التاسعة، مات سنة ۱۸۷ وقد جاوز الثمانين، وعدّه من رجال الصحاح الستة «۲».

وقال الذهبى: مُعتمر بن سليمان بن طرخان، الإمام الحافظ القدوة، قال ابن مَعين: ثِقة، وقال أبو حاتم: ثقةٌ صدوق، وقال ابن سعد: كان ثقةً «۳».

ولكن الذهبى فى تلخيصه على المستدرك لم يتوقف فى هذا

---

(۱) سير أعلام النبلاء ۱۳/ ۱۸۴، رقم ۱۰۷.

(۲) تقريب التهذيب ۲/ ۲۶۳، رقم ۱۲۶۰.

(۳) سير أعلام النبلاء ۸/ ۴۷۷، رقم ۲۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۵

الحديث إلّامن جهة (ضِرار بن صرد)، قد بيّنا حاله سابقاً تحت الحديث التاسع، فراجع.

الحديث الثانى عشر ... ص: ۱۱۵

رواه الحافظ أبو نعيم، قال: «حدثنا محمد بن أحمد بن على، ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة، ثنا إبراهيم بن محمّد بن ميمون، ثنا على ابن عياش، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن جندب، عن أنس، قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: يا أنس! اسكب لى وضوءاً. ثمّ قال: فصلّى ركعتين، ثمّ قال: يا أنس! أوّل مَنْ يدخل عليكَ من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين.

قال أنس: قلت: اللّهمّ اجعله رجلًا من الأنصار. وكتمته.

إذ جاء على فقال: مَنْ هذا يا أنس؟ فقلت: علىّ.

فقام مستبشراً فاعتنقه، ثمّ جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق علىّ بوجهه. قال علىّ: يا رسول اللَّه! لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بى من قبل.

قال: وما يمنعنى وأنت تؤدّى عنّى وتسمعهم صوتى، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدى.

رواه جابر الجعفى، عن أبى الطفيل، عن أنس نحوه».

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۶

أقول:

قد روى الحديث، عن أبى نعيم كذلك جماعة، منهم: الحافظ ابن عساكر إذ أخرجه قائلًا: «أخبرنا أبو على المقرىء، أنبأنا أبو نعيم الحافظ» «... ۱».

وأخرجه ابن عساكر بطريق آخر؛ إذ قال: «أخبرنا أبو الحسن الفرضى، أنا أبو القاسم بن أبى العلاء، أنا أبو بكر محمّد بن عمر بن سليمان بن المعدل العرينى النصيبى- بها- وأبو بكر الحسين بن محمّد قالا: أنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، نا أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبى شيبة، نا إبراهيم بن محمّد، نا على بن عائش، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن جندب، عن أنس بن مالك » «...۲».

وهذا الحديث يعدّ من أسمى مناقب سيّدنا أمير المؤمنين وفضائله الدالّة على إمامته بعد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله. ولولا ذلك لما قال أنس: «اللّهم اجعله رجلًا من الأنصار» ولما كتم «۳».

ومن هنا، فقد بذل المتعصّبون جهودهم فى الطعن فيه،

---

(۱) تاريخ مدينة دمشق ۴۲/ ۳۸۶.

(۲) المصدر ۴۲/ ۳۰۳.

(۳) كتمان أنس ما يتعلّق بأمير المؤمنين عليه السلام لا يختصّ بهذا المورد، فله نظائر للتفصيل فيها مجال آخر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۱۷

واضطربت كلماتهم فى الردّ عليه، وإليك بعض الكلام فى ذلك.

لقد روى الحافظ أبو نعيم هذا الحديث بطريقين، أحدهما: عن القاسم بن جندب، عن أنس، والآخر عن جابر الجعفى، عن أبى الطفيل، عن أنس...

فقال ابن الجوزى- بعد أنْ رواه بالطريق الأوّل-: «هذا حديث لا يصحّ. قال يحيى بن معين: على بن عابس ليس بشىء. وقد روى هذا الحديث جابر الجعفى، عن أبى الطفيل، عن أنس. قال زائدة: كان جابر كذّاباً، وقال أبو حنيفة: ما لقيت أكذب منه» «۱».

فأمّا الطريق الأوّل، فقد طعن فيه من أجل: (على بن عابس)، ولم يقل إلّا: قال يحيى بن معين: «ليس بشيء»؛ ممّا يدلّ على أنّ لا إشكال فى هذا الطريق إلا من ناحية «على بن عابس».

وأمّا الطريق الثانى، فالكلام فى: (جابر الجعفى).

أمّا الذهبى، فلم يذكر الحديث بترجمة (جابر) أصلًا.. وإنّما ذكره بالطريق الأوّل، لكن لا بترجمة (على بن عابس)، بل بترجمة: (إبراهيم)، ثمّ اضطرب الأمر عليه؛ فعنون تارة: «إبراهيم بن محمد بن ميمون» وأُخرى: «إبراهيم بن محمود بن ميمون»، فقال فى الأوّل: «إبراهيم بن

---

(۱) كتاب الموضوعات ۱/ ۳۷۷.

محمد بن ميمون: من أجلاد الشيعة. روى عن على بن عابس خبراً عجيباً. روى عنه أبو شيبة بن أبى بكر وغيره» «۱».

ثمّ قال فى الصفحة اللاحقة: «إبراهيم بن محمود بن ميمون:

لا أعرفه. روى حديثاً موضوعاً فاسمعه: فروى محمد بن عثمان بن أبى شيبة، عن على بن عابس، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن جندب، عن أنس: إنّ النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله قال لى: أوّل مَنْ يدخل عليكَ من هذا الباب أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين.. الحديث بطوله».

فهل هو: «إبراهيم بن محمّد بن ميمون»، أو: «إبراهيم بن محمود ابن ميمون»؟!

قال فى الأوّل: «من أجلاد الشيعة»، وفى الثانى: «لا أعرفه»!!

وهل الحديث: «عجيب» أو: «موضوع»!!

وعندما نرجع إلى لسان الميزان، نجد أنّ ابن حجر يقول:

«إبراهيم بن محمّد بن ميمون: من أجلاد الشيعة. روى عن علىّ بن عابس خبراً عجيباً. روى عنه أبو شيبة بن أبى بكر وغيره. انتهى.

والحديث: قال هذا الرجل: حدّثنا على بن عابس، عن الحارث بن

---

(۱) ميزان الاعتدال ۱/ ۶۳.

حصيرة، عن القاسم بن جندب، عن أنس: إنّ النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله قال لى ...: الحديث بطوله. رواه عنه أيضاً: محمد بن عثمان بن أبى شيبة.

وذكره الأزدى فى الضعفاء، وقال: إنّه منكر الحديث. وذكره ابن حبّان فى الثقات، وقال إنّه: كندى.

وأعاده المؤلّف فى ترجمة إبراهيم بن محمود، وهو هو، فقال:

لا أعرفه. روى حديثاً موضوعاً، فذكر الحديث المذكور.

ونقلتُ من خطّ شيخنا أبى الفضل الحافظ: إنّ هذا الرجل ليس بثقة. وقال إبراهيم بن أبى بكر بن أبى شيبة: سمعت عمّى عثمان بن أبى شيبة يقول: لولا رجلان من الشيعة ما صحّ لكم حديث. فقلت: مَنْ هما يا عمّ؟ قال: إبراهيم بن محمد بن ميمون، وعبّاد بن يعقوب، وذكره أبو جعفر الطوسى فى رجال الشيعة» «۱».

ووقع اختلاف واضطراب فى اسم الراوى: هل هو «على بن عابس»، كما ذكروا، أو: إنّه «على بن عياش»، كما فى حلية الأولياء، وقال مصحّحه: «الصحيح ما أثبتناه»، أو: «على بن عبّاس»، أو: «على بن عائش»، كما فى روايتى ابن عساكر!!

(۱) لسان الميزان ۱/ ۱۰۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۲۰

أقول:

إنّى أظنّ أنّ هذا التصحيف مقصود وليس بصدفة:

فإن كان: «ابن عياش»، فهو من رجال البخارى والسنن الأربعة «۱».

وإن كان: «ابن عابس»، فهو من رجال الترمذى، وقد اختلفت كلماتهم فيه. فعن جماعة، كالجوزجانى والأزدى: ضعيف. وعن يحيى بن معين فى رواية: كأنّه ضعيف. وفى أُخرى: ليس بشىء. وعن ابن حبّان: فحش خطأُه فاستحقّ الترك. وعن الدارقطنى: يعتبر به. وعن أبى زرعة والساجى: عنده مناكير.

وعن ابن عدى: لعلى بن عابس أحاديث حِسان، ويروى عن أبان بن تغلب وعن غيره أحاديث غرائب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه «۲».

وقد أورد ابن عدى روايته الحديث عن عطية، عن أبى سعيد، قال:

لمّا نزلت: «وَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» «۳»

دعا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فاطمة فأعطاها فدكاً «۴».

(۱) تقريب التهذيب ۲/ ۴۲.

(۲) الكامل ۶/ ۳۲۲، تهذيب الكمال ۲۰/ ۵۰۲، تهذيب التهذيب ۷/ ۳۰۱.

(۳) سورة الإسراء: الآية ۲۶.

(۴) الكامل ۶/ ۳۲۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۲۱

فمن يروى مثل حديثنا- وهذا الحديث فى فدك- فلابُدّ وأن يُترك عند الجوزجانى وأمثاله من النواصب!!

هذا تمام الكلام على الطريق الأوّل.

وقد عرفت أنّ «إبراهيم بن محمّد بن ميمون» من الثقات عند ابن حبّان وغيره، ولم ينقل ابن حجر تضعيفاً له إلّاعن الأزدى، وهذا من عجائب ابن حجر؛ لأنّه تعقّب تضعيفات الأزدى غير مرّة قائلًا: «ليت الأزدى عرف ضعف نفسه» و «لا يعتبر تجريحه لضعفه هو» «۱».

ولم يتكلّم فيه الذهبى إلّابقوله: «من أجلاد الشيعة»، وهذا ليس بطعنٍ؛ فقد قدّمنا غير مرّة عن الذهبى نفسه، وعن ابن حجر أنّ التشيّع غير مضرّ بالوثاقة.

وأمّا الطريق الثانى، فقد تكلّموا فيه ل (جابر بن يزيد الجعفى)، ويكفى أنْ نورد نصّ كلام الذهبى فيه فى ميزان الإعتدال؛ إذ قال:

«جابر بن يزيد- د ت ق- بن الحارث الجعفى الكوفى، أحد علماء الشيعة، له عن أبى الطفيل، والشعبى، وخلق. وعنه: شعبة، وأبو عوانة، وعدّة.

قال ابن مهدى، عن سفيان: كان جابر الجعفى ورعاً فى الحديث، ما

(۱) مقدمة فتح البارى: ۴۳۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۲۲

رأيت أورع منه فى الحديث.

وقال شعبة: صدوق؛ وقال يحيى بن أبى بكير، عن شعبة: كان جابر إذا قال أخبرنا وحدّثنا وسمعت، فهو من أوثق الناس.

وقال وكيع: ما شككتم فى شيء فلا تشكّوا أنّ جابراً الجعفى ثقة.

وقال ابن عبدالحكم: سمعت الشافعى يقول: قال سفيان الثورى لشعبة، إنْ تكلّمت فى جابر الجعفى لأتكلّمنّ فيك» «... ۱».

فإذا كان جابر من رجال ثلاثة من الصحاح، ثمّ من مشايخ أئمّةٍ، كالثورى وشعبة، وأبى عوانة، وأنّهم قالوا هذه الكلمات فى توثيقه... فإنّه يكفينا للإحتجاج قطعاً؛ إذْ ليس عندهم من المحدّثين من أجمعوا على وثاقته إلّاالشاذ النادر، فهم لم يجمعوا حتى على وثاقة البخارى صاحب الصحيح.

على أنّ ما ذكروه جرحاً فيه فليس من أسباب الجرح والقدح؛ لأنّ كلمات الجارحين تتلخّص فى أنّه: «كان من علماء الشيعة»، وأنّه كان:

«يحدّث بأخبار لا يُصبر عنها» فى فضل أهل البيت، وأنّه: «كان يؤمن بالرجعة ...» ولا شيء من هذه الأُمور بقادح، لا سيّما بالنظر إلى ما تقدّم عن أئمّة القوم من التأكيد على ورعه فى الحديث، والنهى عن التشكيك

---

(۱) ميزان الاعتدال ۱/ ۳۷۸- ۳۸۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۲۳

فى أنّه ثقة، حتّى أنّ مثل سفيان يقول لمثل شعبة:

«إنْ تكلّمت فى جابر الجعفى لأتكلّمن فيك»!

وبما ذكرناه كفاية، لمن طلب الرشاد والهداية.

وبه تتبيّن مواضع الزور والدجل والتدليس فى كلمات المفترين.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۱، ص: ۱۲۴

المحتويات ... ص: ۱۲۴

الكتاب القادم:

مقدّمة المجالس الفاخرة

فى مآتم العترة الطاهرة

تأليف

المجتهد الأكبر الحجّة

السيّد عبدالحسين شرف الدّين

تقديم وتعليق

آية اللّه السيّد نور الدين الميلانى

المجالس الفاخرة(۲)

كلمة المركز ... ص: ۱۲۴

الحمد للّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرّر المركز تشكيل لجنةٍ تقوم- بإشراف وتوجيه من سيّدنا الفقيه المحقّق آية اللّه السيد على الميلانى- دام ظلّه- بنقد بعض البحوث المنتشرة من المعاصرين وتحقيق بعض الكتب التراثيّة الصغيرة فى الحجم والكبيرة فى الفائدة، فى مختلف العلوم والمسائل الاسلاميّة، وإخراجها فى سلسلة تحت عنوان (سلسلة النقد والتحقيق) خدمةً للعلم والدين، وإحقاقاً للحق المبين، وإحياءً لآثار العلماء المحقّقين، وتوفيراً للمصادر النافعة للباحثين، سائلين المولى الكريم المفضال أن يتقبّل منّا هذا العمل وسائر الأعمال.

مركز الحقائق الإسلامية

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷

كلمة لجنة النقد والتحقيق ... ص: ۷

لا يخفى أن مسألة مأتم سيّدالشهداء أبى عبداللّه الحسين عليه السّلام من المسائل الّتى اهتمّ بها العلماء من قديم الزّمان، والكتب المؤلّفة فى هذا الموضوع كثيرة جدّاً، ولعلّ من أحسنها ما جادت به يراعة المجتهد الأكبر آية اللّه السيّد عبدالحسين شرف الدين العاملى رحمه اللّه، فى مقدّمة كتاب المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطّاهرة.

وقد قام المرحوم آية اللّه السيّد نورالدين الميلانى رحمه اللّه بطبع المقدّمة- بإذنٍ من السيّد المؤلّف- لتكون النشرة الأولى لمكتبة سيّدالشهداء الحسين عليه السّلام العامّة، الّتى أسّسها حينما كان بكربلاء المقدّسة، بمقدمةٍ وتعاليق مفيدة، فى عام ۱۳۷۷ من الهجرة النبويّة.

وقد راجعنا الكتاب وحقّقناه وأضفنا إليه مصادر أخرى من كتب

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸

الفريقين، شاكرين العلّامة المحقق الشيخ نزار الحسن على ما بذله من الجهد فى تحقيق هذا الكتاب، وسائلين اللّه تعالى التوفيق لرفد المكتبة الإسلاميّة بأمثاله من البحوث النافعة.

لجنة النقد والتحقيق

بمركز الحقائق الاسلاميّة

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۹

مقدمة آية اللّه السيّد نورالدين الميلانى رحمه اللّه «۱ ...» ص: ۹

أحمدك اللهم ولا حمد لسواك، ولا ثناء إلّاعليك والأمر لك، وإيّاك أعبد وإيّاك أستعين، والصلاة على مَن صلّيت عليه، واللعنة على مَن حلّت عليه لعنتك.

كان من صنع البارى جلّ وعلا- المتقن- أنْ أوجد فى البشر غرائز ثمينة، أفضلها الإيمان بالواقع، والخضوع له عندما حصله، وقد يبذل أجلّ ما بيده فى سبيله، ويتفادى دونه متى أدركه.

فمن الغريب جدّاً، جهل الإنسان نوعاً من الحقائق، وإنكاره بعض

---

(۱) وهو والد آية اللّه السيّد على الميلانى. توفى سنة ۱۴۲۵ ودفن فى قم بمقبرة شيخان.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰

الواقعيات، أو خفاؤها عليه بعد ظهورها، ولذلك ورد فى القرآن المجيد الأمر بالتدبر، والتعقل، والتفكر، والملامة على عدم التدبر و

...

ومن الغرائز المودعة فی هذا الإنسان حبّه الاستطلاع، والخبرة فی التاریخ، ودرس موادّه والتعمق فیه، حتی لا یقتصر علی مفاهیمه فحسب، بل یسعی أن یدرک- بمعونة التحلیل الفکری- المعارک والمیادین، لیری مشاهد الأبطال، ویشهد حالة المظلومین، ومصیر الظالمین وینظر إلیهم کما لو کان حاضراً معهم، والسبب نفسه جعل الباحث یهمّه التفتیش عن مصارع الشهداء، والتطلّع علی ضحایا الإنسانیة، وعلی ضوئه یعترف المنصف لهم ویوالیهم مع الإکبار والتقدیس لجهودهم، وقد «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِینَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَی الْقاعِدِینَ» «۱»

...

ونحن إذ ننکر الکلیة والإطراد فی أغلب المواضیع، فلا محیص من الإقرار بها- حیث لا تقبل الاستثناء- فی بعض الموارد.

فالقاعدة فی إحترام الشهید أو المظلوم مطردة عند العموم- متدینین أم غیرهم- والنصرة والترحم لهما، مبدأ یقول به إلّاالمعاند، والرأفة علی أهلهما وأیتامهما غیر مستنکرة، إلّاعند المفرّط والعادل عن الحق.

---

(۱) سورة النساء: الآیة ۹۵.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۲، ص: ۱۱

وخلاصة القول: - إنّ أجمل ما یختاره الإنسان من أنواع احترام الشهید والمظلوم، معاضدته ومناصرته، ولا أقل من الحزن والأسف علیهما، والإنکسار لهما، وأجلّ صفة یحملها الحنان علی ذویهما من قرابته ورحمه، وبالعواطف والأحاسیس یکرم الإنسان، وإلّا فهو «کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِیلًا» «۱».

فمن هنا تعقد المآتم علی الفقید، وکلّما عزّ وخطر اتسعت واکتسبت أهمیةً، وکلّما جلَّ المصاب وعظم، تمتد أیامه وتطول مدته.

أجل: جعل اللَّه هذه السُّنة المتبعة فی خلقه، «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِیلًا» «۲»

، بل أنّ هذه الغریزة والخلق مما فطر اللَّه الناس علیها.

فعلی هذا الأساس، کانت الامم- فی جمیع الأعصار والأمصار علی اختلاف مبادئها وتنافر بعضها أحیاناً- لم تزل مندفعةً عند مظلومیة العترة الطاهرة صلوات اللَّه علیهم، إندفاعاً لا یمنعه التشکیک، وعنوا لمآتمهم- علیهم السلام جیلًا بعد جیل، عنایةً لا تعاکسها قوة فی القرون الأولی والوسطی، إلّازادتهم نفوراً من تلک القوة، وثباتاً علی تلک المراسم، فیخدمونها من صمیم القلب بشق الرؤوس وجرح الصدور، بل کادت أفئدتهم تنفطر علی مصابهم، لاسیما تجاه شهداء الطف

---

(۱) سورة الفرقان: الآیة ۴۴.

(۲) سورة الأحزاب: الآیة ۶۲.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۲، ص: ۱۲

ومجزرة کربلاء (عاشر محرم سنة ۶۱ الهجریة) وعقباتها فی الکوفة والشام، ولاصلة دینیة أو علقة إنتماء، أو رابطة اخری تجمع بین القائمین بمظاهر الأسی والدین والعقیدة.

إذاً، لا مجال للاستغراب مهما بلغنا مما یقوم به غیر الشیعة- المسلمون ومنتحلوا الدیانات الأخری- أو الهندوک والسیک، من التوجّع والتفجّع علی الحسین سبط رسول اللَّه صلی اللَّه علیه وآله وریحانته، والنفر الذین کرّموا بموقفهم الشهادة، وفازت بهم لمّا بذلوا مهجهم دون الحسین أرواحنا فداه.

وقد شاهدت قسماً من ذلک فی رحلاتی من أرامنة تبریز- ایران- وسائر المذاهب والملل فی الهند وباکستان، وسوریا ولبنان،

والجموع المحتشدة والآلاف المزدحمة فى يوم عاشوراء وغيره من الأيام باسم- يوم- الحسين وأسبوعه الفخم، وهم من كلّ أمّةٍ فوجاً، ووجدت الخطباء منهم والشعراء يتسابقون باحتفالهم بهذه الذكريات.

وحيث إنى مختصر كلمتى هذه- من حرفها الأوّل- أحيل التفصيل إلى مجال آخر، ولعلّى أوفق- بعون اللّه تعالى- لنشر شىء من التضحيات بدنيةً، اقتصاديةً، زمنيةً والحركات الأدبية هناك.

وكلّ يعلم أنّ ما كتب ونشر باللغات- شرقيةً وغربية- عن أسرار شهادة الحسين وأسبابها ومآتمه عليه السّلام لكثير، والذى يدلُّ على

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳

مكانته فى الأفئدة، وعظمته فى النفوس، وهوايتها له، وأنّه الرجل العالمى الوحيد، وأنّه- عليه السّلام- يُجدّد دينَ جدّه- صلى اللّه عليه وآله- كلّ يوم بل كلّ آن، وأنّه القائد الأعلى وحده للإنسانية وطلّابها إلى الأبد.

هذا، والذى بأيدينا هو سفر علمى جليل، وبحث فنى جميل، قدّمه الزعيم سيد الطائفة ومرجعها الكبير، حامى المذهب الإمامى، وحصن الدين الإسلامى، السيد عبد الحسين شرف الدين قدس اللّه تربته لكتابه (المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة) عنينا بطبعه كنشرةٍ أُولى لمكتبة سيد الشهداء الحسين عليه السّلام العامّة- كربلاء المقدسة، تشريفاً لها، وتسديداً للحاجة المبرمة- من الباحثين والمختبرين والمفكرين- لمثله. وإليك عنه وعن مؤلفه العظيم، والكتاب والمكتبة مايلى موجزاً:

أما المقدمة:

يغنينا عن بيان أهميتها، اهتمام الأوساط العلمية والأدبية والفقهية لها، ويلمسُ القارىء ذلك من فصولها، وقد أُخرجت للطبع سنة ۱۳۳۲ (أى قبل ۴۶ عاماً) ردعاً لإنسان-؟!- بلغ به جهله بفلسفة شهادة الحسين وأسرار مآتمه عليه السّلام وبعده عما أثبته سلفه المحدّثون والمؤرخون، حدّ الاستنكار، ونسب الشيعة إلى البدعة لبكائهم ولطمهم

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۴

على ريحانة نبيهم- صلى اللّه عليه وآله- ولم يدرِ أنّ الأمر بعكس مرتآه، وأنّ الشيعة لم تنفرد بهذه المراسم، بل أنّها من الأمور الثابتة من الدين، ومعترف بها عند المسلمين.

ولقد أجاد سيدنا- شرف الدين- حيث استدلّ على مشروعيّة المآتم من كتب الفريقين، لعلّ المعترض يهتدى ويندم على ما فرّط.

نعم، مُنيت البلاد والأمة الأسلامية بعدد من الدجّالين والمأجورين من تاريخٍ بعيد، فهدموا قواعدها، وفرّقوا كلمتها، وشتتوا جمعها، فخدموا الأجانب- الطامعين- والمستفزين حتى أحرجوا موقف سيدنا شرف الدين وزملائه قدس اللّه أسرارهم، فجعلوا يكابدون الآلام، ويتجرّعون الغصص، إلى أن يتمكنوا من سدّ ثغرٍ أو القضاء على نعرةٍ من النعرات المختلفة ذات الألوان! والمنحدرة من الغرب المظلم.

هكذا أعلام الدين وهكذا شأن العلماء، فإنّهم- كما ورد فى الحديث- ورثة الأنبياء، وعلماء أمّتى أفضل من أنبياء بنى إسرائيل- دعاة كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، يعملون فى إزالة التخاصم والشقاق، ولم يألوا جهداً فى سبيل تحرير العقيدة من شتى الوساوس، وحريصون على تخليصها والأمة الاسلامية من دسائس المدنية والحضارة المزيفة، والمتشكلة بشكل الدين، والمذهب، والحزب، والجمعيّة، وفق الميول

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۵

والأهواء والمناطق والأشخاص.

نبتهل إلى اللّه تعالى قطع دابر الظالمين، ودفعهم بهمّة الرجال المخلصين، وقلعهم بأيدى الأبطال من أصحاب الشعور الحىّ المجردين من التقاليد العمياء والخاضعين للحق أينما وجدوه، وإليه المشتكى ولا حول ولا قوة إلّاباللّه.

أما المؤلف:

فهو أشهر من أن يذكر، وأظهر من أى تعريف، وأكبر من أى معرِّف، وقد ملأ النفوس غبطةً وعظمة بمؤلفاته وآثاره وحركاته.

كان- رضوان اللَّه عليه- من أقطاب الأمة علماً وعملًا، تعوّل عليه فى شدائدها، وتركن إليه فى أمورها، وكان- قدس اللَّه تربته- مفيد وقته، ومرتضى عصره، والواقع إنّه المفيد والمرتضى طيلة أيامه المأسوف عليها.

عاش عزيز البلاد، عظيماً عند الخلق والخالق؛ لأدائه مطلوبهما والقيام بواجبهما، والجهاد فى سبيلهما، ونضاله معانديهما، ومواقفه الجبارة ضد الكفرة والفسقة وأذنابهما غير مبال منهم، مهما بلغ به الأمر وكلّفه، حتى آخر ساعة من عمره الشريف...

والتفاصيل فى مقدمة الطبعة الثانية والثالثة من كتابه: المراجعات.

بقلم أحد مشيخة الإسلام «۱».

---

(۱) سماحة آية اللَّه الشيخ مرتضى آل يس دام ظله الشريف- النجف الأشرف-.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۶

أمّا الكتاب:

فكان يقع فى أربع مجلدات ضخمةٍ، تتضمن سيرة النبى وعترته- إلى قائمهم المهدى عجّل اللَّه فرجه- وحياتهم صلى اللَّه عليه وعليهم وبعض خطبهم، والذى جاء فى المواعظ والأخلاق، وكان- كما عبّرلنا عنه السيد قدس سرّه- كتاباً اجتماعياً، سياسياً، عمرانياً، ومن أحسن ما كُتِبَ فى الإمامة والسياسة.

وقد أعدّه- شرف الدين- للطبع بعد صدور (المقدمة)، ولكن شعلة الحرب العالمية الأولى (۱۹۱۴ م) وعلى أثرها الحركة الإسلامية ضد الاستعمار «۱»، حالتا عن طبعه، بالرغم من حرصه الشديد لذلك، حتى أصبح هو ومؤلّفاته الأُخرى- ما يقرب من ثلاثين مجلّداً مخطوطاً بقلمه الشريف- طعمة حريق سلطة الاحتلال الفرنسى، حيث سلّطت النار على دار- شرف الدين- فى (شحور) و بعده احتلّت داره الكبرى فى (صور)، وأُبيحت للأيدى الأثيمة سلباً ونهباً.

وكان أوجع ما فى هذه النكبة- المشتملة على أنواع التعذيب والصدمات على السيّد وأهله وصحبه- تحريق مكتبته المحتوية على أنفس الكتب وذخائرها من كلّ نوع ولا سيما الخطية، وما كانت من

---

(۱) الثورة العاملية على الفرنسيين سنة ۱۹۲۰ م.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۷

ثمرات عمره الشريف وآثاره الثمينة «۱».

أمّا النشر:

لهذا الكتاب، فإنا لمّا أسسنا المكتبة كتبنا إلى سماحة- شرف الدين- بعد عرض القصد من تأسيسها على حضرته مايلى: -

فمن المناسب أن تكون نشرتها الأولى ما يتعلق بحياة من شرّفت المكتبة باسمه- الحسين عليه السّلام- لا سيما إذا كانت بقلم عبده (سيد الطائفة وزعيمها المفدّى حضرتكم) وأجابنا على ذلك، ولكن المنيّة حالت دون المطلوب من سماحته. فاخترنا هذا السفر بل الكنز المرصود، وأعدنا طبعه معتزّين به والتوفيق الشامل بعناية اللَّه راجين ذلك لعدد كبير من الآثار نقبل تحديده، وليس على اللَّه بمستنكر، وهو الموفق والمستعان.

---

(۱) «لصوص شمعون تهاجم مدينة صور. تتنمّر فى ظل الاحتلال الأميركى فتحرق الكلية الجعفرية. وتدمّر دار مؤسسها المرحوم الإمام شرف الدين».

تجد هذه النصوص والتفصيل فى ص ٣- ١۴/ ٨/ ١٩٥٨ من- يقظتنا- اليومية البغدادية.

ثم فكر فى القول المأثور: (الكفر ملة واحدة)، وتمسك بالقرآن وأهله واترك هواية غيرهم ولا تنخدع بغواية التمدن والحضارة (؟!) المزعومة والمحشوة من ألوان السموم بأيدى الاستعمار والاستعباد.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ١٨

أمّا المكتبة:

فإنها أُسست لغرض خدمة المجتمع ورفع مستوى كربلاء الثقافى، وتسديد عوز الواردين- من أقطار الدنيا- لهذه المدينة المقدسة، فهى على مكانتها العالمية المرموقة، كانت فاقدة لنظيرها والتى جمعت ما يقرب من ثلاثة آلاف مؤلفاً- فى زمن قصير- على بضع لغات- شرقيةً وغربيةً- فى شتى العلوم والفنون، القديمة والحديثة.

وقد نشرنا- بدأ التأسيس- عنها فى الصحف داخل العراق وخارجه، وأرسلنا- بالبريد- بلاغاً إلى حضرات مَن عرفنا عنوانهم فى أقاليم مختلفةٍ ندعوهم للمساهمة والمعونة فى تنمية هذه الخيرية الحسينية...

فجزى اللّه الذوات الكرام، وأصحاب الغيرة والإيمان، وحملة النفوس الطيّبة المساهمين فى هذا المشروع الحيوى المقدس- الذى هو من نوع الباقيات الصالحات- والمتبرعين، والمناصرين، وزملائى المحترمين- أعضاء الهيئة المؤسسة والتولية والمال والإدارة- خير جزاء المحسنين، وجعلهم «مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَليمٌ» «١»

و أثابهم بكرمه فى الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢۶١.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ١٩

وسوف ننشر- لأول فرصةٍ ماليةٍ- أسماءهم الكريمة ونطلعهم على التفاصيل والمعلومات الكافية، فى البيان الصادر عن المكتبة منذ كانت فكرةً محضةً، ثم الخطوة الاولى، وتقدّمها حتى رقيّها المنتظر بهممهم الجبارة، كما أننا لاننساهم فى صالح دعواتنا بعد كلّ صلاة وتحت قبة سيد الشهداء الحسين- عليه السّلام- أرواحنا له الفداء وسائر الأحوال، والسلام عليهم وعلى مَن بلغه هذا ورحمة اللّه وبركاته من:

نجل سماحة المجتهد الكبير آية اللّه الحاج السيد محمّد هادى الميلانى «دام ظله الشريف».

نور الدين الحسينى الميلانى

كربلاء فى ١١ صفر سنة ١٣٧٨

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ٢٣

مقدّمة: المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة ... ص: ٢٣

اشارة

وفيها خمسة مطالب

كلمة المؤلّف ... ص: ٢٣

الحمد للّه على جميل بلائه، وجليل عزائه، والصلاة والسلام على أسوة أنبيائه، وعلى الأئمة المظلومين من أوصيائه، ورحمة اللّه وبركاته.

أما بعد، فهذا كتاب (المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة) «۱»

وضعته تقرّباً إليهم فى الدنيا، وتوسلًا بهم فى الآخرة، سائلًا من اللّه سبحانه أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، إنّه الرؤوف الرحيم.

الأصل العملى «۲» يقتضى إباحة البكآء على مطلق الموتى ورثائهم

---

(۱) راجع المقدمة بقلم السيد نور الدين الميلانى.

(۲) يقصد أن الحكم الشرعى فى مرحلة العمل، هكذا يقتضى ... وذلك استناداً إلى قولهم أنّ الأصل فى الأشياء الاباحة، وقد ذهب إليه علماؤنا- أهل الحق والتحقيق- رضوان اللّه عليهم، واستدلوا عليه عقلًا بقبح العقاب والملامة فيما لم يمنعه الدين، ولم يرد فيه من الشرع نهى عنه أو تحريم. ونقلًا بقوله تعالى: «وَما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» سورة الإسراء: الآية ۱۵ وغيرها من الآيات... (الميلانى).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۲۴

بالقريض، وتلاوة مناقبهم ومصائبهم، والجلوس حزناً عليهم والإنفاق عنهم فى وجوه البر، ولا دليل على خلاف هذا الأصل، بل السيرة القطعية «۱» والأدلّة اللّفظية حاكمان بمقتضاه، بل يستفاد من بعضها استحباب هذه الأمور، إذا كان الميت من أهل المزايا الفاضلة، والآثار النافعة، وفقاً لقواعد المدنية وعملًا بأصول العمران؛ لأنّ تمييز المصلحين يكون سبباً فى تنشيط أمثالهم، وأداء حقوقهم يكون داعياً إلى كثرة الناسجين على منوالهم.

---

(۱)

السيرة: معناها الأمر المتداول عند عموم المسلمين، وهى بذاتها قد تفى عندالاستدلال لجواز الاقدام على أمر مجهول الحكم وربما يدرك بها الواقع أيضاً ولكن لا تتم إلّابقيود أهمها:

الأول- أن يكون العاملون به (الأمر الذى نريده ولم نعلم حكمه) متدينين وقد أتوا به باسم الدين لا كسائر العادات محلية أو عائلية.

الثانى- أن لا يكون المطلوب أمراً مستحدثاً بل كان عليه الماضون خلفاً عن السلف الصالح، وينتهى إلى زمان المعصومين- صلى اللّه عليهم أجمعين-.

الثالث- لا وزن للسيرة إذا لم يحصل لنا القطع بإذن الشارع أو عدم ردعه عنها (الميلانى).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۲۵

وتلاوة أخبارهم ترشد العاملين إلى اقتفاء آثارهم «۱» وهنا مطالب.

---

(۱) ما أفصح كلامك وأبلغه- يا شرف الدين- فقد أتيت بالواقع الملموس وقلتَ حقاً ونطقتَ صدقاً، فإنّ الأمم سائرون على هذا النهج ووجدناهم فى رحلاتنا إلى الهند وباكستان، وسوريا ولبنان يحتفلون باسم رجالاتهم، معتزّين بسلفهم، ويعتنون بذكريات أبرارهم من حركةٍ أو عمل ويسعون فى نشر ذلك والحث على تبعية أولئك غير مبالين (مهما كلّفهم) بصرف الأموال الضخمة روماً للغاية التى نوّه عنها قدس اللّه تربته. (الميلانى).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۲۹

المطلب الأول فى البكاء ... ص: ۲۹

فی البکاء ... ص: ۲۹

ولنا علی ما اخترناه فیه- مضافاً إلی السیرة القطعیّة- فعل النبی صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم وقوله وتقریره.

أمّا الأوّل، فإنّه متواتر عنه فی موارد عدیدة:

منها: یوم أُحد، إذ علم الناس کافة بکائه یومئذٍ علی عمّه أسد اللَّه وأسد رسوله، حتی قال ابن عبدالبر فی ترجمة حمزة من استیعابه: «۱» لما رأی النبی (صلّی اللَّه علیه وآله) حمزة قتیلًا بکی، فلما رأی ما مثّل به شهق.

وذکر الواقدی- کما فی أوائل الجزء الخامس عشر من شرح نهج البلاغة «۲» للعلامة المعتزلی- إن النبی (صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم) کان

---

(۱) فی أواخر الصفحة ۳۷۸ من المجلد الثالث، طبع مصر. (المؤلف).

(۲) قد اشتمل هذا الحدیث علی فعل النبی صلّی اللَّه علیه وآله وتقریره، فهو حجة من جهتین، علی أنّ بکاء سیدة النساء- علیها السلام- کاف کما لا یخفی. (المؤلّف).

یقصد أنّ فعل فاطمة علیها السلام یکفی للاستدلال، وهو حجة فی مثل هذا المقام، إذ أنّها معصومة عندنا، وقد أثبت علماؤنا- قدس اللَّه سرهم- ذلک من الأحادیث الصحیحة والمتواترة، ویؤیده صریح آیتی المباهلة والتطهیر.

ولا یخفی علی الباحث ما فی کتب التفسیر، الحدیث، التاریخ، السیر، التراجم فی هذا الشأن، مما یدل علی عظمة البتول فاطمة بضعة رسول اللَّه (صلّی اللَّه علیهما) ولن یفوته ما فی الکلمة الغراء فی تفضیل الزهراء المطبوع مع الفصول المهمة فی تألیف الامة، وکلاهما لسیدنا شرف الدین. (المیلانی).

یومئذٍ إذا بکت صفیّة یبکی وإذا نشجت ینشج قال: «وجعلت فاطمة تبکی، فلمّا بکت بکی رسول اللَّه صلّی اللَّه علیه وآله» «۱».

ومنها: یوم نعی زیداً، وذا الجناحین، وابن رواحة، فیما أخرجه البخاری فی الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحیحه «۲».

وذکر ابن عبدالبرّ فی ترجمة زید من إستیعابه: «إنّ النبی صلّی اللَّه علیه وآله وسلّم بکی علی جعفر وزید» وقال: «أخوای ومؤنساى ومحدّثای» «۳».

ومنها: یوم مات ولده إبراهیم، إذ بکی علیه، فقال له عبدالرحمن بن عوف (کما فی الصفحة ۱۴۸، من الجزء الأوّل من

---

(۱) شرح نهج البلاغة؛ للمعتزلی ۱۵/ ۱۷، دار إحیاء الکتب العربیة.

(۲) صحیح البخاری ۴/ ۲۱۸، ط بیروت، دار الفکر، سنة ۱۴۰۱.

(۳) الإستیعاب فی معرفة الأصحاب ۲/ ۵۴۶.

صحیح البخاری): «وأنت یا رسول اللَّه؟!».

قال: یابن عوف إنّها رحمة «۱» ثم أتبعها (یعنی عبرته) باخری.

فقال:

«إنّ العینَ تدمع، والقلب یحزن، ولا نقول «۲» إلّاما یُرضی ربّنا، وإنّا بفراقک یا إبراهیم لمحزونون» «۳».

ومنها: یوم ماتت احدی بناته (صلّی اللَّه علیه وآله) إذ جلس علی قبرها (کما فی صفحة ۱۴۶ من الجزء الأول من صحیح البخاری)

وعيناه تدمعان.

ومنها: يوم مات صبى لاحدى بناته إذ فاضت عيناه يومئذ (كما فى الصحيحين «۴» وغيرهما) فقال له سعد: «ما هذا يا رسول اللَّه؟» قال: «هذه رحمة جعلها اللَّه فى قلوب عباده، وإنّما يرحم اللَّه من عباده

---

(۱) لا يخفى ما فى تسميتها رحمة من الدلالة على حسن البكاء فى مثل المقام.

(۲) أراد بهذا أنّ الملامة والإثم فى المقام إنّما يكونان بالقول الذى يسخط الربّ (عزّوعلا)، كالاعتراض عليه والسخط لقضائه لا بمجرّد دمع العين وحزن القلب. (المؤلّف).

(۳) صحيح البخارى ۲/ ۸۵، ط دار الفكر، بيروت.

(۴) أنظر: الصفحة ۱۴۶ من الجزء الأول من صحيح البخارى وباب البكاء على الميت من صحيح مسلم. وفى الطبعات الحديثة، البخارى ۸/ ۱۶۵ و ۷/ ۲۲۴ و ۲/ ۸۰ دار الفكر، وصحيح مسلم ۳/ ۳۹، دار الفكر بيروت.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۲

الرحماء» «۱».

ومنها: ما أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين، عن ابن عمر قال: «اشتكى سعد فعاده رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) مع جماعة من أصحابه فوجده فى غشية فبكى (قال): «فلمّا رأى القوم بكاءه بكوا. الحديث» «۲».

والأخبار فى ذلك لا تُحصى ولا تستقصى.

وأمّا قوله وتقريره، فمستفيضان وموارهما كثيرة:

فمنها: ما ذكره ابن عبدالبر فى ترجمة جعفر من استيعابه قال: «لمّا جاء النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) نعى جعفر «۳»، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزّاها قال: ودخلت فاطمة وهى تبكى وتقول: «واعمّاه»، فقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

---

(۱) دلالة قوله: (وإنما يرحم اللَّه من عباده الرحماء) على استحباب البكاء فى غاية الوضوح كما لا يخفى. (المؤلّف).

(۲) أنظر: فى باب البكاء عند المريض من صحيح البخارى ۲/ ۸۵، وفى باب البكاء على الميت من صحيح مسلم، ۳/ ۴۰. ولا يخفى اشتماله على كلٍّ من فعل النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) وتقريره فهو حجة من جهتين.

(۳) هذا الحديث مشتمل على تقريره (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) على البكاء، وأمره به‌على أنّ مجرد صدوره من سيدة النساء (عليها السلام) حجة كما لا يخفى. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۳

«على مثل جعفر فلتبك «۱» البواكى «۲»».

ومنها: ما ذكره ابن جرير، وابن الأثير، وصاحب العقد الفريد وجميع أهل السير، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث ابن عمر فى صفحة ۴۰ من الجزء الثانى من مسنده قال: «رجع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله من أُحُد، فجعلت نساء الأنصار يبكين على مَن قُتل من أزواجهنّ، فقال رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم):

«ولكن حمزة لا بواكى له».

(قال): ثم نام فاستنبه وهنّ يبكين».

(قال): «فهنّ اليوم إذا بكين يندبن بحمزة» «۳».

وفى ترجمة حمزة من الاستيعاب «۴» نقلًا عن الواقدى قال: «لم تبكِ امرأة من الأنصار على ميّت بعد قول رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه

وآله) «لكن حمزة لا بواكى له» إلى اليوم إلّابدأن بالبكاء على حمزة».

---

(۱) هذا أمر منه (صلّى اللَّه عليه وآله) بالبكاء ندباً على أمثال جعفر من رجال الأمّة وحسبك به حجة على الإستحباب. (المؤلف).

(۲) الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ۱/ ۲۴۳.

(۳) مسند أحمد ۲/ ۴۰، ط بيروت، دار صادر، والمعجم الكبير للطبرانى ۱۱/ ۲۱۰، وكنز العمّال ۱۳/ ۳۳۵، ح ۳۶۹۴۵، أُسد الغابة ۲/ ۴۸، وتاريخ الطبرى ۲/ ۲۱۰، دار الفكر.

(۴) للفقيه الحافظ المحدث- ابن عبدالبر القرطبى المتوفى سنة ۴۶۳. (الميلانى)

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۴

وحسبك تلك السيرة فى رجحان البكاء على من هو كحمزة وإنْ بعد العهد بموته.

ولا تنس ما فى قوله صلّى اللَّه عليه وآله: «لكن حمزة لا بواكى له» من البعث على البكاء والملامة لهنّ على تركه، وحسبك به وبقوله «على مثل جعفر فلتبك البواكى» دليلًا على الإستحباب.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس فى صفحة ۳۳۵ من الجزء الأوّل من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) وبكاء النساء عليها قال: «فجعل عمر يضربهن بسوطه» فقال النبى صلّى اللَّه عليه وآله: «دعهن يبكين».

ثم قال:

«مهما يكن من القلب والعين فمن اللَّه والرحمة». وقعد على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكى».

قال: «فجعل النبى (صلّى اللَّه عليه وآله) يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها «۱».

وأخرج أحمد أيضاً من حديث أبى هريرة حديثاً جاء فيه أنّه: مرّ على رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) جنازة معها بواكى فنهرهنّ عمر.

---

(۱) مسند أحمد بن حنبل ۱/ ۳۳۵، ط دار صادر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۵

فقال له رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله:

«دعهنّ، فإنّ النفس مصابة والعين دامعة» «۱».

إلى غير ذلك مما لا يسعنا استيفاؤه.

وقد بكى يعقوب إذ غيّب اللَّه ولده «وَقالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ» «۲»

حتى قيل: - كما فى تفسير هذه الآية من الكشاف «۳» - ما جفّت عيناه من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على اللَّه منه.

وعن رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) كما فى تفسير هذه الآية من الكشاف أيضاً: أنّه سُئل جبرئيل (عليه السّلام) ما بلغ وجدُ يعقوب على يوسف قال:

«وجد سبعين ثكلى قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مأة شهيد «۴»، وماساء ظنه باللَّه قط» «۵».

قلت: أى عاقل يرغب عن مذهبنا فى البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء

---

(۱) مسند أحمد ۲/ ۳۳۳.

(۲) سورة يوسف: الآية ۸۴.

(۳) الكشّاف ۲/ ۳۳۹.

(۴) هذا كالصريح فى استحباب البكاء إذ ليس المستحب إلّاما يترتب الثواب على فعله كما هو واضح. (المؤلف).

(۵) الكشّاف ۲/ ۳۳۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۶

«وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهيمَ إِلّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» «۱».

وأمّا ما جاء فى الصحيحين من أنّ (الميت يعذب لبكاء أهله عليه)، وفى رواية: (ببعض بكاء أهله عليه)، وفى رواية: (ببكاء الحى)، وفى رواية: (يعذّب فى قبره بما نيح عليه)، وفى رواية: (من يبك عليه يعذب) «۲».

فإنّه خطأ من الراوى، بحكم العقل والنقل.

قال الفاضل النووى: هذه الروايات كلّها من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبداللّه. قال: وأنكرت عائشة عليهما ونسبتهما إلى النسيان والاشتباه واحتجّت بقوله تعالى «وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» الخ «... ۳».

قلت: وأنكر هذه الروايات أيضاً عبداللّه بن عبّاس، واحتجّ على خطأ راويها، والتفصيل فى الصحيحين وشروحهما، وما زالت عائشة

---

(۱) سورة البقرة: الآية ۱۳۰.

(۲) صحيح البخارى ۲/ ۸۳، ۵/ ۹، صحيح مسلم ۳/ ۴۱ وسنن ابن ماجة ۱/ ۵۰۸.

(۳) عند ذكر هذه الروايات فى باب الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم، ۶/ ۲۲۸، ط دار الكتاب العربى، سنة ۱۴۰۷، وأنظر: مقدمة (العقد الثمين) للشوكانى المتوفى ۱۲۵۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۷

وعمر فى هذه المسألة على طرفى نقيض، حتّى أخرج الطبرى «۱» فى حوادث سنة ۱۳ من تاريخه بالإسناد إلى سعيد بن المسيب قال: «لما توفى أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها، فنهاهن عن البكاء على أبى بكر، فأبين أن ينتهين، فقال عمر لهشام بن الوليد: ادخل فأخرج إلىّ ابنة أبى قحافة. فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: «إنى أحرج عليك بيتى»، فقال عمر لهشام:

«أدخل فقد أذنتُ لك»، فدخل هشام وأخرج أم فروة أخت أبى بكر إلى عمر، فعلاها بالدرة، فضربها ضربات، فتفرق النوّح حين سمعوا ذلك».

قلت: كأنّه لم يعلم تقرير النبى نسآء الأنصار على البكاء على موتاهن، ولم يبلغه قوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: (لكن حمزة لا بواكى له)، وقوله: (على مثل جعفر فلتبكِ البواكى) وقوله: (وإنما يرحم اللّه من عباده الرحمآء).

ولعلّه نسى نهى النبى صلّى اللّه عليه وآله إيّاه عن ضرب البواكى يوم ماتت رقيّة بنت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم)، ونسى نهيه إيّاه عن انتهارهن فى مقام آخر مرّ عليك آنفاً.

ثم إذا كان البكاء على الميت حراماً، فلماذا أباح لنساء بنى مخزوم

---

(۱) تاريخ الطبرى: ذكر وفاة أبى بكر، ۲/ ۶۱۴، ط بيروت الأعلمى.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۳۸

أن يبكين على خالد بن الوليد؟ «۱» حتى ذكر محمّد بن سلام- كما فى ترجمة خالد من الاستيعاب «۲» -: «إنّه لم تبقَ امرأة من بنى المغيرة إلّا وضعت لمّتها- أى حلقت رأسها- على قبر خالد» وهذا حرام بلا إرتياب واللّه أعلم.

(۱)

وبكى هو على النعمان بن مقرن واضعاً يده على رأسه، كما نص عليه ابن عبدالبر فى‌ترجمة النعمان من إستيعابه ۴/ ۱۵۰۶ وفى أوائل الجزء الثانى من العقد الفريد قال: ولما نُعى النعمان بن مقرن إلى عمر بن الخطاب وضع يده على رأسه وصاح يا أسفاه على النعمان.. و بكاؤه على أخيه زيد معلوم بالتواتر.

(۲) الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ۲/ ۴۳۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۴۱

المطلب الثانى: فى رثاء الميّت بالقريض ... ص: ۴۱

فى رثاء الميّت ... ص: ۴۱

ويظهر من القسطلانى فى شرح البخارى «۱»: إنّ الجماعة يفضّلون القول فيه، فيحرّمون ما اشتمل منه على مدح الميّت وذكر محاسنه الباعث على تحريك الحزن وتهييج اللّوعة، ويبيحون ما عدا ذلك.

والحق إباحته مطلقاً، إذ لا دليل هنا يعدل بنا عن مقتضى الأصل، والنواهى التى يزعمونها إنّما يستفاد منها الكراهة فى موارد مخصوصة، على أنّها غير صحيحة بلا ارتياب.

وقد رثى آدم (عليه السّلام) ولده هابيل «۲»، واستمرّت على ذلك ذريّته إلى يومنا هذا بلا نكير.

(۱)

أنظر: باب رثاء النبى (صلّى اللّه عليه وآله) سعد بن خولى ص ۲۹۸ ج ۳ من إرشادالسارى للقسطلانى. (المؤلف).

(۲) فيما روى وقد ضعف.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۴۲

وأقرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أصحابه عليه مع إكثارهم من تهييج الحزن به، وتفننهم بمدائح الموتى فيه، وتلك مراثيهم منتشرة فى كتب الأخبار، فراجع من الإستيعاب- إن أردت بعضها- أحوال سيدالشهداء حمزة، وعثمان بن مظعون، وسعد بن معاذ، وشماس بن عثمان بن الشريد، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وأبى خراش الهذلى، وأياس بن البكير الليثى، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهم.

ولاحظ من الإصابة أحوال ذى الجناحين جعفر بن أبى طالب، وأبى زيد الطائى، وأبى منان بن حريث المخزومى، والأشهب بن رميلة الدارمى، وزينب بنت العوام، وعبداللّه بن عبد المدان الحارثى، وجماعة آخرين لا تحضرنى أسماؤهم.

ودونك كتاب الدرّة فى التعازى والمراثى، وهو فى أول الجزء الثانى من العقد الفريد، تجد فيه من مراثى الصحابة ومن بعدهم شيئاً كثيراً.

وليس شىء مما أشرنا إليه إلّاوقد اشتمل على ما يهيّج الحزن، ويجدد اللّوعة بمدح الميت وذكر محاسنه.

ولمّا توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم تنافست فضلاء الصحابة فى رثائه، فرثته سيدة نسآء العالمين (عليها السلام) بأبيات

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۴۳

تُهيّج الأحزان، ذكر القسطلانى «۱» فى إرشاد السارى بيتين منها وهما قولها عليها السلام:

ماذا على مَن شمَّ تربة أحمد أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليا

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها صُبَّت على الأيام صرن لياليا

ورثته أيضاً بأبيات تثير لواعج الأشجان، ذكر ابن عبدربه المالكى بيتين منها فى أوائل الجزء الثانى من العقد الفريد وهما:

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها وغاب مذ غبتَ عنّا الوحيُ والكتبُ

فليت قبلك كان الموت صادفنا لما نعيت وحالت دونك الكثب

ورثته عمّته صفيّة بقصيدة يائية، ذكر ابن عبدالبر فى أحوال النبى (صلّى اللَّه عليه وآله) من استيعابه «۲» جملة منها.

ورثاه أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بقصيدة لاميّة، ذكر بعضها صاحبا الاستيعاب والإصابة «۳» فى ترجمة أبى سفيان المذكور.

ورثاه أبو ذويب الهذلى- كما يعلم من ترجمته فى الإستيعاب

---

(۱) إرشاد السارى ۳/ ۳۱۸، باب رثاء النبى (صلى اللَّه عليه وآله) سعد بن خولى.

(۲) الإستيعاب ۱/ ۴۹.

(۳) المصدر ۴/ ۱۶۷۵، الإصابة ۷/ ۳۶۶، رقم ۱۰۶۸۹.

والإصابة «۱» - بقصيدة حائية.

ورثاه أبو الهيثم بن التيهان بقصيدةٍ دالية، أشار إليها ابن حجر فى ترجمة أبى الهيثم من إصابته «۲».

ورثته أم رعلة القشيرية بقصيدة رائية، أشار إليها العسقلانى فى ترجمة أم رعلة من إصابته «۳».

ورثاه عامر بن الطفيل بن الحرث الأزدى بقصيدةٍ جيمية، أشار إليها ابن حجر فى ترجمة عامر من الإصابة «۴».

ومَن استوعب الإستيعاب، وتصفّح الإصابة واسد الغابة، ومارس كتب الأخبار، يجد من مراثيهم المشتملة على تهييج الحزن بذكر محاسن الموتى شيئاً يتجاوز حدّ الأحصاء.

وقد أكثرت الخنساء- وهى صحابيّة- من رثاء أخويها صخر ومعاوية وهما كافران، وأبدعت فى مدائح صخر، وأهاجت عليه لواعج الحزن فما أنكر عليها منكر.

وأكثر أيضاً متمم بن نويرة من تهييج الحزن على أخيه مالك فى

---

(۱) الإستيعاب ۴/ ۱۶۵۰، الإصابة ۷/ ۱۱۱.

(۲) الإصابة ۷/ ۳۶۶.

(۳) المصدر ۳/ ۴۷۳.

(۴) المصدر ۸/ ۳۹۰.

مراثيه السائرة، حتى وقف مرة فى المسجد وهو غاص بالصحابة أمام أبى بكر بعد صلاة الصبح واتكأ على سية قوسه فأنشد:

نعم القتيلُ إذا الرياح تناوحت خلف البيوت قُتِلَت يا ابن الأزور

ثم أومأ إلى أبى بكر- كما فى ترجمة وثيمة بن موسى بن الفرات من وفيات ابن خلكان «۱» - فقال مخاطباً له:

أدعوته باللَّه ثم غدرته لو هو دعاك بذمّة لم يغدر

فقال أبو بكر: «واللَّه ما دعوته ولا غدرته» ثم قال:

ولنعم حشو الدرع كان وحاسراً ولنعم مأوى الطارق المتنور

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه حلو شمائله عفيف المأزر

وبكى حتى انحط عن سية قوسه، قالوا: «فمازال يبكى حتى دمعت عينه العوراء» فما أنكر عليه فى بكائه ولا فى رثائه منكر، بل قال له عمر:

- كما فى ترجمة وثيمة من الوفيات «۲» - «لوددت أنّك رثيت زيداً أخى بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك» فرثى متمم بعدها زيد بن الخطاب فما أجاد، فقال له عمر: «لما لم ترث زيداً كما رثيت مالكاً» فقال: «إنّه واللّه

---

(۱) وفيات الأعيان ۶/ ۱۶.

(۲) المصدر.

ليحرّكنى لمالك ما لا يحركنى لزيد».

واستحسن الصحابة ومَن تأخر عنهم مراثيه فى مالك وكانوا يتمثّلون بها، كما اتفق ذلك من عائشة إذ وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن- كما فى ترجمته من الإستيعاب «۱» - فبكت عليه وتمثّلت:

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلمّا تفرّقنا كأنى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلةً معا

وما زال الرثاء فاشياً بين المسلمين وغيرهم فى كلِّ عصر ومصر لا يتناكرونه مطلقاً.

---

(۱) الإستيعاب ۲/ ۸۲۶ و ۴/ ۱۶۳۸.

المطلب الثالث: تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميت ومصائبه ... ص: ۴۹

تلاوة الأحاديث المشتملة على مناقب الميت ومصائبه ... ص: ۴۹

كما كانت عليه سيرة السلف.

وفعلته عائشة، إذ وقفت على قبر أبيها باكية. فقالت: كنتَ للدنيا مذلّاً بإدبارك عنها، وكنت للآخرة معزّاً بإقبالك عليها، وكان أجلّ الحوادث بعد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) رزؤك، وأعظم المصائب بعده فقدك.

وفعله محمّد بن الحنفية، إذ وقف على قبر أخيه المجتبى عليه السّلام فخنقته العبرة- كما فى أوائل الجزء من العقد الفريد «۱» - ثم نطق فقال:

«يرحمك اللّه أبا محمّد، فإنْ عزّت حياتك فقد هدّت وفاتك، ولنعم الروح روح ضمّه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمّه كفنك، وكيف

---

(۱) العقد الفريد ۲/ ۳۷.

لا تكون كذلك؟ وأنت بقية ولد الأنبياء، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، غذّتك أكف الحق، وربيت فى حجر الإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك، ولا شاكة فى الخيار لك».

ثم بكى بكاءاً شديداً وبكى الحاضرون حتى علا نشيجهم.

ووقف أميرالمؤمنين عليه السّلام على قبر خباب بن الأرت فى ظهر الكوفة، وهو أول مَن دفن هناك- كما نص عليه ابن الأثير فى آخر تتمة صفين- فقال:

«رحم اللَّه خباباً، لقد أسلم راغباً، وجاهد «۱» طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتُلى فى جسمه أحوالًا، ولن يضيّع اللَّه أجرَ من أحسن عملًا» «۲».

ولما توفّى أمير المؤمنين عليه السّلام، قام الخلف من بعده أبو محمّد الحسن الزكى عليه السلام خطيباً فقال: - كما فى حوادث سنة ۴۰ من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهما-.

«لقد قتلتم الليلة رجلًا، واللَّه، ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده، واللَّه إن كان رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) ليبعثه

---

(۱) فى المصدر: (هاجر).

(۲) الكامل؛ لابن الأثير ۳/ ۱۹۸، حوادث سنة ۳۷، ط بيروت دار الكتب العلمية.

فى السرية وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، واللَّه ما ترك صفراء ولا بيضاء ... الخ» «۱».

ووقف الإمام زين العابدين عليه السّلام على قبر جدّه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال:

«أشهد أنك جاهدت فى اللَّه حق جهاده، وعملت بكتابه، و اتبعت سنن نبيه (صلّى اللَّه عليه وآله) حتى دعاك اللَّه إلى جواره فقبضك إليه باختياره، لك كريم ثوابه، وألزم أعداءك الحجة مع مالك من الحجج البالغة على جميع خلقه» «۲».

وعن أنس بن مالك- كما فى العقد الفريد وغيره- قال: لما فرغنا من دفن رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) بكت فاطمة ونادت:

«يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه مَن ربّه ما أدناه، يا أبتاه إلى جبرائيل ننعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه» «۳».

---

(۱) تاريخ الطبرى ۴/ ۱۲۱، حوادث سنة ۴۰، ط بيروت الأعلمى، البداية والنهاية ۷/ ۳۶۸، ط دار إحياء التراث العربى، الإمامة والسياسة ۱/ ۱۴۰، ط القاهرة ۱۴۱۳.

(۲) كامل الزيارات: ۹۲ و ۹۳، باب زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكيف يزار والدعاء عند ذلك.

(۳) المجموع؛ للنووى ۵/ ۳۰۸، ط دار الفكر، والبخارى ۵/ ۱۴۴، ط دار الفكر عام ۱۴۰۱، والمستدرك؛ للحاكم النيسابورى ۱/ ۳۸۲ ط بيروت دار المعرفة عام ۱۴۰۶، والسنن الكبرى للبيهقى ۴/ ۷۱ ط دارالفكر.

ولو أردنا أن نستوفى ما كان من هذا القبيل، لخرجنا عن الغرض المقصود.

وحاصله: أنّ تأبين الموتى من أهل الآثار النافعة بنشر مناقبهم وذكر مصائبهم، مما حكم بحسنه العقل والنقل، واستمرّت عليه سيرة السلف والخلف، وأوجبته قواعد المدنية، واقتضته أصول الترقى فى المعارف، إذ به تُحفظ الآثار النافعة، وبالتنافس فيه تعرج الخطباء إلى أوج البلاغة، والقول بتحريمه يستلزم تحريم قراءة التاريخ، وعلم الرجال، بل يستوجب المنع من تلاوة الكتاب والسنة؛ لاشتمالهما على جملة من مناقب الأنبياء ومصائبهم، ومَن يرضى لنفسه هذا الحمق، أو يختار لها هذا العمى؟ نعوذ باللَّه من سفه الجاهلين.

المطلب الرابع: فى الجلوس حزناً على الموتى ... ص: ۵۵

فى الجلوس حزناً على الموتى ... ص: ۵۵

من أهل الحفائظ والأيادى المشكورة.

وحسبك فى رجحان ذلك: ما تواتر عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم من الحزن الشديد على عمّه أبى طالب وزوجته الصدّيقة الكبرى أم المؤمنين عليهما السلام، وقد ماتا فى عام واحد فسمّى عام الحزن، وهذا معلوم بالضرورة من أخبار الماضين «۱».

وأخرج البخارى- فى باب مَن جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن من الجزء الأول من صحيحه- بالإسناد إلى عائشة. قالت: «لما جاء النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس- أى فى المسجد كما فى رواية أبى داود- يعرف فيه الحزن» «۲».

---

(۱) أنظر: الكامل فى التاريخ؛ لابن الأثير ۱/ ۶۰۶، ط دار الكتب العلمية.

(۲) البخارى ۲/ ۸۳ ط دار الفكر و ۵/ ۸۷. وصحيح مسلم ۳/ ۴۵، ط دار الفكر، والسنن الكبرى للبيهقى ۴/ ۵۹، سنن أبى داود.

وأخرج البخارى فى الباب المذكور أيضاً عن أنس قال: «قنت رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) شهراً حين قتل القرآء، فما رأيته حزن حزناً قطّ أشدّ منه. الحديث» «۱».

والأخبار فى ذلك أكثر من أنْ تحصى أو تستقصى.

والقول بأنّه إنّما يحسن ترتيب آثار الحزن إذا لم يتقادم العهد بالمصيبة، مدفوع بأنّ من الفجائع ما لا تخبو زفرتها ولا تخمد لوعتها، فقرب العهد بها وبعده عنها سواء. نعم، يتم قول هؤلاء اللّائمين إذا تلاشى الحزن بمرور الأزمنة ولم يكن دليل ولا مصلحة يوجبان التعبّد بترتيب آثاره، وما أحسن قول القائل فى هذا المقام:

خلّى أُميمة عن ملا مكِ ما المعزّى كالثكول

ما الراقد الوسنان مثل معذَّب القلب العليل

سهران من ألم وهذا نائمُ الليل الطويل

ذوقى اميمة ما أذوقُ وبعده ماشئتِ قولى

على أنّ فى ترتيب آثار الحزن بما أصاب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم من تلك الفجائع وحلَّ بساحته من هاتيك القوارع، حكماً توجب التعبّد بترتيب آثار الحزن بسببها على كلِّ حال. والأدلّة على

---

(۱) البخارى ۲/ ۸۴، نيل الأوطار ۲/ ۲۹۷، ط بيروت.

ترتيب تلك الآثار فى جميع الأعصار متوفرة، وستسمع اليسير منها إنْ شاء اللَّه تعالى.

وقد علمت سيرة أهل المدينة الطيّبة، واستمرارها على ندب حمزة وبكائه مع بعد العهد بمصيبته، فلم ينكر عليهم فى ذلك أحد، حتى بلغنى أنهم لا يزالون إلى الآن إذا ناحوا على ميت بدأوا بالنياحة عليه، وما ذاك إلّامواساة لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بمصيبته فى عمّه، وأداءً لحق تلك الكلمة التى قالها فى البعث على البكاء عليه وهى قوله: «لكن حمزة لا بواكى له» «۱».

وكان الأولى لهم ولسائر المسلمين مواساته فى الحزن على أهل بيته والآقتداء به فى البكاء عليهم، وقد لامَ بعض أهل البيت عليهم السلام مَن لم يواسهم فى ذلك فقال:

«باللَّه لقلب لا ينصدع لتذكار تلك الأمور، ويا عجباً من غفلة أهل الدهور، وما عذر أهل الإسلام والإيمان فى إضافة أقسام الأحزان، ألم يعلموا أنّ محمّداً (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) موتور وجيع، وحبيبه مقهور صريع. قال: وقد أصبح لحمه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) مجرّداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف أهل الضلال، فياليت

---

(۱) تقدّم تخريجه، فراجع.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۵۸

لفاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها وبنيها، وهم ما بين مسلوب وجريح، ومسحوب وذبيح، إلى آخر كلامه» «۱».

ومَنْ وقف على كلام أئمة أهل البيت فى هذا الشان، لا يتوقف فى ترتيب آثار الحزن عليهم مدى الدوران، لكنا منينا بقوم لا ينصفون، فإنّا للَّه وإنا إليه راجعون.

---

(۱) اللهوف، للسيد ابن طاوس: ۲۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۶۱

المطلب الخامس: فى الإنفاق عن الميت ... ص: ۶۱

فى الإنفاق عن الميت ... ص: ۶۱

فى وجوه البرّ والإحسان.

ويكفى فى استحبابه: عموم ما دلّ على استحباب مطلق المبرات، والخيرات، على أنّ فعل النبى صلّى اللَّه عليه وآله وقوله دالّان على الإستحباب فى خصوص المقام.

وحسبك من فعله: ما أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما «۱» بطرق متعددة: عن عائشة، قالت: «ما غرتُ على أحد من نساء النبى (صلّى اللَّه عليه وآله)، مثل ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبى (صلّى اللَّه عليه وآله)، يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها

---

(۱) فراجع من صحيح البخارى ۴/ ۲۳۱، باب تزويج النبى خديجة وفضلها، من صحيح‌مسلم: باب فضائل خديجة أم المؤمنين عليها السلام. (المؤلّف).

وللتفصيل راجع: مسند أحمد ۶/ ۲۷۹، والمستدرك للحاكم ۴/ ۱۷۵، والمعجم الكبير للطبرانى ۱۰/ ۲۳ ح ۱۱ وأُسد الغابة ۵/ ۴۳۸. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۶۲

أعضاء، ثم يبعثها فى صدائق خديجة، فربما قلت له: «كأنّه لم يكن فى الدنيا إلّاخديجة»، فيقول: «إنّها كانت وكانت وكان لى منها ولد».

قلتُ: وهذا يدلُّ على استحباب صلة أصدقاء الميت وأوليائه فى اللَّه عزّوجلّ بالخصوص.

ويكفيك من قوله صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم: ما أخرجه مسلم فى باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، من كتاب الزكاة، فى الجزء الأول من صحيحه بطرق متعددة، عن عائشة: إنّ رجلًا أتى النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) فقال: «يا رسول اللَّه إنّ أُمى افتلتت

نفسها، ولم توص، أفلها أجر إن تصدّقتُ عنها؟» قال (صلّى اللّه عليه وآله):

«نعم!» «۱».

ومثله: ما أخرجه أحمد من حديث عبداللّه بن عباس فى الصفحة ۳۳۳ من الجزء الأوّل من مسنده، من أنّ سعد بن عباده قال: «إنّ ابن بكر أخابنى ساعدة توفيت أُمّه وهو غائب عنها فقال: يا رسول اللّه:

إنّ أمى توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدّقت بشىء عنها»؟

قال: «نعم» قال: «فإنى اشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها» «۲».

---

(۱) صحيح مسلم ۳/ ۸۱.

(۲) مسند أحمد بن حنبل ۱/ ۳۳۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۶۳

والأخبار فى ذلك متضافرة «۱»، ولا سيما من طريق العترة الطاهرة «۲».

---

(۱)

المعجم الأوسط للطبرانى ۱/ ۲۱۷، مسند أبى يعلى الموصلى ۷/ ۴۱۰، ح ۴۴۳۴، السنن الكبرى، للنسائى ۴/ ۱۰۹ وكنز العمال/ ۵۹۹: ۶، ح ۱۷۰۵۳.

(۲) وربما كان المنكر علينا فيما نفعله من المبرّات عن الحسين (عليه السّلام)، لا يقنع بأقوال النبى (صلّى اللّه عليه وآله) ولا بأفعاله، وإنما تقنعه أقوال سلفه، وأفعالهم، وحينئذ نحتج عليه بما فعله الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى، إذ مات لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر، فبعث الوليد إلى منزله عشرين جزوراً، فنحرت عنه، كما نصّ عليه ابن عبدالبر، فى ترجمة لبيد، من الإستيعاب [۳/ ۱۱۳۶- ۱۱۳۷]. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۶۷

فصل: فى مآتمنا المختصّة بسيّد الشهداء عليه السّلام ... ص: ۶۷

كلّ مَن وقف على ما سلف من هذه المقدّمة، يعلم أنّه لا وجه للإنكار علينا فى مآتمنا المختصة بسيد الشهداء عليه السّلام، ضرورة أنّه لا تشتمل إلّاعلى تلك المطالب الخمسة، وقد عرفت إباحتها بالنسبة إلى مطلق الموتى من كافة المؤمنين.

وما أدرى كيف يستنكرون مآتم انعقدت لمواسات النبى صلّى اللّه عليه وآله وسلّم؟ وأُسِّست على الحزن لحزنه، أيبكى بأبى هو وأمى قبل الفاجعة ونحن لا نبكى بعدها؟ ما هذا شأن المتأسى بنبيّه، والمقتصّ لأثره، إنْ هذا إلّاخروج عن قواعد المتأسين، بل عدول عن سنن النبيّين.

ألم يرو الإمام أحمد بن حنبل من حديث على عليه السّلام، فى الصفحة ۸۵ من الجزء الأول من مسنده، بالإسناد إلى عبداللّه بن نجىّ، عن أبيه أنّه سار مع على (عليه السّلام)، فلما حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين نادى: «صبراً أبا عبداللّه، صبراً أبا عبداللّه بشطّ الفرات».

قال: «قلت: وما ذاك»، قال:

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۶۸

«دخلتُ على رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: يا نبى اللّه، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: قام من

عندى جبرائيل قبل، فحدّثنى أنّ ولدى الحسين يُقتل بشط الفرات، قال فقال: هل لك إلى أن أشمَّك من تربته؟ قال: قلت: نعم! فمدّ يده، فقبض قبضة من تراب فاعطانيها، فلم أملك عينى أن فاضتا» «۱».

وأخرج ابن سعد، كما فى الفصل الثالث من الباب الحادى عشر، من الصواعق المحرقة لابن حجر «۲»، عن الشعبى، قال: «مرّ على رضى اللَّه عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى، فوقف وسأل عن اسم الأرض، فقيل: كربلاء؟ فبكى حتى بلّ الأرضَ من دموعه، ثم قال:

«دخلت على رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) وهو يبكى، فقلت: ما يبكيك (بأبى أنت وأُمى) قال: كان عندى جبرائيل آنفاً، وأخبرنى أنّ ولدى الحسين، يقتل بشاطىء الفرات، بموضع يقال له

---

(۱) مسند أحمد ۱/ ۸۵، ط دار صادر، ومجمع الزوائد، للهيثمى ۹/ ۱۸۷، ط دار الكتب العلمية سنة ۱۴۰۸، مسند أبى يعلى الموصلى ۱/ ۲۹۸، المعجم الكبير للطبرانى ۳/ ۱۰۵، ح ۲۸۱۱، كنز العمال ۱۳/ ۶۵۵، ح ۳۷۶۶۳.

(۲) كل ما ننقله فى هذا المقام عن الصواعق من هذا الحديث، وغيره موجود فى أثناء كلامه فى الحديث الثلاثين، من الأحاديث التى أوردها فى ذلك الفصل، فراجع. (المؤلف).

كربلاء. (الحديث) «۱».

وأخرج الملّا- كما فى الصواعق أيضاً-: «إنّ علياً مرّ بموضع قبر الحسين عليهما السلام فقال:

«هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد، يقتلون بهذه العرصة، تبكى عليهم السمآء والأرض» «۲».

ومن حديث أم سلمة- كما نصَّ عليه ابن عبدربه المالكى «۳»، حيث ذكر مقتل الحسين فى الجزء الثانى من العقد الفريد- قالت: «كان عندى النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) ومعى الحسين، فدنا من النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) فأخذته، فبكى، فتركته، فدنا منه، فأخذته فبكى فتركته، فقال له جبرائيل: «أتحبّه يا محمّد»؟ قال: «نعم»! قال: «أمّا إنّ أُمتك ستقتله، وإن شئت أريتك الأرض التى يقتل بها»، فبكى النبى

---

(۱) أنظر: الصواعق المحرقة، لابن حجر: ۱۹۳، عنه القندوزى فى ينابيع المودّة ۳/ ۱۲.

(۲) وهذا الحديث رواه أصحابنا- بكيفية مشجية- عن الباقر عليه الصلاة والسلام، ورووه عن هرثمة، وعن ابن عباس، وإن أردت الوقوف عليه، فدونك ص ۱۰۸- وما بعدها إلى- ص ۱۱۲ من الخصائص الحسينية للتسترى، وأنظر: الصواعق المحرقة: ۱۹۳.

(۳) فى السطر ۱۵ من الصفحة ۲۴۳ من جزئه الثانى المطبوع سنة ۱۳۰۵، وفى هامشه زهرالآداب.

(صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) «۱».

وروى الماوردى الشافعى، فى باب إنذار النبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم بما سيحدث بعده، «۲» من كتابه (أعلام النبوة) عن عروة، عن عائشة، قالت: «دخل الحسين بن على على رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) وهو يُوحى إليه، فقال جبرائيل: «إنّ أمّتك ستفتتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال: فى هذه يقتل ابنك، اسمها الطف».

قالت: «فلمّا ذهب جبرآئيل، خرج رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) إلى أصحابه والتربة بيده، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وعلى، وحذيفة، وعثمان، وأبو ذر، وهو يبكى» فقالوا: «ما يبكيك يا رسول اللَّه»؟ فقال:

«أخبرنى جبرائيل: إنّ ابنى الحسين، يقتل بعدى بأرض الطف،

---

(۱) وأخرج البغوى فى معجمه وأبو حاتم فى صحيحه، من حديث أنس كما فى الصواعق نحوه، وابن سعد فى طبقاته ج ۸ ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام)، ح ۸۱، والذهبى فى ميزان الاعتدال ۱/ ۸، وفى ط ص ۱۳ فى ترجمة أبان بن أبى عياش رقم ۱۵.

(۲) وهو الباب الثانى عشر فى الصفحة ۲۳ وفى طبعةٍ الصفحة ۱۸۲. من ذلك الكتاب، عنهابن نما الحلى فى كتاب ذوب النضار فى شرح الثار: ۲۱، ط قم جماعة المدرّسين، سنة ۱۴۱۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۱

وجاءنى بهذه التربة، فأخبرنى أنّ فيها مضجعه» «۱».

وأخرج الترمذى «۲» - كما فى الصواعق وغيرها- «إن أم سلمة رأت النبى (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) فيما يراه النائم باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته فقال:

«قُتِلَ الحسين آنفاً».

قال فى الصواعق: «وكذلك رآه ابن عباس، نصف النهار، أشعث أغبر، بيده قارورة، فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال:

«دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم» «۳».

قال: «فنظروا فوجدوه قد قُتل فى ذلك اليوم».

وأما صحاحنا، فإنّها متواترة فى بكآئه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم على الحسين عليه السّلام فى مقامات عديدة، يوم ولادته، وقبلها، ويوم السابع من مولده، وبعده فى بيت فاطمة، وفى حجرته، وعلى منبره،

---

(۱) أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير ۳/ ۱۰۷، ح ۲۸۱۴، والهيثمى فى مجمع الزوائد ۹/ ۱۸۸.

(۲) الترمذى فى سننه ۵/ ۲۲۳ ح ۳۸۶۰، والحاكم فى المستدرك ۴/ ۱۹، والبخارى فى تاريخه الكبير ۳/ ۳۲۴ ح ۱۰۹۸.

(۳) وأخرجه من حديث ابن عباس أحمد بن حنبل فى الصفحة ۲۸۳ من الجزء الأوّل من مسنده، وابن عبدالبر، والعسقلانى فى ترجمة (الإمام) الحسين (عليه السّلام) من الاستيعاب، و الإصابة. وخلق كثير. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۲

وفى بعض أسفاره، تارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعلى وفاطمة، وربّما بكاه هو أصحابه، وكان يقبّله فى نحره ويبكى، ويقبّله فى شفتيه ويبكى، وإذا رآه فرحاً يبكى، وإذا رآه حزيناً يبكى، بل صح أنّه قد بكاه آدم، ونوح، وإبراهيم، و إسماعيل، وموسى، وعيسى، وزكريا، ويحيى، والخضر، وسليمان عليهم السلام، وتفصيل ذلك كلّه موكول إلى مظانه من كتب الحديث «۱».

وأما أئمة العترة الطاهرة الذين هم كسفينة نوح، وباب حطّة، وأمان أهل الأرض، وأحد الثقلين اللذين لا يضلُّ مَن تمسك بهما ولا يهتدى إلى اللَّه مَن صدَّ عنهما، فقد استمرت سيرتهم على الندب والعويل، وأمروا أوليائهم بإقامة مآتم الحزن، جيلًا بعد جيل، فعن الصادق عليه السّلام- فيما رواه ابن قولويه فى الكامل، وابن شهراشوب فى المناقب، وغيرهما-:

«إنّ على بن الحسين عليهما السلام بكى على أبيه مدّة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلّابكى، ولا أتى بشراب إلّابكى، حتى قال له أحد مواليه: جُعلت فداك، يا ابن رسول اللَّه؛ إنى أخاف أن تكون من

---

(۱) أنظر: الصفحة ۱۰۵ وما بعدها إلى الصفحة ۲۳۲ من الخصائص الحسينية، وإن شئت أنظر: جلاء العيون، والبحار، والمنتخب للطريحى، وأسرار الشهادة للدربندى، وسيرتنا وسنتنا للعلامة الأمينى.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۳

الهالكين، قال عليه السّلام: إنما أشكو بثّي وحزني إلى اللَّه وأعلم من اللَّه ما لا تعلمون» «۱».

وروى ابن قولويه وابن شهرآشوب أيضاً وغيرهما: إنّه كلّما كثر بكاؤه قال له مولاه: «أما آن لحزنك أن ينقضي»؟، فقال:

«ويحك، إن يعقوب عليه السّلام كان له اثنا عشر ولداً، فغيّب اللَّه واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم، وابنه حي في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي، وأخي، وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟» «۲».

وعن الباقر عليه السّلام «۳» قال:

«كان أبي علي بن الحسين (صلوات اللَّه عليه) يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السّلام دمعة حتى تسيل على خدّه، بوّأه اللَّه تعالى في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً؛ وأيّما مؤمنٍ دمعت عيناه حتى تسيل على خدّه فينا، لأذى مسّنا من عدوّنا في الدنيا، بوّأه اللَّه

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۱۳ ح ۱، باب ۳۵، عنه البحار ۴۶/ ۶۳ ح ۱۹، والخصال للصدوق: ۵۱۸ ح ۴، في باب ۲۳.

(۲) كامل الزيارات: ۲۱۳ ح ۲، وسائل الشيعة ۳/ ۲۸۳ ح ۱۱، باب ۸۷ العوالم، الإمام الحسين: ۴۴۹.

(۳) فيما أخرجه جماعة، منهم ابن قولويه في كامله [كامل الزيارات: ۲۰۱ ح ۱، باب ۳۲] (المؤلفَ).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۴

في الجنة مبوّأ صدق، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل على خده (من مضاضة ما أُوذي فينا) «۱»، صرف اللَّه عن وجهه الأذى، وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار» «۲».

وقال الرضا «۳» - وهو الثامن من أئمة الهدى، صلوات اللَّه وسلامه عليهم-.

«إن المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسُبيت فيه ذرارينا ونساؤنا، واضرمت فيه النار في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا «۴»، ولم ترع لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام (ثم قال عليه السّلام:) كان أبي إذا دخل شهر المحرم، لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه».

---

(۱)

بين القوسين من المصدر.

(۲) كامل الزيارات: ۲۰۱ ح ۱، باب ۳۲.

(۳) فيما أخرجه الصدوق في أماليه: ۱۱۱، وابن فتال النيسابوري المتوفى سنة ۵۰۸ فيروضة الواعظين: ۱۶۹ ط قم الشريف الرضي، وابن شهرآشوب في مناقبه ۳/ ۲۳۸، والإقبال للسيد ابن طاوس ۳/ ۲۸، ط مكتب الإعلام.

(۴) الثقل: وزان سبب: متاع المسافر، وكلّ شيء نفيس مصون.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۵

وقال (عليه السّلام) «۱»:

«مَن تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومَن ذكر مصابنا، فبكى وأبكى، لم تبكِ عينه يوم تبكى

العيون، ومَن جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» «۲».

وعن الريان بن شبيب- فيما أخرجه الشيخ الصدوق فى العيون- قال: «دخلتُ على الرضا عليه السّلام فى أول يوم من المحرّم، فقال لى: «يا ابن شبيب، إن المحرّم هو الشهر الذى كان أهل الجاهلية يحرّمون فيه الظلم والقتال، لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيّها- صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، إذ قتلوا فى هذا الشهر ذريّته، وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، يا ابن شبيب إنْ كنت باكياً لشىء فابك للحسين (عليه السّلام) فإنه ذبح كما يُذبح الكبش «۳»، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر

---

(۱) فيما أخرجه الصدوق فى أماليه: ۱۳۱، ح ۴، المجلس السادس عشر.

(۲) مكارم الأخلاق: ۳۱۵، وسائل الشيعة ۱۴/ ۵۰۲ ح ۴، البحار ۴۴/ ۲۷۸ ح ۱ و ۲.

(۳) إن التعبير- كهذا- مما يدلك على غاية همجية القوم وشقائهم، وبعدهم عن العطف‌الإنسانى، بالإضافة على قتلهم ريحانة الرسول الأعظم صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم وهتكهم حرمته فى سبطه روحى فداه. وقد أجمل الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام لما أدى عن الفاجعة وأهميتها بهذا الكلام القصير وأشار به إلى معنى جسيم يدركه الباحث المتعمق بعد التحليل والاختبار، ويندهش- المجموع البشرى- لمثل هذه الرزية عندما علم انّه لم يوجد بين تلك الجموع المحتشدة فى كربلا مَن يردعهم عن موقفهم البغيض، ولا أقل مَن تسائل بعضهم، لماذا نقاتل الحسين؟ وباى عمل استحق ذلك منا؟ أو هل كان دم الحسين (عليه السّلام) مباحاً إلى حد إباحة دم الكبش؟!، ويُذبح- بأبى وأمى- بلا ملامة لائم ومن دون خشية محاسب!! والتاريخ- بأيدينا- لم يحدثنا عن وجود متردد فى قتل الحسين عليه السّلام يوم عاشوراء بل اجتمعوا لذلك على قول واحد بلا رافض منهم يتخيل أن هناك محذوراً شرعياً أو عرفيّاً فيما يصنعون. حتى أن الشهيد السعيد الحرّ بن يزيد الرياحى لما اعتزلهم- قبل أن يشرعوا بالقتال- ولحق بالحسين- روحى فداه- وعظهم وزجرهم، لم يتعظوا بكلامه ولم يهتدوا إلى خيرهم، ولم يتّبعوه وهم غير شاكين فى الندامة اللاحقة بهم فى مستقبلهم المظلم القريب. وقد كان لالتحاق- الحرّ- الرياحى الأثر البالغ حيث أقام الحجة بعمله هذا على أهل الكوفة، وبرهن لهم إمكان التوبة، والرجوع إلى اللَّه، واتّباع الحق كما فعل هو- سلام اللَّه عليه- وقد استغل الفرصة ودافع عن الحسين (عليه الصلاة والسلام) واستشهد بين يديه، وسعد فى الدنيا بخلود ذكره، وفاز بصحبة النبى العظيم صلّى اللَّه عليه وآله فى الفردوس الأعلى. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۶

رجلًا ما لهم فى الأرض من شبيه، ولقد بكت السموات السبع لقتله- إلى أنْ قال-: يا ابن شبيب إنْ سرّك أنْ تكون معنا فى الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا. الحديث» «۱».

---

(۱) عيون أخبار الرضا ۲/ ۲۶۸ ح ۵۸، إقبال الأعمال ۳/ ۲۹، وسائل الشيعة ۱۰/ ۳۲۴ ح ۱۸، ط دار إحياء التراث العربى.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۷

وقال (عليه السّلام) فيما أخرجه الصدوق فى أماليه:

«مَن ترك السعى فى حوائجه يوم عاشوراء قضى اللَّه له حوائج الدنيا والآخرة، ومَن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل اللَّه عزّوجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا فى الجنان عينه، الحديث» «۱».

وبكى صلوات اللَّه عليه إذ أنشده دعبل بن على الخزاعى قصيدته التائية السائرة حتى أغمى عليه فى أثنائها مرتين، كما نصّ عليه الفاضل العباسى فى ترجمة دعبل من معاهد التنصيص «۲» وغيره من أهل الأخبار.

وفى البحار وغيره: «إنّه عليه السّلام أمر قبل إنشادها بستر فضرب دون عقائله فجلسن خلفه يسمعن الرثاء، ويبكين على جدّهن سيد الشهدآء وأنّه قال يومئذ:

«يا دعبل من بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحداً، كان أجره على اللّه. يا دعبل مَن ذرفت عيناه على مصابنا حشره اللّه معنا» «۳».

---

(۱) الأمالى للصدوق: ۱۹۱ ح ۴ المجلس ۲۷ والعلل ۱/ ۲۲۷ ح ۲، باب ۱۶۲، روضة الواعظين: ۱۶۹، والمناقب لابن شهرآشوب ۳/ ۲۳۹ ط النجف.

(۲) معاهد التنصيص ۲/ ۱۹۰.

(۳) البحار ۴۵/ ۲۵۷ ح ۱۵، ط بيروت مؤسّسة الوفاء، العوالم: ۵۴۵، ومستدرك الوسائل ۱۰/ ۳۸۶ ح ۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۸

وحدث محمّد بن سهل كما فى ترجمة الكميت من معاهد التنصيص قال: «دخلتُ مع الكميت على أبى عبداللّه جعفر بن محمّد الصادق (عليه السّلام) فى أيام التشريق فقال له: «جُعلت فداك ألا أُنشدك؟» قال: «إنها أيّام عظام». قال: «إنّها فيكم»، قال: «هات» وبعث أبو عبداللّه إلى بعض أهله، فقرب فأنشده فى رثاء الحسين عليه السّلام فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغى أوّل

قال: «فرفع أبو عبداللّه رحمه اللّه تعالى يديه فقال:

«اللّهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخّر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتى يرضى» «۱». «۲»

---

(۱) أنظر: نفحات الأزهار فى خلاصة عبقات الأنوار ۹/ ۱۹۹.

(۲) بخ بخ هنيئاً لمَن نال من أئمة الهدى بعض ذلك، وأنت تعلم أنّه عليه السّلام لم يبتهل بالدعاء للكميت هذا الابتهال إلّالما دلّ عليه بيته هذا من معرفته بحقيقة الحال، وقد أكثر الشعراء من نظم هذا المعنى، فنظمه المهيار فى قصيدته اللّامية، وقبل ذلك نظمه الشريف الرضى فقال:

بنى لهم الماضون أساس هذه فعلوا على أساس تلك القواعد

وكأن سيدة نساء عصرها (زينب عليها السلام) أشارت إلى هذا المعنى بقولها مخاطبة ليزيد: «وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين» بل أشار إليه معاوية إذ كتب إليه محمّد بن أبى بكر يلومه فى تمرّده على أمير المؤمنين عليه السّلام، ويذكر له فضله وسابقته، فكتب له معاوية فى الجواب ما يتضمن الإشارة إلى المعنى الذى نظمه الكميت، فراجع ذلك الجواب فى كتاب صفين لنصر بن مزاحم أو شرح النهج لابن أبى الحديد أو مروج الذهب للمسعودى. وقد اعترف بذلك المعنى يزيد بن معاوية إذ كتب إليه ابن عمر يلومه على قتل الحسين فأجابه: «أمّا بعد فإنّا أقبلنا على فرش ممهدة ونمارق منضدة»، إلى آخر الكتاب وقد نقله البلاذرى وغيره من أهل السير والأخبار، وفى كتابنا سبيل المؤمنين من هذا شىء كثير. فحقيق بالباحثين أن يقفوا عليه. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۷۹

وفى كامل الزيارات بالإسناد إلى عبداللّه بن غالب قال: «دخلت على أبى عبداللّه عليه السّلام فانشدته مرثية الحسين عليه السّلام، فلما انتهيت إلى قولى: فيها (لبليةٍ) البيت، صاحت باكية من وراء الستر: «يا أبتآه» «... ۱».

وروى الصدوق فى الأمالى وثواب الأعمال وابن قولويه، بأسانيد معتبرة، عن أبى عمارة قال: قال لى أبو عبداللّه عليه السّلام: «يا أبا عمارة، أنشدنى فى الحسين»، فأنشدته، فبكى، ثم أنشدته فبكى. قال: «فواللّه ما زلتُ أنشده ويبكى، حتى سمعت البكاء من الدار» فقال:

---

(۱) كامل الزيارات: ۱۰۵ ح ۳، والبحار ۴۴/ ۲۸۶ ح ۲۴، ومستدرك الوسائل ۱۰/ ۳۸۵ ح ۱ والبيت هو:

(لبليّةٍ تسقو حسيناً بمسقاة الثرى غير الترابِ).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۰

«يا أبا عمارة، مَن أنشد فى الحسين بن على (عليهما السلام) فأبكى خمسين فله الجنة، ومَن أنشد فى الحسين فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومَن أنشد فى الحسين فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد فى الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ومَن أنشد فى الحسين فبكى فله الجنة، ومن أنشد فى الحسين فتباكى فله الجنة» «۱».

وروى الصدوق فى ثواب الأعمال، بالإسناد إلى هارون المكفوف قال: «دخلت على أبى عبداللّه الصادق عليه السّلام فقال لى: «يا أبا هارون أنشدنى فى الحسين عليه السّلام» فأنشدته، فقال لى: «أنشدنى كما تنشدون».- يعنى بالرقة- قال فأنشدته:

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: «زدنى» فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى و سمعت البكاء من خلف الستر، فلما فرغت، قال:

«يا أبا هارون! من أنشد فى الحسين (عليه السلام) شعراً فبكى وأبكى عشرة، كتبت لهم الجنة، إلى أن قال: ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة، كان ثوابه على اللّه عزّوجلّ،

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۰۹ ح ۲ باب ۳۳، وثواب الأعمال للصدوق: ۱۱۱ ح ۲، والأمالى للصدوق المجلس: ۲۹ ح ۶، والبحار ۴۴/ ۲۸۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۱

ولم يرض له بدون الجنة» «۱».

وروى الكشى بسند معتبر عن زيد الشحام قال: «كنّا عند أبى عبداللّه (عليه السّلام) فدخل عليه جعفر بن عفان فقرّبه وأدناه، ثم قال: «يا جعفر!» قال: «لبيك جعلنى اللّه فداك، قال: بلغنى أنّك تقول الشعر فى الحسين (عليه السلام) وتجيد»، فقال له: «نعم جعلنى اللّه فداك» فقال: «قل!» فأنشده، فبكى ومَن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال:

«يا جعفر، واللّه لقد شهدك ملائكة اللّه المقربون‌ها هنا يسمعون قولك فى الحسين (عليه السّلام)، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، (إلى أن قال:) ما من أحد قال فى الحسين شعراً فبكى وأبكى إلّاأوجب اللّه له الجنة، وغفرله» «۲».

وروى ابن قولويه فى الكامل بسند معتبر حديثاً، عن الصادق (عليه السّلام) جاء فيه:

«وكان جدّى على بن الحسين (عليهما السلام) إذا ذكره- يعنى الحسين عليه السّلام- بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكى لبكائه

---

(۱) ثواب الأعمال: ۱۱۱ ح ۱، ط بيروت الأعلمى.

(۲) رجال الكشى ۳/ ۵۷۴ رقم ۵۰۸ فى ترجمة جعفر بن عفان الطائى؛ ط مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۲

رحمة له مَن رآه، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكى لبكائهم كلّ مَن فى الهواء والسماء، وما من باكٍ يبكيه إلّاوقد وصل فاطمة وأسعدها، ووصل رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله) وأدّى حقنا، الحديث» «۱».

وفى قرب الإسناد، عن بكر بن محمّد الأزدى قال: قال أبو عبداللّه (الصادق) عليه السّلام لفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدّثون؟» قال: «نعم جعلت فداك» قال عليه السّلام:

«إنّ تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم اللّه مَن أحيى أمرنا، يا فضيل! مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب «۲»

---

(۱) كامل الزيارات: ۱۶۸ ح ۸ باب ۲۶، مدينة المعاجز، للسيد هاشم البحرانى ۴/ ۱۶۷ ح ۲۴۲.

(۲) كانت الأمم- ولم تزل- تقيم المهرجانات لعظمائها بشتى المناسبات، فمِن واردٍ يستقبلونه يهتاف وتصفيق، أو جثمان يحملونه على الأكتاف صارخين، واعتادت الصحف- عالمية وأقليمية- بنشرها لتفاصيل تعطى قرآئها معلومات كافية عن تلك الأنباء وتطبع الصور المجناة عنها للغاية نفسها. وقد تقوم وزارة التوجيه والإرشاد بإذاعة تلك الأخبار إذا كسبت الأهمية لديها بصورةٍ مّا، وفى الساعة الأخيرة يثاب المساهمون ويجزون بالجميل فعلًا، وقد يكافئون بالأفضل كلّ على حسبه، كما أنّ غيرهم يُحرم مما يقابل به المحسنون، آمنين كانوا أم غير آمنين، عن صميم كان عملهم أم لا، والقصد فى عملهم صحيحاً كان أم خالطه خوف أو رجآء.

فإذا كان الحال عند الشعوب والقبائل والحكومات والدول- كما قدمنا- جزاء المحسن بإحسان مثل ما يؤدّيه من الواجب، أو على قدر ما يبديه بالنسبة إلى الفقيد وذويه، وإلى أصحاب العزاء وإهمال المفرط بل عقابه أحيانا، كان على اللَّه سبحانه أن يبذل ما يناسب وشأنه العزيز- بكرمه وجوده- للمعزّين بأبى الشهدآء- روحى له الفداء- من الغفران والجنة والرضوان، وما ذلك عليه بعزيز- والأمر والملك له- حيث أنّ الحسين ثار اللَّه- كما ورد- وأنّ معالم الدين- المحمدى (صلّى اللَّه عليه وآله) الحنيف لم تعش إلّابركة الحسين وأهل بيته (صلّى اللَّه عليهم)، واللَّه يعلم أنّ الذى يخرج من العين لا يكون إلّاعن حرقة، ولم يكن إلّاعند فيضان الأحاسيس وهيجان العواطف.

فالذى ورد فى ثواب الباكين على الحسين (عليه السلام)- ولو مثل جناح الذباب- مجمع عليه عند المشيخة والأعلام، بلا مناقشة فى نصوص الأحاديث المروية فى هذا الشأن لتواترها، وكثرتها وقوة سندها ونباهة رجالها. (الميلانى).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۳

غفر اللَّه له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر» «۱».

وفى خصال الصدوق «۲»: عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

«إن اللَّه تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا» «۳».

---

(۱) أنظر: قرب الإسناد: ۳۶ ح ۱۱۷، وثواب الأعمال: ۱۸۷، ط قم الشريف الرضى، وابن إدريس فى مستطرفات السرائر: ۲۲۶، ط قم.

(۲) الخصال: ۶۳۵، ح ۱۰، ط قم جماعة المدرّسين، البحار ج ۴۴، ص ۲۸۷، ح ۲۶.

(۳) قد يرى بعضهم غموضاً فى التوجيه المقصود من هذا الحديث، إذ أنّ الحزن على مصاب الحسين (عليه السّلام) والبذل فى مأتمه عند فرق المسلمين وغيرهم من الملل الأخرى، لا يقصران عما تأتيه الشيعة فيلزم إما التوسع فى معنى التشيع، وإما إهمال الباقين وحرمانهم من ثواب عملهم. والذى أرتأيه- منذ بلغنى وشاهدت ما تصنعه الطوائف غير المسلمة، وبعض الفرق الإسلامية (غير الشيعة) تجاه سيد الشهداء روحى له الفداء- أنه عليه السّلام يضمن لهم السعادة الأبدية بشفاعته عنداللَّه، فلا يخرجون من الدنيا إلّامؤمنين، وفى الجنان آمنين، فيكونوا شيعة بعناية اللَّه تقديراً لما بذلوه من المال والنفس وما عملوه فى سبيله (صلّى اللَّه عليه).

وهذا أمر جائز فى حدّ ذاته وغير بعيد- بل واقع- ممن ملأ الكون من أحاديث جوده وكرمه مدّة حياته القدسية الإلهيّة، وقد جاء فى الصحيح (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة). وأمّا كرمه بعد شهادته إلى هذا التاريخ، فقد طبق الدنيا- شرقها وغربها- من حديثه، حيث لم يخب مَن تمسك به من ذوى الحاجات، فكم من كربة دفعها بإذن اللَّه تعالى، لا يفرق بين من يمّه عند مرقده الطاهر، وبين مَن توجه إليه من مكانه- مهما بعد- وناداه لمشكلته، وإنّ لهؤلاء قصصاً يحضرنى الآن منها شىء وافر ليس هذا محلّها. (الميلانى).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۴

وفى كامل الزيارات بالإسناد إلى أبى عمارة المنشد قال: «ما ذكر الحسين (عليه السّلام) عند أبى عبداللّه (الصادق عليه السّلام) فى يوم قط فرئى متبسماً فى ذلك اليوم إلى الليل. قال: «وكان أبو عبداللّه عليه السّلام يقول:

«الحسين عبرةُ كلّ مؤمن» «۱».

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۱۴ ح ۲ باب ۳۶، والبحار ۴۴/ ۲۸۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۵

وفيه بالإسناد إلى الصادق عليه السّلام قال:

«قال الحسين (عليه السّلام): أنا قتيل العبرة، لا يذكرنى مؤمن إلّا استعبر» «۱».

إلى غير ذلك من صحاح الأخبار المتواترة عن الأئمة الأبرار.

وناهيكَ بها حجة على رجحان هذه المآتم، وإستحبابها شرعاً، فإنّ أقوال أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأفعالهم، وتقريرهم، حجة بالغة؛ لوجوب عصمتهم بحكم العقل والنقل، كما هو مقرر فى مظانه من كتب المتكلّمين من أصحابنا، والتفصيل فى كتابنا: سبيل المؤمنين.

على أنّ الاقتداء بهم فى هذه المآتم وغيرها لا يتوقف- عند الخصم- على عصمتهم، بل يكفينا فيه ما اتفقت عليه الكلمة من إمامتهم فى الفتوى، وأنّهم فى أنفسهم لا يقصرون عن الفقهاء الأربعة، والثورى، والأوزاعى، وأضرابهم، علماً ولا عملًا.

وأنت تعلم أنّ هذه المآتم لو ثبتت عن أبى حنيفة أو صاحبيه أبى يوسف والشيبانى مثلًا، لاستبق الخصمُ إليها وعكف أيام حياته عليها، فلِمَ ينكرها علينا ويندّد بها بعد ثبوتها عن أئمة أهل البيت، يا منصفون؟!

---

(۱) كامل الزيارات: ۲۱۵ ح ۳ باب ۳۶، الأمالى للصدوق، المجلس الثامن والعشرون: ۲۰۰، ح ۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۶

أتراه يرى فى أئمة الثقلين أمراً يقتضى الإعراض عنهم، أو يجد فيهم شيئاً يستوجب الإنكار على الآخذين بمذهبهم؟ أو إنّ هناك أدلّة خاصّة، تقصر الإمامة فى الفتوى على أئمة خصومنا ولا تبيح الرجوع إلى غيرهم؟ كلّاً، إنّ واقع الأمر وحقيقة الحال بالعكس.

هذا حديث الثقلين المجمع على صحته واستفاضته، قد أنزل العترة من منزلة الكتاب، وجعلها قدوة لأولى الألباب، فراجعه: فى باب فضائل على (عليه السّلام) من صحيح مسلم، أو فى الجمع بين الصحيحين، أو الجمع بين الصحاح الستة، أو فى حديث أبى سعيد الخدرى من مسند أحمد بن حنبل، أو خصائص على (عليه السّلام) للإمام النسائى، أو فى تفسيرى الثعلبى والبيهقى، وفى حلية الحافظ الأصفهانى، أو كتب الحاكم والطبرانى وغيرها من كتب الحديث، وأنا أورده لك بلفظ الترمذى «۱» بحذف الإسناد قال: «قال رسول اللّه (صلّى

---

(۱) قال ابن حجر- بعد نقله عن الترمذى- فى أثناء تفسيره للآية الثانية من الآيات التىأوردها فى الفصل الأوّل من الباب الحادى عشر من صواعقه ما هذا لفظه:

ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً (قال، ومر له طرق مبسوطة فى حادى عشر الشبه، وفى بعض تلك الطرق أنه قال ذلك فى حجة الوداع بعرفة، وفى اخرى: إنّه قاله بالمدينة فى مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفى أخرى: إنّه قال ذلك فى غدير خم، وفى أخرى: إنّه قاله لما قام خطيباً- بعد انصرافه من الطائف- (قال) ولا تنافى، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك فى تلك المواطن إهتماماً بشأن الكتاب العزيز، والعترة الطاهرة [أنظر: الصواعق المحرقة: ۱۵۲] (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۷

اللَّه عليه وآله وسلّم) «۱»:

«إنى تارك فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا بعدى، (الثقلين) أحدهما أعظم من الآخر، كتاب اللَّه عزّوجلّ حبل ممدود من السمآء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما؟

وقد زاد الطبرانى:

فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم» «۲».

قلت: لا يخفى أنّ تعليق عدم الضلال على التمسك بهما، يقتضى بحكم المفهوم ثبوت الضلال لمَن تخلّى عن أحدهما، وناهيك به فى وجوب اتّباع العترة، والإنقطاع فى الدين إليها وإلى القرآن العزيز.

على أنّ اقترانهم بالكتاب- وهو معصوم- وجعلهم فى وجوب

---

(۱) أنظر: الترمذى فى سننه ۵/ ۳۲۹ ح ۳۸۷۶، أحمد فى مسنده ۳/ ۱۴ و ۵/ ۱۸۲، ط بيروت دار صادر، والبيهقى فى سننه الكبرى ج/ ۱۸، ط دار الفكر، والهيثمى فى مجمع الزوائد، ج/ ۱۶۳، ط دار الكتب العلمية، والمصنّف لابن أبى شيبة ۷/ ۱۷۶ ج ۵.

(۲) المعجم الكبير للطبرانى ۳/ ۶۶ ح ۲۶۸۱، ط القاهرة.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۸

التمسك بهم مثله، دليل قاطع على حجية أقوالهم، وأفعالهم، وأنّ الرجوع فى الدين إلى خلافهم ليس إلّاكترك القرآن والرجوع إلى كتاب يخالف أحكامه، ولا تنس دلالة قوله (صلّى اللَّه عليه وآله): (ولن يفترقا)، على عدم خلو الزمان ممّن يفرغ منهم عن القرآن والقرآن يفرغ عنه «۱».

ثم إنّ قوله: «فلا تقدّموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم» نص صريح فيما قلناه كما لا يخفى.

وكم لهذا الحديث من نظير فى الدلالة على وجوب الاقتدآء بالعترة الطاهرة، والمنع من مخالفتها،

نستلفت الباحثين إلى ما أخرجناه من ذلك فى مبحث العصمة من (سبيل المؤمنين)، وحسبك منه ما أخرجه الحاكم بسند صحّحه على شرط البخارى ومسلم «۲»: «عن رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) قال من

---

(۱) ومثله: قوله صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم: «فى كلّ خلف من أمتى عدول من أهل بيتى، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى اللَّه عزّوجلّ، فانظروا مَن توفدون» أخرجه الملا، كما فى تفسير الآية الرابعة من الآيات التى أوردها ابن حجر فى الفصل الأول من الباب الحادى عشر من صواعقه. وفى هذا المعنى صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة، بل هو من ضروريات مذهبهم عليهم السلام. (المؤلف).

(۲) كما فى تفسير الآية السابعة من الآيات التى أوردها ابن حجر فى الفصل الأول منالباب الحادى عشر من صواعقه، ونقله حاكماً بصحته أيضاً فى باب الأمان ببقائهم من أواخر الصواعق.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۸۹

جملة حديث:

«وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب- فى بعض أحكام الدين- اختلفوا- فى فتاويهم- فصاروا حزب إبليس» «۱».

أليس هذا نصّاً فى وجوب اتّباعهم، وحرمة مخالفتهم؟ وهل فى لغة العرب أو غيرها عبارة أبلغ منه فى إنذار مخالفيهم؟

وأخرج أحمد بن حنبل وغيره «۲» بالإسناد إلى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قال:

«النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت ذهبوا، وأهل بيتى أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض» «۳».

وفى رواية:

«فإذا هلك أهل بيتى جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون» «۴».

---

(۱) الحاكم فى مستدركه ۴/ ۷۵، ط دار المعرفة ۱۴۰۶.

(۲) كما نص عليه ابن حجر فى باب الأمان ببقائهم من صواعقه.

(۳) وأخرجه الحاكم فى المستدرك ۲/ ۴۴۸، والطبرانى فى المعجم الأوسط ۵/ ۲۳۷، ط دار الحرمين.

(۴) السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): للدكتور محمد بيومى مهران الأستاذ فى جامعة أمّ القرى: ۴۵، ط السفير ۱۴۱۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۹۰

وفى هذا المعنى صحاح متضافرة من طريق العترة الطاهرة، ومتى كانوا أماناً لأهل الأرض، فكيف يستبدل بهم، وأنّى يعدل عنهم؟؟؟

وجاء من طرق عديدة يقوّى بعضها بعضاً- كذا قال ابن حجر «۱» - إنّه (صلّى اللَّه عليه وآله) قال:

«إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا» «۲».

قال ابن حجر: وفى رواية مسلم: «ومَن تخلّف عنها غرق» «۳».

(قال) وفى رواية: «هلك وإنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل مَن دخله غفر له» «۴».

(قال) وفى رواية: «غفر له الذنوب».

ولا- يخفى أنّ المراد من تمثيلهم بسفينة نوح، إنما هو إلزام الأمة باتّباع طريقتهم، والتمسك بالعروة الوثقى من ولايتهم، وليس المراد من

---

(۱) فى تفسير الآية السابعة من الآيات التى أوردها فى الفصل الأوّل من الباب الحادىعشر من صواعقه، وفى باب الأمان ببقائهم من أوآخر الصواعق أيضاً.

(۲) مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۸، والمعجم الصغير للطبرانى ۱/ ۱۳۹، ط دار الكتب العلمية، وأيضاً فى معجمه الصغير ۲/ ۲۲، وكنز العمال ۱۲/ ۹۸ ح ۳۴۱۶۹، و ح ۳۴۱۷۰.

(۳) الحاكم فى مستدركه ۳/ ۱۵۱، والهيثمى فى مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۸. والطبرانى فى الكبير ۳/ ۴۵ ح ۲۶۳۷.

(۴) الطبرانى فى معجمه الصغير ۲/ ۲۲، والهيثمى فى مجمع الزوائد ۹/ ۱۶۸، والقندوزى ۱/ ۹۳ ح ۲ و ح ۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۹۱

النجاة بذلك إلّارضوان اللَّه عزّوجلّ، والجنة، كما أنّ المراد (بغرق المتخلفين عنهم أو هلاكهم) إنما هو سخط اللَّه سبحانه والنار، والمراد من تمثيلهم (بباب حطة) إنما هو بعث الأمة على التواضع للَّه عزّوجلّ بالأقتداء بهم والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم، وهذا كله ظاهر كما ترى.

قال ابن حجر- بعد إيراد هذه الأحاديث فى تفسير الآية السابعة من الآيات التى أوردها فى الفصل الأول من الباب الحادى عشر من الصواعق- ما هذا لفظه:

«ووجه تشبيههم بالسفينة- فيما مرّ- أنّ مَن أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم) وأخذ بهدى علمآئهم نجا من ظلمة المخالفات، ومَن تخلّف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم، وهلك فى مفاوز الطغيانَ ... وبباب حطة (يعنى ووجه تشبيههم

بباب حطّة) إنّ اللّه تعالى جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب إريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها»، إلى آخر كلامه.

ولو أردنا إستيفاء ماجاء من صحاح السّنة فى وجوب اتّباع أئمة أهل البيت، والإنقطاع فى الدين إليهم عن العالمين؛ لطال المقام وخرجنا عن موضوع هذه المقدمة. وحاصله:

إنّ مآتمنا بما فيها من الجلوس بعنوان الحزن على مصائب

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۹۲

أهل البيت، والإنفاق عنهم فى وجوه البر، وتلاوة رثائهم ومناقبهم، والبكاء رحمة لهم، سيرة قطعية قد استمرّت عليها أئمة الهدى من أهل البيت، وأمروا بها أوليآءهم على مر الليالى والأيام، فورثناها منهم، وثابرنا عليها، عملًا بما هو المأثور عنهم، فكيف- والحال هذه- تنكرونها علينا، وتقولون فيها ما تقولون؟، واللّه يعلم أنّها ليست كما تظنون.

دع بكاء الأنبياء والأوصياء، ودع عنك ما كان من ملائكة السماء، وقل لى: هل جهلت نوح الجن فى طبقاتها؟ ورثاء الطير فى وكناتها؟ و بكاء الوحش فى فلواتها؟ ورسيس حيتان البحر فى غمراتها؟ وهل نسيت الشمس وكسوفها، والنجوم وخسوفها، والأرض وزلزالها، وتلك الفجائع وأهوالها؟ أم هل ذهلت عن الأحجار ودمائها، والأشجار وبكائها، والآفاق وغبرتها، والسماء وحمرتها، وقارورة أم سلمة وحصياتها «۱» وتلك الساعة وآياتها؟!

---

(۱) أشرنا بهذا إلى ما رواه الملّا فى سيرته وابن أحمد فى زيادة المسند، كما فى الصواعق عن أم سلمة، قالت من حديث: «ثم ناولنى كفاً من تراب أحمر وقال: إنّ هذا من تربة الأرض التى يقتل بها (ولدى) فمتى صار دماً فاعلمى أنّه قد قتل، قالت: فوضعته فى قارورة، وكنت أقول: إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم» وفى رواية أخرى- كما فى الصواعق أيضاً- «أنّ جبرائيل جآء بحصيات فجعلهن النبى (صلّى اللّه عليه وآله) فى قارورة، قالت أم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلًا يقول:

أيها القاتلون جهلًا حسيناً إبشروا بالعذاب والتنكيل

قد لُعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً».

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۹۳

ألم يرو الملّا عن أم سلمة- كما فى الصواعق «۱» وغيرها-: أنها قالت: «سمعت نوح الجن على الحسين؟» «۲».

وروى ابن سعد- كما فى الصواعق أيضاً-: «إنها بكت حينئذ حتى غُشى عليها».

وأخرج أبو نعيم الحافظ فى الدلائل عنها- كما نقله السيوطى «۳» - قالت: «سمعت الجن تبكى على الحسين وتنوح عليه».

وأخرج ثعلب فى أماليه- كما فى تاريخ الخلفاء أيضاً-، عن أبى خباب الكلبى قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشراف العرب: «أخبرنى بما بلغنى أنكم تسمعونه من نوح الجن» فقال: «ما تلقى أحداً إلّا أخبرك أنّه سمع ذلك»، قال: «فأخبرنى بما سمعت أنت» قال: سمعتهم

---

(۱) كلّما ننقله هنا عن الصواعق موجود فى أثناء كلامه فى الحديث الثلاثين من الأحاديثالتى أوردها فى الفصل الثالث من الباب الحادى عشر. (المؤلف).

(۲) أنظر: تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى ۲/ ۲۱۸، قم وابن أعثم الكوفى فى فتوحه ۵/ ۱۲۲، وابن شهراشوب فى مناقبه ۴/ ۷۰، فى آياته بعد وفاته، والطبرانى فى معجمه الكبير ۳/ ۱۲۲ رقم ۲۸۶۹.

(۳) فی أحوال یزید، من کتابه تاریخ الخلفاء: ۱۶۶، (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقیق، ج۲، ص: ۹۴

یقولون:

مسحَ الرسولُ جبینه فله بریقٌ فی الخدودِ

أبواه من علیا قریش وجدّه خیرُ الجدودِ «۱»

وأخرج أبو نعیم الحافظ- فی کتابه دلائل النبوة-، عن نصرة الأزدیة قالت: «لما قتل الحسین بن علی أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً».

قال ابن حجر- بعد إیراده فی الصواعق-: «وکذا روی فی أحادیث غیر هذه (قال) ومما ظهر یوم قتله من الآیات أیضاً: إنّ السماء اسودّت اسوداداً عظیماً حتی رؤیت النجوم نهاراً» (قال): «ولم یرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبیط» «۲».

وأخرج أبو الشیخ- کما فی الصواعق أیضاً-: «إنّ السماء احمّرت لقتله (علیه السّلام) وانکسفت الشمس حتی بدت الکواکب نصف النهار وظن الناس أنّ القیامة قد قامت» «۳».

قال: «ولم یرفع حجر فی الشام إلّارؤی تحته دم عبیط» «۴».

---

(۱) تاریخ الخلفاء: ۱۶۶.

(۲) الصواعق المحرقة: الفصل الثالث: ۱۹۴ باب ۱۱.

(۳) أنساب الأشراف، للبلاذری ۳/ ۲۰۹ رقم ۲۱۱، وابن عساکر: ۳۰۱، ۳۶۲، ترجمة الإمام الحسین (علیه السلام).

(۴) الطبقات الکبری: ۹۰- ۹۱ ح ۳۲۳- ۳۲۵، ترجمة الإمام الحسین (علیه السلام).

سلسلة النقد والتحقیق، ج۲، ص: ۹۵

وأخرج عثمان بن أبی شیبة- کما فی الصواعق وغیرها-: «إن الشمس مکثت بعد قتله (علیه السّلام) سبعة أیام تری علی الحیطان کأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها وضربت الکواکب بعضها بعضاً» «۱».

قال فی الصواعق: ونقل ابن الجوزی عن ابن سیرین: «إنّ الدنیا اظلمّت ثلاثة أیام ثم ظهرت هذه الحمرة فی السماء» «۲».

قال: وقال ابن سعید: «ما رفع حجر من الدنیا إلّاوتحته دم عبیط ولقد مطرت السماء دَماً بقی. أثره فی الثیاب حتی تقطّعت» «۳».

قال: وأخرج الثعلبی: «إنّ السماء بکت وبکاؤها حمرتها» «۴».

وقال غیره: «احمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة تری بعد ذلک».

وإنّ ابن سیرین قال: «أخبرنا أنّ الحمرة التی مع الشفق لم تکن قبل قتل الحسین (علیه السّلام)» «۵».

---

(۱) أنظر أیضاً: تذکرة الخواص ۲/ ۲۳۲.

(۲) تذکرة الخواص ۲/ ۲۳۱.

(۳) ابن سعد فی طبقاته: ۹۰ ح ۳۲۱، ترجمة الإمام الحسین، والصواعق: الفصل ۳ باب ۱۱ ص ۱۹۴، وبغیة الطلب فی تاریخ حلب ۶/ ۲۶۳.

(۴) الثعلبی فی تفسیر الآیة ۲۹ من سورة الدخان.

(۵) ابن سعد فی طبقاته: ۹۱ ح ۳۲۶، والصواعق: فصل ۳ باب ۱۱ ص ۱۹۴.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۲، ص: ۹۶

قال: «وذكر ابن سعد: إنّ هذه الحمرة لم‌تر فى السمآء قبل قتله».

إلى آخر ما هو مذكور فى كتب السنة، مما يدلّك على انقلاب الكون بمقتله عليه السّلام وأنّه قد بكته السماء، وصخور الأرض دماً.

ولو فرضنا الخصم جاهلًا بما فى تلك الكتب مما سمعت بعضه، فهل يجهل ما قام به ابن نباته خطيباً على أعواده وتركه سنة الخطباء المسلمين فى الجمعة الثانية من المحرم فى كلّ سنة؟ وإليك ما اشتملت عليه تلك الخطبة بعين لفظه:

«بكت لموته الأرض والسموات، وأمطرت دماً، واظلمّت الأفلاكُ من الكسوف، واشتد سواد السماء ودام ذلك ثلاثة أيام، والكواكب فى أفلاكها تتهافت، وعظمت الأهوال حتّى ظن أنّ القيامة قد قامت». قال:

«كيف لا؟ وهو ابن السيدة فاطمة الزهراء، وسبط سيد الخلائق دنياً وآخرة، وكان عليه الصلاة والسلام مِن حبّه فى الحسين يقبّل شفتيه «۱»، ويحمله كثيراً على كتفيه، فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والمآء بين يديه، وأطفاله يصيحون بالبكاء عليه؟ لصاح عليه الصلاة والسلام وخرّ مغشياً عليه». قال: «فتأسفوا رحمكم اللّه على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلّوا بما أصابه عمّا سلف لكم من موت الأحرار

---

(۱) الاختصاص للشيخ المفيد: ۲۰۷، ومدينة المعاجز: ۳/ ۳۰۰، ط مؤسّسة المعارف.

والعبيد، واتقوا اللّه حق تقواه» قال: وفى الحديث: «إذا حُشِرَ الناس فى عرصات القيامة، نادى منادٍ من وراء حجب العرش: يا أهل الموقف:

غضّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمّد، فتجوز وعليها ثوب مخضوب بدم الحسين، وتتعلق بساق العرش وتقول:

«أنت الجبار العدل، إقض بينى وبين من قتل ابنى، فيقضى اللّه بينها وبينه». ثم تقول: «اللهم شفّعنى فيمَن بكى على مصيبتى» «۱». فيشفّعها اللّه تعالى فيهم» إلى آخر كلامه.

فهل- بعد هذا كلّه- تقول: إن البكاء على مصائب أهل البيت بِدعة؟! وهب أنّك لا ترجو شفاعة الزهراء، ولا تبكى لبكاء الأنبياء والأوصياء، فابكِ لبكاء الشمس والقمر، ولا يكن قلبك أقسى من الحجر، إبك لبكاء عمر بن سعد، أو عمرو بن الحجاج، والأخنس بن زيد، ويزيد بن معاوية، أو خولى، والسالب لحليّ فاطمة بنت الحسين! إبكِ لبكاء العسكر بأجمعه، فقد شهدتْ كتب السير ببكائهم، مع خبث امهاتهم وآبائهم، أيحسن منك- وأنت مسلم- أن يصاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بهذه الفجائع، وتحلّ بساحته تلك القوارع، ثم تتخذها ظهرياً، وتكون عندك نسياً منسياً ما هذا شأن أهل الوفاء، ولا بهذا تكون المواساة لسيد الأنبياء!

---

(۱) نور العين فى مشهد الحسين، لأبى إسحاق الاسفراييني: ۸۳، ط المنار تونس، الأمالى‌للشيخ المفيد: ۱۳۰، المجلس ۱۵.

ثم إنّ ذلك الإنقلاب الهائل وتلك الأحوال المدهشة- من الخسوف والكسوف ورجفة الأرض، وظلمة الأفق، وتهافت النجوم، وحمرة السماء، وبكاء الصخر الأصم دماً «۱» - لم تكن إلّاإظهاراً لغضب اللّه عزّوجلّ، وتنبيهاً على فظاعة الخطب، وتسجيلًا لتلك النازلة فى صفحات الأفق، لئلّا تنسى على مرّ اللّيالى والأيام، وفيها مَن بعث الناس على استشعار الحزن، وادّثار الكآبة ما لا يخفى على أُولى الألباب.

---

(۱)

وخير مرجعٍ نرجع إليه فى هذا المجال ذلك الكتاب القيّم (كامل الزيارات)؛ لمؤلّفه‌الثقة الثبت أبى القاسم جعفر بن محمد بن قولويه

المتوفى ۳۶۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۱

فصل: فلسفة مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السّلام ... ص: ۱۰۱

علم الباحثون من مدققى الفلاسفة: أنّ فى مآتمنا المختصّة بأهل البيت عليهم السلام أسراراً شريفة «۱» تعود على الأمة بصلاح آخرتها

---

(۱) نبهك إلى بعضها، حكيم الغربيين، وفيلسوف المستشرقين: الدكتور (جوزف) الفرنسى فى كتابه: (الإسلام والمسلمون)، والمسيو (ماربين) الألمانى فى كتابه (السياسة الإسلامية)، وقد ترجمت جريدة (حبل المتين) الفارسية فى ۸۲ من أعدادها الصادرة فى سنة ۱۷ فصلين، من ذينك الكتابين النفيسين يحتويان على أسرار شهادة الحسين، وفلسفة مآتمه (عليه السّلام)، فكان لهما دوى فى العالم الإسلامى وأخذا فى الشرق دوراً مهماً، وترجما بالتركية، والهندية، وعرّبهما سيدنا الشريف العلامة الباحث السيد صدر الدين الموسوى نجل الإمام الكبير حجة الإسلام وآية اللّه فى الأنام، قدوتنا المولى السيد إسماعيل الصدر أبقاه اللّه، فنشرت مجلة العلم أحد الفصلين، ومجلة العرفان نشرت الآخر، وإليك ما ذكره الدكتور (جوزف) تحت عنوان الشيعة وترقياتها المحيرة للعقول- قال من جملة كلام له طويل: لم تكن هذه الفرقة (يعنى الشيعة) ظاهرة فى القرون الأولى الإسلامية كأختها، ويمكن أن تنسب قلتهم إلى سببين/ أحدهما/ إن الرياسة والحكومة التى هى سبب إزدياد تابعى المذهب

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۲

كانت بيد الفرقة الأخرى، والسبب الآخر هو القتل والغارات التى كانت تتوالى عليهم، ونظراً لحفظ نفوس الشيعة حكم أحد أئمتهم فى أوائل القرن الثانى عليهم بالتقية، فزادت فى قوتهم لعدم تمكن العدو القوى الشكيمة من قتلهم، والإغارة عليهم، بعد أن لم يكونوا ظاهرين، وصاروا يعقدون المجالس سرّاً ويبكون على مصائب الحسين، واستحكمت هذه العاطفه فى قلوبهم على وجه لم يمض زمان قليل إلّاوارتقوا، حتى صار منهم الخلفاء والسلاطين والوزراء، وهؤلاء بين مَن أخفى مذهبه وتشيعه، وبين مَن أظهره، و بعد أمير تيمور حيث رجعت السلطنة فى إيران إلى الصفوية، صارت إيران مركز فرقة الشيعة، وبمقتضى تخمين بعض سوّاح فرنسا: إنّ الشيعة فعلًا: سدس المسلمين أو سبعهم، ونظراً إلى هذا الترقى الذى حازته فرقة الشيعة فى زمان قليل، من دون جبر وإكراه، يمكن ان يقال: إنهم سيفوقون سائر فرق الإسلام بعد قرن، أو قرنين، والسبب فى ذلك هو إقامة عزاء الحسين الذى قد جعله كلّ واحد منهم داعياً إلى مذهبه، ولا يوجد اليوم مكان فيه الواحد أو الإثنان من الشيعة إلّاويقيمان فيه عزاء الحسين، ويبذلان فى هذا السبيل الأموال الكثيرة، فقد رأيت فى نزل (مارسل) شيعياً عربياً من أهالى البحرين يقيم مأتم الحسين وهو منفرد، ويرقى المنبر ويقرأ فى كتاب ويبكى، ثم يقسم ما أحضر من الطعام على الفقراء. هذه الطائفة تبذل الأموال فى هذا السبيل على وجهين:

فبعضهم يبذلها من خالص أمواله فى كلّ سنة بقدر استطاعته، وصرفيات هذا القسم تزيد على ملايين فرنك. وبعضهم يعين أوقافاً لهذا المشروع لخصوص هذه الطائفة وهذا القسم أضعاف الأول. ويمكن أنّ يقال: إن جميع فرق الإسلام من حيث المجموع لا يبذلون فى سبيل تأييد

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۳

مذهبهم بمقدار ما تبذله هذه الفرقة فى سبيل ترقيات مذهبها، وموقوفات هذه الفرقة ضعفا أوقاف سائر المسلمين، أو ثلاثة أضعافها،

كلّ واحد من هذه الفرقة هو فى الحقيقة داع إلى مذهبه من حيث يخفى على سائر المسلمين، بل أن الشيعة أنفسهم لا يدركون هذه الفائدة المترتبة على عملهم، وليس فى نظرهم إلا الثواب الاخروى، ولكن حيث أن كلّ عمل فى هذا العالم، لابد وأن يكون له أثر طبيعى فى العالم الإجتماعى، قصده الفاعل أو لم يقصده، لم تحرم هذه الفرقة فوائد هذا العمل الطبيعية فى هذا العالم، ومن المعلوم أنّ مذهباً دعاته خمسون أو ستون مليوناً، لابدّ وأن يرتقى أربابه على وجه التدريج إلى ما يليق بشأنهم، حتى أنّ الرؤساء الروحانيين من هذه الفرقة وسلاطينها ووزرائها، لم يخرجوا عن صفة كونهم دعاة، وسعى الفقراء والضعفاء فى محافظة إقامة عزاء الحسين من حيث انتفاعهم من هذا الباب أكثر من الآعيان والآكابر، لأنّهم يرون فى ذلك خير الدنيا والآخرة، لهذا ترى جماعة كثيرين من عقلاء هذه الفرقة قد تركوا سائر أشغالهم المعاشية، وتفرّغوا لهذا العمل وهم يكابدون المشاق فى تحرّى العبارات الرائقة، والجمل الواضحة، عند إلقاء فضائل رؤساء دينهم ومصائب أهل البيت، على المنابر فى المجالس العمومية، ولأجل هذه المشقات التى اختارتها هذه الجماعة فاق خطباء هذه الفرقة على خطباء جميع فرق المسلمين، وحيث إنّ تكرار الأمر الواحد يوجب اشمئزاز القلوب ومللها وعدم التأثير تسعى هذه الجماعة فى ذكر تمام المسائل الإسلامية الراجعة إلى مذهبهم بهذا العنوان على المنابر، حتى آل الأمر إلى عوام الشيعة بفضل هؤلاء الخطباء أن أصبحوا أعرف بمسائل مذهبهم من معرفة كلّ فرقة من فرق المسلمين بمذهبها، كما أنّ اكتساب الشيعة واحترافهم بهذه الوسيلة وسائر الوسائل الراجعة إليها أيضاً أكثر من سائر

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۴

المسلمين، ولو نظرنا اليوم فى أقطار العالم، نرى أنّ الأفراد التى هى أولى بالمعرفة والعلم والصنعة والثروة إنما توجد بين الشيعة، والدعوة التى قام بها الشيعة أولى بالمعرفة والعلم والصنعة، والثروة إنما توجد بين الشيعة، والدعوة التى قام بها الشيعة إلى مذهبهم أو سائر الفرق الإسلامية غير محدودة، بل إنّ آحاد وأفراد الطائفة دعاة وما دخلوا بين أمّة إلّاوسرى هذا الأثر فى قلوبها، وليس العدد الذى نراه اليوم فى الهند من الشيعة إلّاهو أثر إقامة هذه المآتم. الشيعة لم تؤيد دينها بقوة ولا سيف، حتى فى زمن الصفوية، بل إنّهم بلغوا هذه الدرجة من الترقى المحير للعقول بقوة الكلام والدعوة التى أثرها أمضى من السيف. ولقد بلغ اهتمام هذه الفرقة فى أداء مراسم مذهبها مبلغاً عظيماً حتى جعلت ثلثى المسلمين من أتباع سيرتها، بل اشترك معها كثير من الهنود والمجوس وسائر المذاهب، ومن المعلوم أنّ بعد مضى قرن ووصل هذه الأعمال بالأرث إلى أبناء أولئك الطوائف يذعنون بها، ويصدّقون هذا المذاهب، وبما أنّ فرقة الشيعة تعتقد بأنّ جميع المطالب والمقاصد موكول نجاحها إلى أكابر مذهبهم، وهم يفزعون إليهم فى قضاء الحوائج، ويستمدون منهم عند الشدائد، سرت هذه الروح أيضاً إلى سائر الفرق التى اشتركت معهم فى تلك الأعمال والأفعال، ومن المعلوم أنّ بمجرد قضاء حاجتهم وبلوغ آمالهم، تزداد عقيدتهم بهذا المذهب رسوخاً. من هذه القرائن والأسباب، يمكننا أن نقول: لا يمضى على هذه الفرقة زمان قليل إلّاوتفوق سائر المسلمين من حيث العدد، وكانت هذه الفرقة قبل قرن أو قرنين، تلازم التقية فيما عدا إيران، نظراً لقلّتهم، وعدم قدرتهم على إظهار شعائر مذهبهم، ولكن من يوم استولت الدول الغربية على الممالك الشرقية، ومنحت جميع المذاهب الحرية قامت هذه الفرقة تقيم شعائر مذهبها علناً فى كلّ مكان، واستفادوا من هذه الحرّية فائدة تامة حتى أنّهم تركوا التقية.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۵

لهذه الأسباب المذكورة كانت هذه الفرقة أعرف من غيرها بمقتضيات العصر الحاضر، وأكثر سعياً باكتساب المعاش وتحصيل المعارف، لذلك ترى العمال فى هذه الفرقة أكثرمما تراه فى سائر فرق المسلمين؛ لاشتغال الغالب منهم المستلزم لمتابعة غير الغالب، مضافاً إلى أنّ مثابرتهم على العمل مما توجب إحتياج الغير إليهم، كما أنّ اختلاطهم مع سائر الفرق وصلاتهم الودادية مع غيرهم تلازم غالباً اشتراك الغير فى مجالسهم ومحافلهم، فيسمعون أصول مذهبهم، ويصغون إلى كلماتهم وعباراتهم، وبتكرار ذلك يأنسون

بطريقتهم ومذهبهم، وهذا هو عمل الدعاة. والأثر الذى يترتب على هذه السيرة هو الأثر الذى يتطلّبه جميع ساسة الغرب فى رقى دين المسيح مع تلك المصارف الباهضة. ومن جملة الأمور السياسية التى أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصبغة مذهبية منذ قرون، وأوجبت جلب قلب البعيد والقريب هو: قاعدة التمثيل باسم الشبيه فى مآتم الحسين، وقد قرر حكماء الهند التمثيل؛ لأغراض ليس هذا موضع ذكرها وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أورباو أخرجته بمقتضى السياسة بصورة التفرج، وصارت تمثل الأمور المهمة السياسية فى دور التمثيل الخاصة والعامة، وجلبت القلوب بسببه وأصابت بسهم غرضين: تفريج النفوس، وجلب القلوب فى الأمور السياسية، والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصبغة دينية. ويمكن القول: بأن الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود، وكيف كان، فالأثر الذى ينبغى أن يعود من التمثيل إلى قلوب الخواص والعوام قد عاد، ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم وذكر المصائب الواردة على أكابر دينهم والمظالم التى وردت على الحسين (عليه السّلام) مع تلك الأخبار

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۶

الواردة فى فضل البكاء على مصائب آل محمّد (صلّى اللّه عليه وآله) إذا انضمّت إلى تمثيل تلك المصائب تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواص هذه الفرقة وعوامها فوق ما يتصور. وهذا هو السبب الذى لم يسمع من ابتداء ترقى مذهب الشيعة إلى الآن أن ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل فى سائر الفرق الإسلامية. هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، فتارة فى مجالس خصوصية وأمكنة معينة، و حيث أنّ الفرق الأخرى قلما تشترك معهم فى المجالس، اخترعوا تمثيلًا خاصاً وصاروا يدورون به فى الأزقة والطرقات وبين جميع الفرق، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذى يحصل من التمثيل، ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجه الأنظار من الخاص والعام حتى قلد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلامية والهنود واشتركوا معهم فى ذلك، وهو فى الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلامية، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة فى هذا العمل من سائر البلاد، ويغلب على الظن أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول فى زمن الصفوية الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوة المذهب، و أجاز العلماء والرؤساء الروحانيون هذه الأصول. ومن جملة الأمور التى أوجبت رقى هذه الفرقة وشهرتهم- فى كلّ مكان- هو تعرفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوة، والشوكة والاعتبار بواسطة المجالس والمآتم والشبيه واللطم والدوران وحمل الرايات والألوية فى عزاء الحسين. إنّ من المعلوم أنّ كلّ جمعية وجماعة تجلب إليها الأنظار والخواطر بدرجة ما، مثلًا لو كان فى بلد عشرة آلاف متفرقين، وفى محلّ ألف نفس مجتمعة، كانت شوكة الألف المجتمعين وابّهتهم فى أنظار الخاصة والعامة أكثر من العشرة آلاف المتفرقين، مضافاً إلى أنّهم اجتمع ألف نفس انضم إليهم من غيرهم،

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۷

مثل عددهم، إما للتفرّج، أو لأجل صداقة ورفاقة، أو لأغراض اخرى، وبهذا الانضمام تزيد شوكة الألف وقوتهم فى الأنظار وتتضاعف. ومن الأمور الطبيعية المؤيدة لفرقة الشيعة فى تأثير قلوب سائر الفرق هو: إظهار مظلومية أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطرية؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحب نصرة الضعيف والمظلوم على القوى، والطبائع البشرية أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلًا من الظالم وإن كان محقاً، ولا سيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام، وهؤلاء مصنفوا أوروبا الذين ذكروا فى كتبهم تفصيل مقاتلة الحسين وأصحابه وقتله مع أنّهم لا يعتقدون بهم يذعنون بالمظلومية لهم ويعترفون بظلم وتعدّى قاتليهم وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلّامشمئزين، وهذه الأمور الطبيعية لا يقف أمامها شىء، وهذا السرّ من المؤيدات الطبيعية لفرقة الشيعة. وقال (المسيومار بين) حكيم الألمان وفيلسوف المستشرقين ما هذا نصّ تعريبه: إنّ عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا فى كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون! ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة

وتبديلها فى الإسلام، فإنّا لم نر فى سائر الأقوام ما نراه فى شيعة الحسين مِن الحسيات السياسية والثورات المذهبية بسبب إقامة عزاء الحسين، وكلّ من أمعن النظر فى رقى شيعة على الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم فى مدة مائة سنة، يذعن أنّهم فازوا بأعظم الرقى، فإنّه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة على والحسين فى الهند إلّاما يعد بالأصابع، واليوم هم فى الدرجة الثالثة من حيث الجمعية إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم فى سائر نقاط الأرض، وإذا قسنا دعاتنا مع تلك المصارف الباهضة والقوة الهائلة، والشيعة ترى دعاتنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة، وإن كان قسسنا يحزنون القلوب بذكر

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۸

مصائب المسيح، ولكن لا بذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظن أنّ سبب ذلك هو: إنّ مصائب الحسين أشد حزناً وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح. فعلى مؤرخينا أن يعرفوا حقيقة رسوم الأغيار وعاداتهم ولا ينسبوها إلى الجنون، وإنى أعتقد بأنّ بقاء القانون الإسلامى وظهور الديانة الإسلامية وترقى المسلمين هو مسبب عن قتل الحسين وحدوث تلك الوقائع المحزنة، وهكذا ما تراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة، وإباء الضيم، ما هو إلّابواسطة عزاء الحسين، وما دامت فى المسلمين هذه الملكة والصفة لا يقبلون ذلّاً ولا يدخلون فى أسر أحد. ينبغى لنا أن ندقق النظر فى ما يذكر من النكات الدقيقة الحيوية فى مجالس إقامة عزاء الحسين، ولقد حضرت دفعات فى المجالس التى يذكر فيها عزاء الحسين فى اسلامبول مع مترجم، وسمعتهم يقولون: - الحسين الذى كان إمامنا، ومقتدانا، ومَن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمل الضيم، ولم يدخل فى طاعة يزيد، وجاد بنفسه، وعياله، وأولاده، وأمواله فى سبيل حفظ شرفه وعلو حسبه ومقامه، وفاز فى قبال ذلك بحسن الذكر والصيت فى الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من اللّه، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة ... فرأيت بعد ذلك وعلمت أنّهم فى الحقيقة يدرس بعضهم بعضاً علناً بأنّكم إن كنتم شيعة الحسين، وأصحاب شرف، إنْ كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا فى طاعة أمثال يزيد، ولا تتحملوا الذل، بل اختاروا الموت بعزة على الحياة بذلة حتى تفوزوا بحسن الذكر فى الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح. من المعلوم حال الأمة التى تلقى عليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللّحد، فى أى درجة تكون فى الملكات العظيمة، والسجايا العالية، نعم هكذا أمة تحوى كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدن الحقيقى اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۰۹

ودنياها، أنبّهك إليها بذكر بعضها واوكِل الباقى إلى فطنتك:

فمنها: إنّها جامعة إسلامية، ورابطة إمامية، باسم النبى وآله صلوات اللّه عليهم أجمعين، ينبعث عنها الاعتصام بحبل اللّه عزّوجلّ، والتمسك بثقلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، وفيها من اجتماع القلوب على أداء أجر الرسالة بمودة القربى، وترادف العزائم على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام ما ليس فى غيرها.

وحسبك فى رجحانها ما يتسنى بها للحكيم من إلقاء المواعظ والنصائح، وإيقاف المجتمعين على الشؤون الإسلامية، والأمور الإمامية ولو إجمالًا، وبذلك يكون أمل العاملى، نفس أمل إخوانه فى العراق وفارس والبحرين والهند وغيرها من بلاد الإسلام.

ولا- تنس ما يتهيأ للمجتمعين فيها من الإطلاع على شؤونهم، والبحث عن شؤون إخوانهم النائين عنهم، وما يتيسر لهم حينئذ من تبادل الآراء فيما يعود عليهم بالنفع، ويجعلهم كالبنيان المرصوص، يشدّ بعضه بعضاً، أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضواً أنَّت له سائر

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۱۰

الأعضاء، وبذلك يكونون مستقيمين فى السير على خطةٍ واحدة يسعون فيها وراء كلّ ما يرمون إليه.

ومنها: إنّ هذه المآتم دعوة إلى الدين بأحسن صورة وألطف أسلوب، بل هى أعلا صرخة للإسلام توقظ الغافل من سباته، وتنبّه

الجاهل من سكراته، بما تشربه فى قلوب المجتمعين، وتنفثه فى آذان المستمعين، وتبثّه فى العالم وتصوره قالباً لجميع بنى آدم، من أعلام الرسالة، وآيات الإسلام، وأدلة الدين، وحجج المسلمين، والسيرة النبوية، والخصائص العلوية، ومصائب أهل البيت فى سبيل اللّه، وصبرهم على الأذى فى إعلاء كلمة اللّه.

فأولوا النظر والتحقيق، يعلمون أنّ خطباء هذه المآتم كلّهم دعاة إلى الدين من حيثُ لم يقصدوا ذلك، بل لا مبشّر بالإسلام على التحقيق سواهم. وأنت تعلم: أنّ الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون فى أنحاء البسيطة عن الألوف المؤلّفة، فلو بذلَ المسلمون شطر أموالهم ليوظّفوا دعاةً إلى دينهم بعدد أولئك الخطباء، ما تيسر ذلك لهم، ولو تيسّر فلا يتيسر مَن يستمع الدعوة على ممر الدهور استماع الناس لما يتلى فى هذه المآتم بكلّ رغبة وإقبال.

ومنها: ما قد أثبته العيان وشهد به الحس والوجدان، من بث روح المعارف بسبب هذه المآتم، ونشر أطراف من العلوم ببركتها، إذ هى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۱۱

- بشرط كونها على أصولها- أرقى مدرسة للعوام، يستضيئون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها درر السير، ويقفون بها على أنواع العبر، ويتلقّون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حمله ولا يسعهم جهله، بل هى المدرسة الوحيدة للعوام فى جميع بلاد الإسلام.

وقد تفنن خطباؤها فى ما يصدعون به أولًا على أعوادها، ثم يتخلصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة.

فمنهم: مَن يشنف المسامع، ويشرّف الجوامع بالحكم النبوية، والمواعظ العلوية، أو يتلوا أوّلًا من كلام أئمة أهل البيت ما يقرّب المستمعين إلى اللّه ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه.

ومنهم: مَن يتلو أوّلًا من سيرة النبى صلّى اللّه عليه وآله وتاريخ أوصيائه عليهم السلام ما يبعث المستمعين على مودّتهم ويضطرهم إلى بذل الجهد فى طاعتهم.

ومنهم: مَن ينبّه الأفكار أوّلًا إلى فضل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ومقام أوصيائه عليهم السلام بما يسرده من الأحاديث الصحيحة والآيات المحكمة الصريحة.

ومنهم: مَن يتلو أوّلًا من الأحكام الشرعية والعقائد الدينية ما تعم به البلوى للمكلّفين ولا مندوحة عن معرفته لأحد من العالمين.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۱۲

هذه سيرتهم المستمرة أيّام حياتهم، فهل ترى- بجدك- للعوام مدرسة تقوم مقامها فى جسيم فوائدها وعظيم قاصدها؟؟ لا وسرّ الحكماء الذين بعثوا شيعتهم عليها، وحكمة الأوصياء الذين أرشدوا أوليائهم إليها.

ومنها: الارتقاء فى الخطابة، والعروج إلى منتهى البراعة، كما يشهد به الوجدان، ولا نحتاج فيه إلى برهان.

ومنها: العزاء عن كلِّ مصيبة، والسلوة لكلّ فادحة، إذ تهون الفجائع بذكر فجائعهم، وتنسى القوارع بتلاوة قوارعهم، كما قيل فى رثائهم (عليهم السلام):

أنستْ رزيّتكم رزايانا التى سلفت وهوّنت الرزايا الآتية

ومنها: إنعاش أهل الفاقة، وإثلاج أكباد حرّا من أهل المسكنة على الدوام، بما ينفق فى هذه المآتم من الأموال فى سبيل اللّه عزّوجلّ، وما يُبذل فيها لأهل المسغبة وغيرهم، وأنت تعلم أنّه لا وسيلة لقرّاء تلك المآتم فى التعيش غالباً إلّاهذه الوظيفة، وهم من الرجال والنساء- بقطع النظر عمّن يقومون بنفقته- ألوف مؤلّفة يعيشون ببركة أهل البيت ويتنعمون بيمن مآتمهم (عليهم السلام).

ومنها: إنّ المصلحة التى استشهد الحسين- بأبى وأمّى- فى سبيلها وسُفك دمه الزكى تلقاءها، تستوجب استمرار هذه المآتم، وتقتضى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۱۳

دوامها إلى يوم القيامة.

وبيان ذلك: إن المنافقين حيث دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التى رتبهم اللَّه فيها، ظهروا للناس بمظاهر النيابة عن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وأظهروا التأييد لدينه، والخدمة لشريعته، فوقع الالتباس، واغترَّ بهم أكثر الناس، ولما ملكوا من الأمة أزمّتها، واستسلمت لهم برمّتها، حرّموا- والناس فى سِنَةٍ عن سوء مقاصدهم- من حلال اللَّه ماشاؤا، وحلّلوا من حرامه ما أرادوا، وعاثوا فى الدين وحكموا فيه القاسطين، فسملوا أعين أولياء اللَّه، وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، ونفوهم عن عقر ديارهم، حتى تفرّقوا أيدى سبا، ولعنوا أميرالمؤمنين عليه السّلام وكنوا به عن أخيه الصادق الأمين (صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم).

فلو دامت تلك الأحوال- وهم أولياء السلطة المطلقة والرئاسة الروحانية- لما أبقوا للإسلام عيناً ولا أثراً، لكن ثار الحسين عليه السّلام فادياً دين اللَّه عزّوجلّ بنفسه وأحبائه، حتى وردوا حياض المنايا ولسان حاله يقول:

إنْ كان دين محمّد لم يستقم إلّا بقتلى يا سيوف خذينى

فاستنقذ الدين من أيدى الظالمين، وانكشف الغطاء بوقوع تلك الرزايا عن نفاق القوم، حتى تجلّت عداوتهم للَّه عزّوجلّ وظهر انتقامهم

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۱۴

من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، إذ لم يكتفوا بقتل الرجال من بنيه عطاشاً والماء تعبث فيه خنازير البرّ وكلابه، ولم يقنعوا بذبح الأطفال من أشباله أحياء، وقد غارت أعينهم من شدة العطش، ولا اكتفوا باستئصال العترة الطاهرة ونجوم الأرض من شيبة الحمد، حتى وطأواجثثهم بسنابك الخيل، وحملوا رؤسهم على أطراف الأسنّة، وتركوا أشلائهم الموزعة عارية بالعراء مباحة لوحوش الأرض وطير السماء، ثم أبرزوا ودائع الرسالة وحرائر الوحى مسلّبات وطافوا البلاد بهن سبايا كأنهن من كوافر البربر، حتى أدخلوهن تارة على ابن مرجانة، وأخرى على ابن آكلة الأكباد، أوقفوهنّ على درج الجامع فى دمشق حيث تباع جوارى السبى، فلم تبقَ بعدها وقفة فى عداوتهم للَّه، ولا ريبة بنفاقهم فى دين الإسلام.

وعلم حينئذ أهل البحث والتنقيب من أُولى الألباب: أن هذه أمور دُبّرتْ بليل، وأنّها عن عهد السلف بها إلى خلفه، وما كانت ارتجالًا من يزيد.

«وما المسبب لو لم ينجح السبب».

ثم لم تزل أنوار هذه الحقيقة تتجلّى لكل مَن نظر نظراً فلسفياً فى فجائع الطف، وخطوب أهل البيت، أو بحث بحث مدققٍ عن أساس تلك الضوارع وأسباب هاتيك الفظائع.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۱۵

وقد علم أهل التدقيق من أُولى البصائر: أنّه ما كان لهذا الفاجر أنْ يرتكب من أهل البيت ما ارتكب، لولا ما مهّده سلفه من هدم سورهم، وإطفاء نورهم، وحمله الناس على رقابهم، وفعله الشنيع يوم بابهم.

وتاللَّه، لولا مابذله الحسين عليه السّلام فى سبيل إحياء الدين من نفسه الزكية، ونفوس أحبائه بتلك الكيفية، لأمسى الإسلام خبراً من الأخبار السالفة «۱»، وأضحى المسلمون أمة من الأمم التالفة، إذلو بقى

---

(۱) كما شهد به العظماء من فلاسفة الغرب، وإليك ما ذكره (المسيو ماريين) فى كتابه (السياسة الإسلامية) بعين لفظ المعرب قال من جملة كلام طويل: لا يشكُّ صاحب الوجدان إذا دقق النظر فى أوضاع ذلك العصر وكيفية نجاح بنى أميّة فى مقاصدهم واستيلائهم على جميع طبقات الناس وتزلزل المسلمين، أنّ الحسين قد أحيا بقتله دين جدّه وقوانين الإسلام، وإن لم تقع تلك الواقعة ولم تظهر تلك الحسيات الصادقة بين المسلمين؛ لأجل قتل الحسين، لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً، بل كان من الممكن ضياع

رسومه وقوانينه حيث كان يومئذٍ حديث العهد، عزم الحسين إنجاح هذا المقصود، وإعلان الثورة ضد بنى أمية من يوم توفى والده، فلما قام يزيد مقام معاوية خرج الحسين من المدينة وكان يظهر مقصده العالى، ويبث روح الثورة فى المراكز المهمة الإسلامية كمكة والعراق وأينما حلَّ، فازداد نفرة قلوب المسلمين التى هى مقدمة الثورة من بنى أمية، ولم يكن يجهل يزيد مقاصد الحسين، وكان يعلم أنّ الثورة إذا أُعلنت فى جهة والحسين قائدها مع تنفر المسلمين عموماً من حكومة بنى أميّة، وميل القلوب وتوجه الأنظار إلى الحسين عمت جميع البلاد وفى ذلك زوال ملكهم وسلطانهم، فعزم يزيد قبل كلّ شىء من يوم بويع على قتل الحسين، ولقد كان هذا العزم أعظم خطأ سياسى صدر من بنى امية الذى جعلهم نسياً منسيّاً ولم يبقَ منهم أثر ولا خبر.

وأعظم الأدلّة على أنّ الحسين أقدم على قتل نفسه، ولم تكن فى نظره سلطنة ولا رئاسة هو: إنّه مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والتجربة التى وقف عليها زمن أبيه وأخيه فى قتال بنى أميّة، كان يعلم أنّه مع عدم تهيئة الأسباب له واقتدار يزيد، لا يمكنه المقاومة والغلبة وكان يقول من يوم توفى والده إنّه يقتل، وأعلن يوم خروجه من المدينة أنّه يمضى إلى القتل، وأظهر ذلك لأصحابه والذين اتبعوه من باب إتمام الحجة حتى يتفرق الذين التفوا حوله طمعاً بالدنيا، وطالما كان يقول: (خيّر لى مصرع أنا ملاقيه). ولو لم يكن قصده ذلك ولم يكن عالماً عامداً لجمع الجنود ولسعى فى تكثير أصحابه وزيادة استعداده، لا أن يفرق الذين كانوا معه، ولكن لما لم يكن له قصد إلّاالقتل مقدمة لذلك المقصد العالى، وإعلان الثورة المقدسة ضد يزيد، رأى أنّ خير الوسائل إلى ذلك الوحدة والمظلومية، فإن أثر هكذا مصائب أشد وأكثر فى القلوب.

من الظاهر أنّ الحسين مع ما كانت له من المحبوبية فى قلوب المسلمين فى ذلك الزمان لو كان يطلب قوةً واستعداداً لأمكنه أن يخرج إلى حرب يزيد جيشاً جراراً، ولكنه لو صنع ذلك لكان قتله فى سبيل طلب السلطنة والإمارة، ولم يفز بالمظلومية التى انتجت تلك الثورة العظيمة، هذا هو الذى سبب أن لا يبقى معه أحداً إلّاالذين لايمكن انفكاكهم عنه، كأولاده، وإخوانه، وبنى إخوته، وبنى أعمامه وجماعة من خواص أصحابه، حتى أنّه أمر هؤلاء أيضاً بمفارقته، ولكنهم أبوا عليه ذلك، وهؤلاء أيضاً كانوا من المعروفين بين المسلمين بجلالة القدر وعظم المنزلة وقتلهم معه، مما يزيد فى عظم المصيبة وأثر الوقعة، نعم! إنّ الحسين بمبلغ علمه وحسن سياسته بذل كمال جهده فى إفشاء ظلم بنى أمية وإظهار عداوتهم لبنى هاشم وسلك فى ذلك كلّ طريق، لما كان يعلم عداوة بنى أمية له ولبنى هاشم، ويعرف أنّهم بعد قتله يأسرون عياله وأطفاله، وذلك يؤيد مقصده ويكون له أثر عظيم فى قلوب المسلمين، سيما العرب كما وقع ذلك، حملهم معه وجاء بهم من المدينة.

نعم، إنّ ظلم بنى أمية وقساوة قلوبهم فى معاملاتهم مع حرم محمّد وسباياه، أثّر فى قلوب المسلمين تأثيراً عظيماً لا ينقص عن أثر قتله وأصحابه، ولقد أظهر فى فعله هذا عقيدة بنى أمية فى الإسلام وسلوكهم مع المسلمين سيما ذرارى نبيّهم، لهذا كان الحسين يقول فى جواب أصحابه والذين كانوا يمنعونه عن هذا السفر: إنى أمضى إلى القتل. ولما كانت أفكار المانعين محدودة وأنظارهم قاصرة لا يدركون مقاصد الحسين العالية، لم يألوا جهدهم فى منعه، وآخر ما أجابهم به أنْ قال لهم: (شاء اللَّه ذلك، وجدى أمرنى به)، فقالوا: إنْ كنت تمضى إلى القتل فما وجه حملك النسوة والأطفال فقال: (إن اللَّه شاء أن يراهن سبايا) ولما كان بينهم رئيساً روحانياً لم يكن لهم بدٌّ عن السكوت.

ومما يدلّ على أنّه لم يكن له غرض إلّاذلك المقصد العالى الذى كان فى نفسه ولم يتحمل تلك المصائب لسلطنة وإمارة، ولم يقدم على هذا الخطر من غير علم ودراية كما تصوره بعض المؤرخين منا، أنّه قال لبعض ذوى النباهة قبل الواقعة بأعوام كثيرة على سبيل التسلية: إنّ بعد قتلى وظهور تلك المصائب المحزنة، يبعث اللَّه رجالًا يعرفون الحق من الباطل، يزورون قبورنا، ويبكون على مصابنا، ويأخذون بثارنا من أعدائنا، أولئك جماعة ينشرون دين اللَّه وشريعة جدّى وأنا وجدى نحبّهم وهم يحشرون معنا يوم القيامة.

ولو تأمل المتأمل فى كلام الحسين وحركاته، يرى أنّه لم يترك طريقاً من السياسة إلّاسلكه فى إظهار شنائع بنى أمية وعداوتهم القلبية لبنى هاشم ومظلومية نفسه، وهذا مما يدلّ على حسن سياسته وقوة قلبه وتضحية نفسه فى طريق الوصول إلى المقصد الذى كان فى

نظره، حتى أنّه فى آخر ساعات حياته عمل عملًا حيّر عقول الفلاسفة ولم يصرف نظره عن ذلك المقصد العالى مع تلك المصائب المحزنة والهموم المتراكمة، وكثرة العطش والجراحات، وهو قصة الرضيع، لما كان يعلم أنّ بنى أمية لا يرحمون له صغيراً رفع طفله الصغير تعظيماً للمصيبة على يده أمام القوم وطلب منهم أنْ يأتوه شربةً من الماء فلم يجيبوه إلّابالسهم، ويغلب على الظن أنّ غرض الحسين من هذا العمل تفهيم العالم بشدة عداوة بنى أمية لبنى هاشم، وأنّها إلى أى درجة بلغت، ولا يظن أحد أنّ يزيد كان مجبوراً على تلك الإقدامات الفجيعة لأجل الدفاع عن نفسه؛ لأنّ قتل الطفل الرضيع فى ذلك الحال بتلك الكيفية ليس هو إلّاتوحش وعداوة سبعية منافية لقواعد كلّ دين وشريعة. ويمكن أنْ تكون هذه الفاجعة كافية فى افتضاح بنى أمية، ورفع الستار عن قبائح أعمالهم ونياتهم الفاسدة بين العالم سيما المسلمين، وأنّهم يخالفون الإسلام فى حركاتهم بل يسعون بعصبية جاهلية إلى اضمحلال آل محمّد وجعلهم بالأيدى سبايا.

ونظراً لتلك المقاصد العالية التى كانت فى نظر الحسين، مضافاً إلى وفور علمه وسياسته التى كان لا يشك فيها إثنان لم يرتكب امراً يوجب مجبورية بنى أمية للدفاع حتى مع ذلك النفوذ والإقتدار الذى كان له فى ذلك العصر، لم يسعَ فى تسخير البلاد الإسلامية وضمّها إليه، ولا هاجم ولاية من ولايات يزيد، إلى أنْ حاصروه فى وادٍ غير ذى زرع، قبل أن تبدو منه أقل حركة عدائية، أو تظهر منه ثورة ضد بنى أمية.

لم يقل الحسين يوماً: سأكون ملكاً أو سلطاناً، وأصبح صاحب سلطة، نعم كان يبث روح الثورة فى المسلمين بنشره شنائع بنى أمية واضمحلال الدين إنْ دام ذلك الحال، وكان يخبر بقتله ومظلوميته وهو مسرور، ولما حوصر فى تلك الأرض القفراء أظهر لهم من باب إتمام الحجة بأنّهم لو تركوه لرحل بعياله وأطفاله، وخرج من سلطة يزيد، ولقد كان لهذا الإظهار الدالّ على سلامة نفس الحسين فى قلوب المسلمين غاية التأثير.

قُتل قبل الحسين ظلماً وعدواناً كثير من الرؤساء الروحانيين، وأرباب الديانات وقامت الثورة بعد قتلهم بين تابعيهم ضد الأعداء، كما وقع مكرراً فى بنى إسرائيل وقصة يحيى من أعظم الحوادث التأريخية، ومعاملة اليهود مع المسيح لم ير نظيرها إلى ذلك العهد، ولكن واقعة الحسين فاقت الجميع.

لم يرشدنا التاريخ إلى أحد من الروحانيين وأرباب الديانات أنّه أقدم على قتل نفسه عالماً عامداً لمقاصد عالية لا تنجح إلّابقتله، فإنّ كلّ واحد من أرباب الديانات الذين قتلوا، ثار عليهم أعداؤهم وقتلوهم ظلماً، وبمقدار مظلوميتهم قامت الثورة بعدهم ومقاصد الحسين كانت على علم وحكمة وسياسة، وليس لها نظير فى التاريخ، فإنّه لم يزل يوالى السعى فى تهيئة أسباب قتله نظراً لذلك المقصد العالى، ولم نجد فى التاريخ رجلًا ضحّى حياته عالماً عامداً لترويج ديانته من بعده إلّاالحسين.

المصائب التى تحمّلها الحسين فى طريق إحياء دين جدّه تفوق على مصائب أرباب الديانات السابقين، ولم ترد على أحد منهم، نعم: إنّ هناك رجالًا قتلوا فى طريق إحياء الدين، ولكنهم لم يكونوا كالحسين، فإنه ضحّى نفسه العزيزة فى طريق إحياء دين جدّه، وفداه بأولاده، وإخوانه، وأقربائه، وأحبابه، وأمواله، وعياله، ولم تقع هذه المصائب دفعة واحدة حتى تكون فى حكم مصيبة واحدة، بل وقعت متتالية واحدة بعد أخرى، ويختص الحسين دون غيره بتواتر أمثال هذه المصائب، كما يشهد له التاريخ.

لم تنته المصائب التى وردت على الحسين من قتله وقتل أصحابه، وتسيير نسائه وبناته إلّاوانكشف الغطاء عن سرائر بنى أمية، وقبائح أعمالهم، وظهرت بين المسلمين الحسيات السياسية، وتوطدت أسباب الثورة ضد سلطنة يزيد وبنى امية وعلم الجميع أنّ بنى أمية مخربوا الإسلام، وصار الجميع يرفض بدعهم وتقولاتهم وعرفوا بالظلم والغصب بالعكس من بنى هاشم، فإنهم عرّفوا بالمظلومية، وأنّ لهم الرئاسة الروحانية بالإستحقاق، وإليهم تنتمى الحقيقة الروحانية.

كأنّ المسلمين- بعد قتل الحسين- قد دخلوا فى دور جديد، وظهرت الروحانية الإسلامية بأجلى مظاهرها، وتجددت بعد أنْ كانت مندرسةً غائبة عن أذهان المسلمين، وكما لا يشك إثنان فى تفوّق مصائب الحسين على جميع مصائب روحانى السلف، فكذلك لا

يشك فى الثورة التى حدثت بعده، بأنّها فاقت سائر الثورات السالفة، وإنّ امتدادها وأثرها أكثر، وإنْ بها ظهرت للعالم مظلومية آل محمّد.

فكانت أوّل نتيجة هذه الثورة اختصاص الرئاسة الروحانية التى لها أهمية عظمى فى عالم السياسة ببنى هاشم وخصوصاً فى أولاد الحسين، فكان منهم أئمة الشيعة. وإلى حال التاريخ ينظر عموم المسلمين إلى بنى هاشم سيما أولاد الحسين نظرهم إلى الروحانيين، ولم يطل العهد حتى نزعت تلك السلطنة من بنى أمية وزالت السلطة والقدرة من آل يزيد فى أقل من قرن، واندرست آثارهم على وجه لم يبق منهم عين ولا- أثر، وأينما ذكرت أسماؤهم فى متون الكتب قرنها المسلمون بكلمة الشماتة، وكلّ ذلك نتيجة سياسة الحسين الذى يمكن أن يقال: إنّه لم يأت فى أرباب الديانات والروحانيين رجل عرف عواقب الأمور مع بعد نظر وحسن سياسة كالحسين، والتاريخ لم يرشدنا.

قبل أن تصل سبايا الحسين إلى الشام قامت الثورة ضد يزيد، وظهرت بمظلومية الحسين سرائر بنى أمية، وكشفت الغطاء عن نياتهم، وتوجه اللوم على يزيد حتى من أهل داره وحرمه، وصار يزيد يسمع تقديس الحسين وأولاد على وعظمتهم ومظلوميتهم، بعد أن لم يكن يمكن ذكرهم عنده بخير، وكان يصعب عليه ذلك إلّاأنّه لم يكن له بدّ غير السكوت، ولما أراد تبرأة نفسه من تلك الأعمال، ألقى المسؤولية على عمّاله، ولم يزل يسمع محامد الحسين، قال ذات يوم: إنّ سلطنة الحسين كانت أهون علىَّ من هذا المقام العالى الذى فاز به آل على (عليه السّلام) وبنو هاشم...

وبالأخير، فشيعة الحسين لم يزالوا يستفيدون من هذه الثورات، وتزيد قوة بنى هاشم وعظمتهم حتى لم يمض أقل من قرن إلّاوصارت السلطنة الإسلامية الوسيعة فى بنى هاشم من دون مزاحم، وأبادوا بنى أمية على وجه لم يبق منهم اسم ولا رسم، غير أفراد تسلّموا زمام السلطنة فى الأندلس إلى كم قرن، ولم يبق فعلًا من تلك العظمة التى سيطرت على المسلمين قروناً عديدة أثر ولم يوجد من أولئك شخص، ولو تحت ستر الخفاء، ولو وجد فلا يمكنه إظهار نسبه نظراً لشناعة ذلك، ولما انتهت السلطنة بعد قرن إلى بنى هاشم كانت فى أولاد عم الحسين دون أولاده، لأنّهم اعتزلوا الناس وأذعن الجميع لهم بالرئاسة الروحانية، نعم: نال أولاد عم الحسين هذه السلطة، وتوفقوا بسبب ثورات شيعة الحسين للقبض على زمامها، ولكنهم بعد أن استلموا زمام الأمور وانقاد لهم الجمهور، صاروا فى صدد منع تلك الثورات التى نالوا السلطة ببركتها خوفاً من رجوع السلطنة الإسلامية إلى أولاد الحسين وانتزاعها من أيديهم كما انتزعت من بنى أمية، فقلّت تلك الثورات يوماً فيوماً لمنع هؤلاء أوّلًا، ولإضمحلال بنى أمية ثانياً، فلما رأى عقلاء شيعة على ذلك عرفوا أنّ تلك الثورات لا تقاوم سلطنة أولاد عمهم لزيادة اقتدارهم وتفرّق الآراء والأهواء العمومية، تركوها بحسب الظاهر ولكنهم فى الحقيقة غيروا شكلها، وأظهروها بصورة اخرى أعنى بالأجتماع وعقد الاجتماعات وذكر الوقائع المحزنة والمصائب المؤلمة التى وردت على الحسين حفظاً لروح الثورة، وتمهيداً لأسباب النهضة، وصوناً لها عن الإضمحلال والإندراس. (المؤلف).

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۲

المنافقون على ما كانوا عليه من الظهور للعامة بالنيابة عن رسول اللَّه والنصح لدينه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، وهم أولياء السلطة المطلقة والإرادة المقدسة، لغرسوا من شجرة النفاق ما أرادوا، وبثوا من روح الزندقة ما شائوا، وفعلوا بالدين ما توجبه عداوتهم له، وارتكبوا من الشريعة كلّ أمر يقتضيه نفاقهم.

وأمّا شيبة الحسين المخضوبة بدمه الطاهر، لولا ما تحمّله سلام اللَّه عليه فى سبيل اللَّه ما قامت لأهل البيت عليهم السلام- وهم حجج اللَّه- قائمة، ولا- عرفهم- وهم أولوا الأمر- ممّن تأخر عنهم أحد، لكنه- بأبى وأمى- فضح المنافقين، وأسقطهم من أنظار العالمين، واستلفت الأبصار بمصيبته إلى سائر مصائب أهل البيت، واضطر الناس بحلول هذه القارعة إلى البحث عن أساسها، وحملهم على التنقيب عن أسبابها،

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۳

والفحص عن جذرها وبذرها، واستنهض الهمم إلى حفظ مقام أهل البيت عليهم السلام، وحرّك الحميّة على الإنتصار لهم؛ لأنّ الطبيعة البشرية والجبلّة الإنسانية، تنتصر للمظلومين وتنتقم بجهدها من الظالمين، فاندفع المسلمون إلى موالات أهل البيت حتى كأنّهم قد دخلوا- بعد فاجعة الطف- في دور جديد، وظهرت الروحانيّة الإسلاميّة بأجلى مظاهرها، وسطع نور أهل البيت بعد أن كان محجوباً بسحائب ظلم الظالمين، وانتبه الناس إلى نصوص الكتاب والسنّة فيهم عليهم السلام، فهدى اللّه بها مَن هدى لدينه، وضلَّ عنها مَن عمى عن سبيله.

وكان الحسين- بأبي وأمي- على يقين من ترتب هذه الآثار الشريفة على قتله، وانتهاب رحله، وذبح أطفاله، وسبي عياله، بل لم يجد طريقاً لإرشاد الخلق إلى الأئمة بالحق، واستنقاذ الدّين من أئمة المنافقين- الذين خفي مكرهم، وعلا في نفوس العامة أمرهم- إلّا الاستسلام لتلك الرزايا والصبر على هاتيك البلايا، وما قصد كربلاء إلّا لتحمل ذلك البلاء، عهد معهود عن أخيه عن أبيه عن جدّه عن اللّه عزّوجلّ.

ويرشدك إلى ذلك- مضافاً إلى أخبارنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة- دلائل أقواله وقرائن أفعاله، فإنّها نص فيما قلناه، وحسبك منها

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۴

جوابه لأمّ سلمة إذ قالت له- كما في البحار وجلاء العيون وغيرهما-: «يا بنيّ لا تحزن بخروجك إلى العراق، فإني سمعتُ جدّك صلّى اللّه عليه وآله يقول: «يُقتل ولدي الحسين بأرض يقال لها كربلاء» فقال لها:

«يا امّاه، وأنا واللّه أعلم ذلك وأنّي مقتول لا محالة وليس لي منه بدّ، وقد شاء اللّه أن يراني مقتولًا ويرى حرمي مشردين وأطفالي مذبوحين» «۱».

وجوابه لأخيه عمر، إذ قال له حين امتنع من البيعة ليزيد: «حدّثني أخوك أبو محمّد عن أبيه» ثم بكى حتى علا شهيقه فضمّه الحسين إليه وقال- كما في الملهوف وغيره-: «حدّثك أنّي مقتول» قال: «حوشيت يا ابن رسول اللّه»، فقال: «بحق أبيك بقتلي خبّرك؟» قال: «نعم، فلو بايعت» فقال عليه السّلام:

«حدثني أبي أنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أخبره بقتله وقتلي وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، أتظن أنّك علمت ما لم أعلم؟» «۲».

والرؤيا التي رآها في مسجد جدّه صلّى اللّه عليه وآله حين ذهب ليودّعه، وقول النبي له فيها كما في أمالي الصدوق وغيره:

---

(۱) بحار الأنوار ۴۴/ ۳۳۱، والعوالم: ۱۷، وينابيع المودّة للقندوزي: ۴۰۵.

(۲) اللهوف: ۲۰، ط قم.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۵

«بأبي أنت، كأني أراك مرمّلًا بدمك بين عصابة من هذه الأمة ما لهم عنداللّه من خلاق» «۱».

وكتابه إلى بني هاشم لمّا فصل من المدينة، وقوله فيه- كما في الملهوف نقلًا عن رسائل ثقة الإسلام-:

«أمّا بعد، فإنّ من لحق بي منكم استشهد ومَن تخلّف لم يبلغ الفتح» «۲».

وخطبته ليلة خروجه من مكة، وقوله فيها- كما في الملهوف وغيره-:

«كأنّي بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

إلى أن قال:

«ومَن كان باذلًا فينا مهجته موطّناً على لقاء اللّه نفسه، فليرحل معنا فإنّي راحل مصبحاً إن شاء اللّه تعالى» «۳».

وقوله- كما فى الملهوف وغيره-:

«لولا تقارب الأشياء وهبوط الأجل، لقاتلتهم بهؤلاء، ولكنى أعلم يقيناً أن هناك مصرعى ومصرع أصحابى، لا ينجو منهم إلّا

---

(۱) الأمالى للصدوق: ۲۱۷، المجلس الثلاثون ح ۱.

(۲) اللهوف: ۴۱.

(۳) المصدر: ۱۲۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۶

ولدى على» «۱».

وجوابه لأخيه محمّد بن الحنفية، إذ قال له- كما فى الملهوف وغيره-: «يا أخى ألم تعدنى النظر فيما سألتك؟» قال:

«بلى، ولكن أتانى رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) بعد ما فارقتك فقال: يا حسين أُخرج، فإن اللَّه قد شاء أن يراك قتيلا».

فقال ابن الحنفية: «إنّا للَّه وانا إليه راجعون، فما معنى حملك هذه النسوة وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟» فقال له:

«قال لى: إنّ اللَّه شاء أن يراهن سبايا» «۲».

وجوابه لابن عباس وابن الزبير إذ أشارا عليه بالإمساك. فقال لهما:

- كما فى الملهوف وغيره-:

«إنّ رسول اللَّه أمرنى بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه».

«فخرج ابن عباس وهو يقول: «واحسيناه» «۳».

وجوابه لعبداللَّه بن جعفر ويحيى بن سعيد إذ حاولا منه الرجوع فأبى وقال لهما- كما فى تاريخى ابن جرير وابن الأثير وغيرهما-:

«رأيت رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) فى المنام وأمرنى بما أنا

---

(۱) اللهوف: ۱۲۶.

(۲) المصدر: ۱۲۸.

(۳) المصدر: ۲۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۷

ماض له» «۱».

وقوله- فى كلام له مع ابن الزبير، كما فى تاريخى ابن جرير وابن الأثير وغيرهما-:

«وأيم اللَّه لو كنتُ فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىَّ حاجتهم، ووالله ليعتدن كما اعتدت اليهود فى السبت» «۲».

وقوله فى مقام آخر- كما فى كامل ابن الأثير وغيره-:

«واللَّه لا يدعوننى حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جوفى، فإذا فعلوا ذلك سلّط اللَّه عليهم مَن يذلّهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة (يعنى من خرقة الحيض) «۳».

وقوله لأبى هرة- كما فى تاريخ ابن جرير وغيره-:

«وأيم اللَّه لتقتلنى الفئةُ الباغية» «۴».

ورؤياه التى رآها لما ارتحل من قصر بنى مقاتل- كما فى تاريخ الطبرى وغيره- فقال حين انتبه: إنّا للَّه وإنّا إليه راجعون الحمد للَّه

ربّ

---

(۱) الكامل فى التاريخ ۳/ ۴۰۲، حوادث سنة ۶۰.

(۲) تاريخ الطبرى ۴/ ۲۸۹، حواث سنة ۶۰، والطبرانى فى معجمه الكبير ۳/ ۹۸، ح ۲۷۸۳.

(۳) الكامل فى التاريخ ۳/ ۴۰۱، حوادث سنة ۶۰.

(۴) مثير الأحزان لابن نما الحلى: ۳۳، والبحار ۴۴/ ۳۶۸، اللهوف: ۴۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۸

العالمين- مرّتين أو ثلاثاً- قال: فأقبل عليه «۱» ابنه على فقال: «يا أبتاه جُعلت فداك مما حمدتَ اللَّه واسترجعت»؟ فقال: «يا بنى، خفقت برأسى فعنَّ لى فارس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا» فقال: «يا أبت لا أراك اللَّه سوءاً، ألسنا على الحق؟» قال: «بلى والذى إليه مرجع العباد» قال: «إذاً لا نبالى، نموت محقّين».

فقال له: «جزاك اللَّه من ولد خير ما جزى ولداً عن والده» «۲».

وقوله لما أُخبر بقتل قيس بن مسهر الصيداوى- كما فى تاريخ الطبرى وغيره-:

«فمنهم من قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلًا» «۳».

إلى غير ذلك من أقواله الصريحة بأنه كان على يقين مما انتهت إليه حاله، وأنّه ما خرج إلّالِيبذل فى سبيل اللَّه نفسه وجميع ما ملكته يده، ويضحى فى إحياء دين اللَّه أولاده وإخوته، وأبناء أخيه، وبنى عمومته وخاصة أوليائه، والعقائل الطاهرات من نسائه.

إذ لم يرالسبط للدين الحنيف شفاً إلّا إذا دمه فى نصره سفكا

وما سمعنا عليلًا لا علاج له إلّا بنفس مداويه إذا هلكا

---

(۱) فى المصدر: (إليه).

(۲) تاريخ الطبرى ۴/ ۳۰۸، حوادث سنة ۶۱ ومقتل أبى مخنف: ۹۲، ط قم.

(۳) المصدر ۴/ ۳۰۶، حوادث سنة ۶۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۲۹

بقتله فاح للإسلام طيب هدىً فكلّما ذكرته المسلمون ذكا

وصانَ ستر الهدى عن كلِّ خائنة ستر الفواطم يوم الطف إذ هُتِكا

نفسى الفداء لفاد شرع والده بنفسه وبأهليه وما ملكا

قد آثر الدين أنْ يحيى فقحمها حيث استقام القنا الخطبى واشتبكا «۱»

على أن الأمر الذى انتهت إليه حاله كان من الوضوح بمثابة لم تخف على أحد، وقد نهاه عن ذلك الوجه- جهلًا بمقاصده السامية- كثير من الناس وأشفقوا عليه وأنذروه بلؤم بنى أمية وغدر أهل العراق:

فقال له أخوه محمّد بن الحنفية- كما فى الملهوف وغيره-: «يا أخى، إنّ أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أنيكون حالك كحال مَن مضى، فإنْ رأيت أنْ تقيم فإنّك أعزّ مَن فى الحرم وأمنعه، فإنْ خفت فسر «۲» إلى اليمن أو بعض نواحى البرّ، فإنّك أمنع الناس به ولا يقدر عليك».

فردّه الحسين- عليه السّلام- برأفة ورفق، وقال: «انظر فيما قلت» «۳».

---

(۱) هذه الأبيات من قصيدة للشريف الفاضل السيد جعفر الحلّى يرثى بها جدّه عليه السّلام. (المؤلف).

(۲) فى المصدر: (فصر).

(۳) اللهوف: ۱۲۸، ط قم.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳۰

وأتاه ابن عباس فقال: «يا ابن عم، قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لى ما أنت صانع؟» قال: «إنى قد أجمعت السير فى أحد يومىَّ هذين إنْ شاء اللَّه تعالى»، فقال له ابن عباس- كما فى تاريخى الطبرى وابن الأثير وغيرها-: «أعيذك باللَّه من ذلك، أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوّهم؟ فإنْ كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم، فإنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أنْ يغروك، ويكذِّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وإن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدّ الناس عليك».

فردّه الحسين عليه السّلام ردّ رحمة وحنان فقال له: «أستخير اللَّه وأنظر ما يكون» «۱».

فخرج ابن عباس.

ثم جاءه مرةً أخرى فقال له- كما فى تاريخى الطبرى وابن الأثير وغيرهما-: «يا ابن عم، إنّى أتصبَّر ولا أصبر، إنى أتخوّف عليك فى هذا الوجه الهلاك والإستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدر فلا تقربّنهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما

---

(۱) مقتل أبى مخنف: ۶۴، الكامل فى التاريخ ۳/ ۳۹۹، ذكر مسير الحسين إلى الكوفة.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳۱

زعموا، فاكتب إليهم فلينفوا (عاملهم) «۱» وعدوّهم ثم اقدم عليهم، فإنْ أبيت إلّاأن تخرج، فسر إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، ولأبيك بها شيعة، فتكتب إلى الناس وتبثّ دعاتك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية».

فقال له الحسين عليه السّلام: «يا ابن عم، إنى لأعلم واللَّه أنّك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير» «۲».

ودخل عليه عمر بن عبدالرحمن المخزومى فقال له- كما فى تاريخى الطبرى وابن الأثير وغيرهما-: «إنى مشفق عليك، إنك تأتى بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أنْ يقاتلك مَن وعدك نصره».

فقال له الحسين عليه السّلام:

«جزاك اللَّه خيراً يا ابن عم، فقد علمتُ أنك مشيتَ بنصح، وتكلّمت بعقل، ومهما يقض من أمرٍ يكن» «۳».

وكتب إليه عبداللَّه بن جعفر بعد خروجه من مكة- كما فى تاريخى الطبرى وابن الأثير وغيرهما-: «أما بعد، فإنى أسألك باللَّه لما

---

(۱) بين القوسين من المصدر.

(۲) الكامل فى التاريخ ۳/ ۴۰۱، حوادث سنة ۶۰.

(۳) المصدر ۳/ ۳۹۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳۲

انصرفت حين تقرأ كتابى هذا، فإنّى مشفق عليكَ من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإنْ هلكتَ اليوم طُفِيءَ نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنى فى إثر كتابى. والسلام» «۱».

وقام عبداللَّه بن جعفر إلى عمرو بن سعيد- وهو عامل يزيد يومئذ بمكة- فقال له: «اكتب للحسين كتاباً تجعل له الأمان فيه، وتمنّيه فيه

البر والصلة واسأله الرجوع». ففعل عمرو ذلك وأرسل الكتاب مع أخيه يحيى بن سعيد وعبداللّه بن جعفر، فلحقاه وقرأ عليه الكتاب، وجهدا أن يرجع، فلم يفعل «۲». وقال له عبداللّه بن مطيع- إذ اجتمع به فى الطريق على بعض مياه العرب- كما فى تاريخ الطبرى وغيره-: - أذكرك اللّه يا ابن رسول اللّه وحرمة الإسلام أن تنهتك، أنشدك اللّه فى حرمة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله)، أنشدك اللّه فى حرمة العرب، فواللّه لأن طلبت ما فى أيدى بنى أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً «۳» واللّه إنها

---

(۱) الكامل فى التاريخ: ۴۰۲، وتاريخ الطبرى ۴/ ۲۹۱.

(۲) المصدر ۳/ ۴۰۲.

(۳) وكان كما قال فدونك التراجم والمعاجم واطلب تفصيل ما جرى من الوقائع فى أيام‌يزيد بن معاوية القصيرة، والفضائع التى ارتكبها بعد فاجعة الطف والتى سوّد بها تاريخ المسلمين، بل تاريخ الإنسان العام. (الميلانى).

لحرمة الإسلام تنهتك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض لبنى أمية».

قالوا: فأبى إلّاأن يمضى «۱». إنجازاً لمقاصده السامية.

ولقيه أحد بنى عكرمة ببطن العقبة- كما فى تاريخ الطبرى وغيره- فقال له: «أنشدك اللّه لما انصرفت، فواللّه لا تقدم إلّاعلى الأسنة وحدّ السيوف، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطؤا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال فإنى لا أرى لك أن تفعل» فقال له:

«يا عبداللّه، إنّه ليس يخفى علىّ، الرأى ما رأيت، ولكن اللّه لا يغلب على أمره» «۲».

ولقيه بعض بنى تميم قريباً من القادسية- كما فى تاريخ الطبرى وغيره-: فقال له: «إرجع فإنى لم أدع لك خيراً أرجوه» «۳».

وكان قد لقيه الفرزدق بن غالب الشاعر فى الصّفاح- كما فى تاريخ

---

(۱) تاريخ الطبرى ۴/ ۲۹۸.

(۲) تاريخ الطبرى ۴/ ۳۰۱.

(۳) المصدر ۲/ ۳۰۴.

الطبرى وغيره- فقال له: «قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية» «۱».

وما التقى فى الطريق بأحد إلّاالتمسه على الرجوع إشفاقاً عليه من لؤم بنى أمية وغدر أهل العراق، وما كان ليخفى عليه ما ظهر لأغلب الناس، لكنه وهؤلاء كما قيل: - أنت بوادٍ والعذول بوادى.

ما نزل- بأبى وأمى- منزلًا ولا ارتحل منه- كما فى الإرشاد وغيره- إلّا ذكر يحيى بن زكريا وقتله.

وقال يوماً:

«من هوان الدنيا على اللّه إنّ رأس يحيى بن زكريا أُهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل» «۲».

فهل تراه أراد بهذا غير الإشارة إلى أن سبيله فى هذا الوجه إنما هو سبيل يحيى عليهما السلام؟

وأخبره الأسديان وهو نازل فى الثعلبية- كما فى تاريخ الطبرى «۳» وغيره- بقتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، وأنهما يجرّان بأرجلهما فى الأسواق بلا نكير.

فهل يُمكن بعد هذا أن يبقى له أمل بنصرة أهل الكوفة، أو طمع فى

(۱) تاريخ الطبرى ۴/ ۲۹۰.

(۲) مثير الأحزان، لابن نما الحلى: ۲۹، ط الحيدرية النجف ۱۹۵۰ م.

(۳) تاريخ الطبرى ۴/ ۲۸۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳۵

شىء من خيرهم؟؟. واللَّه ما جاءهم إلّايائساً منهم عالماً بكلّ ما كان منهم عليه.

وقد كتب وهو نازل بزبالة كتاباً قُرِأ بأمره على الناس وفيه:

«بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم: أما بعد، فإنه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبداللَّه بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمَن أحبَّ منكم الإنصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام» «۱».

قال محمّد بن جرير الطبرى- فى تاريخ الأمم والملوك-: «فتفرق الناس عنه تفرّقاً، فأخذوا يميناً وشمالًا حتى بقى فى أصحابه الذين جاؤا معه من المدينة» قال: «وإنّما فعل ذلك لأنّه ظنّ إنّما اتبعه الأعراب؛ لأنهم ظنوا أنّه يأتى بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون» قال: «وقد علم أنهم إذا بيّن لهم لم يصحبه إلّا من يريد مواساته والموت معه» «۲».

وذكر أهل الأخبار: أنّ الطرماح بن عدى لما اجتمع به فى عذيب الهجانات دنا منه فقال له- كما فى تاريخ الطبرى وغيره-: «واللَّه إنى لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلّاهؤلاء الذين أراهم

(۱) تاريخ الطبرى ۴/ ۳۰۰.

(۲) المصدر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳۶

ملازميك- يعنى الحر «۱» وأصحابه- لكان كفى بهم. وقد رأيت قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس ما لم تر عيناى فى صعيد واحد جمعاً أكثر منه فسألت عنهم فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحوا إلى حرب الحسين، فأنشدك اللَّه إنْ قدرت أن لا تقدم عليهم شبراً إلّافعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك اللَّه به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذى يدعى «أجاء» امتنعنا- واللَّه- به من ملوك غسان وحمير ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، واللَّه ما دخل علينا فيه ذل قط، فأسير معك حتى أنزلك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن ب «أجاء» و «سلمى» من طىء، فواللَّه لا يأتى عليك عشرة أيام حتى تأتيك طىء رجالًا وركباناً، ثم أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك بأسيافهم، واللَّه لا يوصل إليك أبداً ومنهم عين تطرف».

فقال له: «جزاك اللَّه وقومك خيراً» «۲»

. وأبى أن ينصرف عن مقصده.

(۱) أنظر: هامش ص ۶۲ تجد ما يعجبك من الحر رحمه اللَّه ولا يخلو من دقة وإناقة. (الميلانى).

(۲) مقتل الحسين، لأبى مخنف: ۸۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۳۷

وأنت تعلم أنّه لو كان له رغبة فى غلبة أو ميل إلى سلطان، لكان لكلام الطرماح وقع فى نفسه عليه السّلام ولظهر منه الميل إلى ما عرضه عليه، لكنه- بأبى وأمى- أبى إلّاالفوز بالشهادة، والموت فى إحياء دين الإسلام، وقد صرّح بذلك فيما تمثل به إذ قال له الحر:

«أذكرك اللَّه فى نفسك فإنى أشهد لئن قاتلت لتقتلنّ». فقال (عليه السّلام) كما فى تاريخ الطبرى وغيره:

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرماً «۱»

وحسبك فى إثبات علمه من أول الأمر بما انتهت إليه حاله: ما سمعته من إخبار النبى صلّى اللَّه عليه وآله بقتله فى شاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء، وبكائه عليه، ونداء أميرالمؤمنين عليه السّلام لما حاذى نينوى وهو منصرف إلى صفين:

«صبراً أبا عبداللَّه، صبراً أبا عبداللَّه بشاطىء الفرات» «۲».

---

(۱) روضة الواعظين ۱۷۹ ط قم بحار الانوار ۴۴/ ۳۷۹ مقتل أبى مخنف ۸۷.

(۲) تقدم تخريجه

وقوله إذ مرّ بكربلاء:

«هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم» «۱».

وقول الحسين عليه السّلام لأخيه عمر:

«حدثنى أبى أن رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله) أخبره بقتله وقتلى، وإن تربتى تكون بقرب تربته» «۲».

وقول الحسن للحسين عليهما السلام كما فى أمالى الصدوق وغيرهما من جملة كلام كان بينهما:

«ولكن لا- يوم كيومك «۳» يا أبا عبداللَّه يزدلف إليك ثلاثون الف رجل، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبى ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها يحل اللَّه ببنى أمية اللعنة» «۴».

---

(۱) قرب الإسناد للحميرى: ۲۶ ح ۸۷، والبحار ۴۴/ ۲۵۸ ح ۸.

(۲) مرَّ تخريجه.

(۳) هذا مما علمه اللَّه تعالى- وقد أطلع أوليائه بعض ما خُفى على عباده- من الغيب قالهعند وفاته، وكان كما قال- سلام اللَّه عليه- حيث لم يأت- بعد فاجعة يوم عاشوراء- يوم يشابه يوم الحسين- روحى فداه- وقد مضت على تلك الرزية ثلاثة عشر قرناً، هذا وإنّ الأمور التى عدّها الحسن (عليه السّلام) لوقتها وحلَّ ما حلَّ على مستحقيه، وما أعد اللَّه من العذاب والنكال أشد وأخزى. (الميلانى).

(۴) الأمالى للصدوق: المجلس: ۲۴ ح ۳، المناقب لابن شهراشوب ۴/ ۸۶، ومثير الأحزان: ۲۳، والبحار ۴۵/ ۲۱۸.

إلى غير ذلك من الأخبار الدالة على أنّ قتل الحسين عليه السّلام كان معروفاً عند أهل البيت منذ أخبر اللَّه به نبيه صلّى اللَّه عليه وآله.

بل صريح أخبارنا أنّ ذلك مما أوحى إلى الأنبياء السابقين، وقد سمعت ما أشرنا إليه من بكائهم عليهم السلام.

ويظهر من بعض الأخبار أنّ قتل الحسين كان معروفاً عند جملة من الصحابة والتابعين حتى أنّهم ليعلمون أنّ قاتله عمر بن سعد، وحسبك ما نقله ابن الأثير حيث ذكر مقتل عمر بن سعد فى كامله عن عبداللَّه بن شريك قال: «أدرك أصحاب الأردية المعلّمة، وأصحاب البرانس السود من أصحاب السوارى، إذا مرّبهم عمر بن سعد قالوا: هذا قاتل الحسين وذلك قبل أن يقتله». قال: «وقال ابن سيرين: «قال على لعمر بن سعد:

«كيف أنت قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار، فتختار النار؟ «۱»» «۲».

---

(۱) تمتاز الإماميـة- الاـثنى عشـرية- عن غيرهم من الشـيعة والفرق الإسـلامية الأخرى باعترافهم- واعتقادهم- بأنّ للإمام عليه السّـلام الولايـة الكبرى (كشـعبة من الولايـة المطلقـة الإلهيـة) منحها البارى لهم إبقاءاً للنظام الدينى والتشـريعى والتكوينى العام وتسـتلزم هذه معرفة الإمام عليه السّـلام بأسـرار الكون ومشـتملاته، ودقائق الأمور ومختفياتها وحقائق الأشياء وما أودع فيها ووقوفه بسريرة الأشخاص وسـرائرهم، وما تحويه ضـمائرهم وعرفانه بالمسـتقبل وما يجرى فيه، وعلمه بما يكون إلّاما أخفاه اللّه عنهم والـذى خصه لذاته الربوبية جـلّ شأنهـا، ولنا على ما اخترناه- كليّه وجزئيّه، كبر أم صـغر (كما يصـطلحون)- أدلـة عقليـة مشـفوعة بنصوص الكتاب والسـنة سـهلة التناول لروّادها.

فعليه لا مانع- عند المحصّلين وطلاب ما قدمناه- من علم الحسن أو أخيه الحسين وأبيهما أمير المؤمنين عليهم السلام بما جرى عليهم أو غير ذلك، بل هو بالنسـبة إلى ما لـديهم- وما أحاطوا بعلمه بمشـية اللّه- ليس بشـىء، والـذى خاطب به الإمام عليه السّـلام عمر بن سعد من هذا القبيل، ولا غرابة.

وكم لعلى سـلام اللّه عليه من هـذا النوع والإخبار عن الحوادث الكونية المرتبطة بالخلفاء والأمراء والذى يتعلق ببعض الفرق الإسـلامية أو الامة والمجتمع والأفراد، ما أملاه الرواة، وأثبته المحدثون، والمؤرخون وملأ الموسوعات الضخمة!!

نعم هو كمـا قـال عليه الصـلاة والسـلام: - لولا آيـة فى كتاب اللّه لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامـة وهو قوله تعالى: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتابِ». فمن كلامه عليه السّـلام هـذا وغيره من الأدلـة، قالت الإماميـة ب (البداء) وبه امتازت أيضاً عن غيرها. (الميلانى).

(۲) كنز العمال ۱۳/ ۶۷۴ ح ۳۷۷۲۳، تاريخ مدينة دمشق ۴۵/ ۴۹، تهذيب الكمال للمزّى ۲۱/ ۳۵۹، رقم ۴۲۴۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۴۰

أترى الحسـين (عليه السّـلام) كـان جاهلًا بمـا عليه أصـحاب السوارى؟ كلّا واللّه، ما علم أصـحاب البرانس السود ذلك إلّامنه، أو من أخيه، أو من جدّه، أو من أبيه.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۴۱

وقـد أطلنا الكلام فى هـذا المقام، إذ لم نجـد مَن وفاه حقه، وخرج من عهـدة التكليف بإيضاحه، والحمـد للّه على التوفيق لتحرير هذه المسألـة، وتقرير شواهـدها وأدلتهـا، على وجه تركن النفس إليه، ولا يجـد المنصف بـدّاً من البناء عليه، بل لا أظن أحـداً يقف على ما تلوناه ثم يرتاب فيما قررناه. والآن نشرع فى الكتاب متوكلين على اللّه عزّوجلّ وقد جعلناه أربعة أجزاء.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۲، ص: ۱۴۲

المحتويات ... ص: ۱۴۲

الكتاب القادم:

تفسير

سورتى

الجمعة والتغابن

للمرجع الكبير آية اللّه العظمى

السيّد محمّد هادى الحسينى الميلانى

علّق عليه نجله العلامة الحجة

السيّد محمّد على الحسينى الميلانى

تفسير سورتى الجمعة والتغابن(۳)

كلمة المركز ... ص: ۵

الحمد للّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فقد قرّر المركز تشكيل لجنةٍ تقوم- بإشراف وتوجيه من سيّدنا الفقيه المحقّق آية اللّه السيد على الميلانى- دام ظلّه- بنقد بعض البحوث المنتشرة من المعاصرين وتحقيق بعض الكتب التراثيّة الصغيرة فى الحجم والكبيرة فى الفائدة، فى مختلف العلوم والمسائل الاسلاميّة، وإخراجها فى سلسلة تحت عنوان (سلسلة النقد والتحقيق) خدمةً للعلم والدين، وإحقاقاً للحق المبين، وإحياءً لآثار العلماء المحقّقين، وتوفيراً للمصادر النافعة للباحثين، سائلين المولى الكريم المفضال أن يتقبّل منّا هذا العمل وسائر الأعمال.

مركز الحقائق الإسلامية

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷

كلمة لجنة النقد والتحقيق ... ص: ۷

هذا هو العدد الثالث من (سلسلة النقد والتحقيق) ارتأينا نشره بمراجعة مصادره المعتمدة فى المتن والهوامش، وتصحيحه وتنظيمه من جديد.

وإنما وقع اختيارنا على هذا الكتاب لامور:

الأول: إنه تفسيرٌ للقرآن الكريم، فإنه وإنْ كان تفسيراً لسورتين فقط، لكنّه على صغره فى الحجم فيه البحث ولو بإيجاز أو الاشارة إلى قضايا مهمّة فى الدين فى اصوله وفروعه.

الثانى: كونه من إفادات فقيه من كبار فقهاء الطّائفة وأحد المراجع العظام ... فى محاضرات ألقاها على ثلّةٍ من الأفاضل من الحوزة العلمية بمدينة كربلاء المقدّسة حيث نزل بها فترةً من الزمن.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸

الثالث: إنه يظهر لمن يقارن هذا التفسير الوجيز بتفسير السورتين فى أغلب التفاسير من الخاصّة والعامّة تفوّقه عليها من حيث التحقيق فى ألفاظ الآيات المباركة والتدبّر فى زكاتها والشموليّة للمعانى المختلفة والدقائق الحكميّة والأدبيّة وغيرها.

هذا، وقد طبع هذا الكتاب للمرّة الاولى مع فوائد أضافها فى الهوامش سماحة العلامة الحجة الحاج السيد محمّد على الميلانى دامت بركاته.

هذا، ولا يخفى أنّا لم نضف على الهوامش شيئاً، كما أنّ ما يجده القارئ من الاختلاف فى الاسلوب فى السّورتين، فسببه أنّ مقرّر سورة التغابن غير مقرّر سورة الجمعة من تلامذة سماحة السيد قدّس سرّه.

وقد عنى بتحقيق الكتاب فى هذه الطبعة بمراجعة المصادر وتطبيق النصوص بقدر الإمكان، حضرة الفاضل السيد محمّد المرعشى حفظه اللّه.

لجنة النقد والتحقيق

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹

مقدّمة الطبعة الأولى ... ص: ۹

الحمد للّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين.

يحتلّ التّفسير مكانةً ساميةً بين العلوم الإسلاميّة، وذلك لأنّ أهميّة كلّ علم بأهميّة موضوعه، وإذ كان موضوع علم التّفسير: هو القرآن الكريم، معجزة السّماء الخالدة، يدور حوله ليستجلى غوامضه ويزيل مكامن الخفاء فيه، صار من أجلّ العلوم الإسلاميّة وأولاها بالعناية والإهتمام.

هذا، وقد صرف علماؤنا الأبرار جهوداً ضخمة فى حقل التفسير، وصدرت من رشحات أقلامهم المجلّدات الضخمة والدورات المفصّلة بهذا الشأن، جزاهم اللّه عن كتابه خيراً.

وإذ كان التخصص فى الفقه وأصوله يستوعب أكثر وقت الفقيه،

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰

وذلك فى سبيل استقصاء أدلّة الأحكام وتمحيصها، ومناقشة الآراء والنظريات الفقهيّة فى المسألة الواحدة، واستفراغ الوسع لاستنباط الحكم الشّرعى من أدلّته التّفصيليّة، فقد كرّس الفقهاء جلّ نشاطهم لتحقيق هذا الجانب من العلوم الإسلامية. على أنّهم لم يغفلوا عن سائر تلك العلوم.

ولقد برز سيّدنا الوالد تغمّده اللّه من بين فقهاء الإماميّة فى العصر الحاضر- بشهادة القريب والبعيد- متّسماً بسعة الأفق، وأصالة الرؤية، والدّقة فى التحقيق ... ممّا جعله يُشار إليه بالبنان فى الحوزات العلمية أيّدها اللّه ورعاها.. ولم يكن (قدّس اللّه نفسه الزّكية) محقّقاً بارعاً ومجتهداً بصيراً فى الفقه والأصول فقط، بل كانت له اليد الطولى فى الفلسفة وعلم الكلام والتفسير وعلم الأخلاق وسائر العلوم الإسلاميّة.

وإذ هاجر (قدّس سرّه) لأسباب صحية من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة، ولبّى رغبة العلماء والفضلاء فى الإقامة ببلدة سيّد الشّهداء عليه السّلام، بدأ بتدريس البحث الخارج فى الفقه والأصول، لكن هذا لم يرو ظمأ طلّاب العلم وروّاد المعرفة فى تلك الحوزة المقدّسة، فراحوا يطلبون منه درساً فى التفسير وعلم الكلام أيضاً.

بناءً على ذلك، فقد قام سيّدنا الوالد (قدّس سرّه) بتدريس هذين العلمين فى كربلاء المقدّسة بين عامى ۱۳۶۰ و ۱۳۷۲ الهجريين، وقد كان الأفاضل من ملازمى بحثه وطلّابه، يكتبون تلك الأبحاث ثمّ يقرأونها عليه. وربما أبدى عليها ملاحظاته وأجرى عليها بعض التعديلات.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱

والكتاب الذى بين يديك نموذج من تلك الكتابات التى دوّنها بعض الفضلاء من تلامذة السيّد الوالد من مجلس بحثه الشريف، فى تلك الفترة.

وإذ هاجر السيّد الوالد الى مشهد المقدّسة عام ۱۳۷۳ لغرض زيارة الإمام الرّضا عليه آلاف التّحية والثّناء، حال العلماء والفضلاء فى مشهد دون عودته إلى كربلاء، واستجاب لرغبتهم فى حطّ رحاله بهذه البلدة المقدّسة. فراح يلقى أبحاثه العالية فى الفقه والأصول على رواد التحقيق والبحث الخارج...

إلى أن فاضت روحه الطّاهرة إلى بارئها فى رجب ۱۳۹۵ هجرية، ودُفن فى المرقد الرضوى المطهّر، فى المكان الذى يسمى ب (دار الفيض).

فيما يتعلق بالأبحاث الأصوليّة التى دوّنها السيد الوالد وناولها إلى خواص تلاميذه، لم يصل بيد الأسرة إلّاأجزاء مبعثرة، وأمّا فيما يتعلق بالأبحاث الفقهية فقد استطاع ابن أخى حجة الاسلام السيد الفاضل الميلانى من تنظيم مجموعة منها عن طريق الأشرطة المسجلة ومذكرات السيد نفسه، وتحقيقها.

وقد وفّقه اللّه إلى طبع أبواب الزكاة والخمس وصلاة المسافر فى أربعة أجزاء، وأمّا كتاب البيع فهو تحت الطبع.

ومساهمةً منّى فى إحياء هذا التراث ونشره إلى الملأ العلمى، فقد قمت باختيار مائة وعشر أسئلة من مجموعة سبع دفاتر، حاوية لشتات

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲

المسائل المستفتاة من السيّد الوالد، وراعيت فى الإختيار أن تكون المسائل غير فقهية فى الغالب، بل تتعلق بالعقائد، والحكمة فى التشريع، والجذور المذهبية، وقد أضفت إليها بعض التحقيقات والتعليقات النافعة إكمالا للفائدة، وقدمتها للطبع.

وإذ فرغت من المشروع الأوّل فكرت فى تنقيح تفسير سورتى الجمعة والتغابن، فأعدت النظر فى ذلك، وأضفت إليه بعض التحقيقات النافعة والتعليقات المفيدة، حتّى خرج بهذا الشكل الذى يجده القارىء، وأنا أقدم هذا المجهود هدية متواضعة إلى اعتاب سيّدنا الإمام الحجّة المهدىّ المنتظر عجّل اللَّه فرجه، راجياً تفضّله بالقبول.

وأعود فأوجه ندائى إلى الفضلاء الذين يحتفظون عندهم ببعض الآثار العلمية للسيّد الوالد، كى يتفضّلوا علينا بالمساهمة والمؤازرة فى نشر تلك الآثار، خدمة للعلم والدّين.

وفى الختام أنوّه بدور ابن أخى العلّامة المفضال السيّد علىّ الميلانى، حيث كان يرغب القيام بتحقيق هاتين السورتين وطبعهما، جزاه اللَّه عن عمّه خير الجزاء.

أخذ اللَّه بأيدى العاملين لخدمة الدّين الحنيف ونشر علوم أهل البيت عليهم السّلام، ووفّقنا لمرضاته، إنّه سميع مجيب.

مشهد المقدّسة

۱۳ رجب ۱۴۰۱ هجريّة

السيّد محمّد علىّ الميلانى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵

تفسير سورة الجمعة ... ص: ۱۵

سورة الجمعة ... ص: ۱۵

[۱]»

[۱] سورة الجمعة مدنيّة، نزلت بعد الصّف- كما فى مصحف الإمام الصّادق عليه السّلام- قيل السنة الخامسة من الهجرة، من المسبّحات «۱».

وقال صدر المتألهين: «سورة الجمعة مشتملة على أمّهات المقاصد الإيمانيّة، محتوية على أصول الحقائق العرفانيّة، من معرفة اللَّه سبحانه، وحقيقة المبدأ والمعاد، وكيفيّة البعث والإرسال، والتعليم والإنزال، وماهيّة الكتاب والرّسول، والهداية للعقول» «۲».

---

(۱) الإتقان للسيوطى: ۱۳، وتاريخ القرآن للزنجانى: ۵۶، والتفسير الحديث: محمّد عزة دروزة ۷/ ۲۷۷، وتاريخ قرآن راميار: ۲۵۰.

(۲) تفسير صدر المتألهين ۷/ ۱۴۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۶

«بِسْمِ اللَّهِ الرّحمنِ الرّحيم [۱]»

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِى السَّماواتِ وَما فِى الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

الحمد للَّه الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا اللَّه، والصّلوة والسّلام على الصّادع بالرّسالة الموحى إليه بالقرآن الكريم محمّدٍ خاتم النّبيين وآله الطيّبين الطّاهرين.

وبعد: فهذا جزء من المعارف الإلهيّة فى تفسير سورة الجمعة، قال عزّ من قائل «يُسَبِّحُ» [۲] هذا هو التّسبيح التّكوينى، أى أنّها

[۱] عن عبداللَّه بن سنان قال: «سألت أبا عبداللَّه عن تفسير بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم، قال عليه السّلام: الباء بهاء اللَّه، والسّين سناء اللَّه، والميم مجد اللَّه- وروى بعضهم: الميم ملك اللَّه- واللَّه إله كلّ شيء، الرّحمن بجميع خلقه، والرّحيم بالمؤمنين خاصّة» «۱».

[۲] قال المحدّث القمى: «إنّ جميع المصنوعات والممكنات بصفاتها ولوازمها وآثارها، دالّة على صانعها وبارئها ومصوّرها، وعلمه وحكمته شاهدة بتنزّهه عن صفاتها المستلزمة للعجز والنّقصان، مطيعة لربّها فيما خلقها له وأمرها من مصالح عالم الكون، موجّهة إلى ما خلقت

---

(۱) أصول الكافى ۱/ ۸۹، باب معانى الأسماء واشتقاقها.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷

تسبّح بذواتها ووجوداتها، فإنّ معنى التّسبيح: التّنزيه، والأشياء كلّها بذواتها منزّهة للَّه تعالى، تنزّهه عن الشريك، لأنّه لو كان له سبحانه شريك لما وجد شيء، أو وجد من كلّ شيء اثنان متماثلان بتمام التماثل وبجميع الخصوصيّات.

أمّا وجودها، فبالضرورة، وأمّا عدم المماثلة، فلأنّه بديهى، إذ بعد ملاحظة الأفراد من الجنس الواحد أو النوع الواحد كالتمرتين أو الحنطتين أو الحجرين أو الشّجرتين أو الحيوانين كشاتين وفرسين وإنسانين، وغيرها من سائر المخلوقات، يرى المايز بينهما وعدم المماثلة من جميع الجهات، وهذا لا يختص بزمان دون زمان، ومكان دون مكان، فإن جزئياً، كزيد المعيّن من جميع الجهات بعد التأمل فى وجوده بعد إن لم يكن، يدلّ على أنّ له موجداً وأنّه واحد.

له، فسكون الأرض خدمتها وتسبيحها، وصرير الماء وجريه تسبيحه وطاعته، وقيام الأشجار والنباتات ونموّها، وجرى الرّياح وأصواتها، وهذه الأبنية وسقوطها، وتحريق النّار ولهيبها، وأصوات الصواعق، وإضائة البروق، وجلاجل الرعود، وجرى الطيور فى الجوّ ونغماتها، كلّها طاعة لخالقها وسجدة وتسبيح وتنزيهٌ له سبحانه» «۱».

---

(۱) سفينة البحار ۱/ ۵۹۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۸

أمّا الأوّل، فواضح.

وأمّا الثانى، فإنّه لو صدر عن اثنين، فإن استقلّا فى التأثير فيه كاملًا، لزم تعدده مع أنّه واحد، وإن اشتركا، فلو أثّر كلّ فى بعضه لزم تركّب الوجود مع أنّه بسيط [۱]، ولو أثّر المجموع فيه بنحو كانا جزئى العلّة، لم يكن واحد منهما علّة تامّة، وذلك نقص فيهما. مضافاً إلى أنّه لا يخلو كونهما كذلك: إمّا لعدم القدرة، أو لمغلوبيّة كلّ للآخر المزاحم له، أو عبثا ... والكلّ باطل.

فكلّ موجود يدلّ على أنّ موجده واحد لا شريك له.

أمّا إثبات أنّ موجد كلّ طائفة من الممكنات عين موجد الأخرى، فهو بإجراء ما تقدّم، من أنّه لولا ذلك، فاختصاص كلّ بما خلق: إمّا لعدم تمكّنه من غيره، أو لمغلوبيّته للآخر، أو عبثاً وبخلًا عن إصدار الفيض ... والكلّ باطل، وجميع ذلك مستحيل. وعليه، يجب أن يفيض كلّ منهما فى كلّ طائفة وفى كلّ موجود، فيلزم أن يكون كلّ ما يفرض واحداً اثنين، مع أنّه لا يوجد اثنان متماثلان فى جميع [۱] لما تقرّر فى محلّه من أنّه لا يوجد مفهوم أعمّ من الوجود حتى يكون جنساً له، وإذا لم يكن للوجود جنس، فليس له فصل، لأنّ الفصل يميّز بعض أفراد الجنس عن البعض الآخر، وقد فرض انتفاء الجنس عن الوجود. وكلّ ما ليس له جنس وفصل، فهو بسيط.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹

الخصوصيّات، بحيث لا يكون بينهما مائز أصلًا.

وكما أنّ جميع الموجودات تنزه اللَّه عن الشريك، فإنّها تنزّهه عن العجز، لأنّه لو كان عاجزاً لما تمكن من خلقها. وتنزّهه عن الجهل،

فإنّ وجودها يدلّ على علمه تعالى، حيث إن خلق شيء لا يكون بلا علم، كما قال عزّ من قائل «أَ لايَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» «۱»

فينفى عنه الجهل، وكذلك بالدلالة على كلّ محمدة ينفى ضدّها ونقيضها عنه سبحانه وتعالى فتنزّهه وتسبّحه. وبعبارة أخرى: إنّ كلّ ما يشاهد فى الممكنات من الصفات الوجودية، وكلّها محمودة وجميلة، مثل كونها ذوات حياة ومشيّة وسمع وبصر وإدراك وتدبير، إلى غير ذلك، يدلّ على ثبوتها بنحو أكمل وأتمّ وأعلى وأرفع لخالقها، إذ كلّ ذلك منه، والفاقد لشيءٍ لا يعقل أن يعطيه، وعليه، فإنّ جميع الموجودات تنزّهه وتسبّحه وتنفى عنه إضداد هذه الصفات ونقائضها، فالممكنات تثنى على خالقها وتحمده ابتداءً، وبوسيلة هذا الثناء والحمد تسبّحه، فالكلّ يسبّحونه بحمده بألسنتهم الوجودية [۱]،

[۱] قال على عليه السّلام: مُسْتَشْهِداً بكليّة الأجناس على ربوبيّته، وَبعَجْزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها

---

(۱) سورة الملك، الآية: ۱۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰

ويضيف بعضهم إلى ذلك التسبيح والتحميد بالألسنة الخارجية. ولمّا كان تسبيح المخلوقات لازم وجوداتها لا ينفك عنها، كما تقدّم من أنّ ذواتها مسبّحة للّه تعالى، أتى بالفعل المضارع الدال على الدوام والإستمرار، وفى إتيانه فى بعض الموارد بالفعل الماضى نكتة [۱] ستجيء فى محلّها إن شاء اللّه تعالى.

محيصٌ عن إدراكه، ولا- خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها، كفى بإتقان الصنع لها آية وبمركب الطّبع عليها دلالة، وبحدوث الفَطْر عليها قدمةً، وبأحكام الصّنعة لها عبرةً، فلا إليه حدّ منسوبٌ ولا له مثل مضروبٌ ولا شيء عنه محجوبٌ، تعالى عن ضرب الأمثال والصّفات المخلوقة علوّاً كبيراً» «۱».

[۱] قال الفخر الرازى: أنّه تعالى قال فى البعض من السّور «سَبَّحَ لِلَّهِ» وفى البعض «يُسَبِّحُ لِلَّهِ» وفى البعض «سَبِّحْ» بصيغة الأمر، ليعلم أنّ تسبيح حضرة اللّه تعالى دائم غير منقطع، لما أنّ الماضى يدلّ عليه فى الماضى من الزّمان، والمستقبل يدلّ عليه فى المستقبل من الزمان، والأمر يدلّ عليه فى الحال «۲».

---

(۱) نهج السعادة ۳/ ۱۱.

(۲) تفسير الفخر الرازى ۲۹/ ۳۱۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱

«لِلَّهِ» [۱] قيل: إنّه علم للذات الواجب الوجود المستجمع

وقال صدر المتألهين: وإنّما قال مرّة «سبّح للّه» بصيغة الماضى، ومرّة «يسبّح للّه» بصيغة المضارع، ليكون تنبيهاً للنّاظر الخبير والأديب الأريب على دوام وقوع تنزيهه عن صفات الموجودات المتغيرات وعن سمات الممكنات الثابتات فيما سبق وفيما لحق، أى:

سَبَّحَ له سوابق الممكنات، ويسبّح له لواحق الكائنات ممّا فى الأرض والسماوات من جهة أسبابها وعللها السابقة وعوارضها ونتائجها اللّاحقة «۱».

[۱] قال شارح المواقف: إنّ اسم «اللّه» لفظ مخصوص، والمسمّى هو الذى وضع اللّفظ فى قباله والخلاف فى تعقّل كنه ذاته، ووضع الإسم لا- يتوقّف عليه، إذ يجوز أن يعقل ذات ما بوجه ما، ويوضع الإسم لخصوصيّة ويقصد تفهيمها باعتبار ما، لا بكنهها، ويكون ذلك الوجه مصحّحاً للوضع وخارجاً عن مفهوم الإسم، كما فى لفظ «اللّه» فإنّه اسم علم له موضوع لذاته من غير اعتبار معنى فيه «۲».

وقال الطريحى عن بعض المحقّقين: الأسماء بالنّسبة إلى ذاته

(۱) تفسير صدر المتألّهين ۷/ ۱۴۱.

(۲) لغتنامه دهخدا ۴/ ۲۴۸۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲

المقدّسة على أقسام ثلاثة:

الأوّل: ما يمنع اطلاقه عليه تعالى، وذلك كلّ اسم يدلّ على معنى يبجلّ العقل نسبته إلى ذاته الشريفة، كالأسماء الدالّة على الأمور الجسمانيّة أو ما هو مشتمل على النّقص.

الثّاني: ما يجوز عقلًا إطلاقه عليه، وورد فى الكتاب العزيز والسنّة الشريفة تسميته به، فذلك لا حرج فى تسميته به بل يجب امتثال الأمر الشرعى فى كيفيّة اطلاقه بحسب الأحوال والأوقات والتعبّدات إمّا وجوباً أو ندباً.

الثالث: ما يجوز اطلاقه عليه ولكن لم يرد ذلك فى الكتاب والسنّة، كالجوهر، فإنّ أحد معانيه كون الشيء قائماً بذاته غير مفتقر إلى غيره، وهذا المعنى ثابت له تعالى، فيجوز تسميته به، إذ لا مانع فى العقل من ذلك، لكنّه ليس من الأدب، لأنّه وإن كان جائزاً عقلًا ولم يمنع منه مانع، لكنّه جاز أن لا يناسبه من جهة أخرى لا نعلمها، إذ العقل لم يطّلع على كافّة ما يمكن أن يكون معلوماً، فإنّ كثيراً من الأشياء لا نعلمها إجمالًا ولا تفصيلًا، وإذا جاز عدم المناسبة ولا ضرورة داعية إلى التسمية، فيجب الإمتناع من جميع ما لم يرد به نصّ شرعى من الأسماء،

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۳

لجميع الصفات الكمالية، وقيل: علم جنس منحصر فى واحد، ولما كان معناه على القولين الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية [۱]، كان مستحقّاً لأن يسبّحه:

«ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ» من المجردات والماديات

وهذا قول العلماء إنّ أسماءه تعالى توقيفية، يعنى موقوفة على النّص والإذن فى الإطلاق «۱».

وفى الكافى عن الحسن بن راشد، عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام قال: «سئل عن معنى «اللَّه» فقال عليه السّلام: استولى على ما دقّ وجلّ (وهو استيلاؤها على دقيق الأشياء وجليلها) «۲».

[۱] قال السيّد المدنى: «اللَّه» أصله أَلَهَ حُذف الهمزة وعوّض منها حرف التعريف، ثمّ جعل علماً للذّات المقدّسة الجامعة لصفات الكمال، وزعم بعض أنّه إسم جنس موضوع لمفهوم الواجب الوجود لذاته، المستحق للعبودية، وكلّ منها كلّى انحصر فى فرد «۳».

(۱) مجمع البحرين كلمة (سما).

(۲) أصول الكافى ۱/ ۸۹، باب معانى الأسماء واشتقاقها.

(۳) الحدائق النديّة فى شرح الصمديّة: ۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۴

والجواهر والأعراض والنامى وغيرها [۱]. والمراد بالسموات، الجهات العليا، وبالأرض، الجهات السفلى، ليشمل السماء والأرض، أو المراد بهما المصطلحان ويشملهما الحكم أيضا بالدلالة العرفية، كقولك: ما فى البلد للسلطان، فإنّه يشمل نفس البلد أيضاً.

تكملة:

قد ظهر ممّا ذكر أنّ تسبيح الممكنات، هو بجهاتها الوجودية التى تكون بها حامدة ومادحة لبارئها، فإنّ الفعل الجميل بنفس وجوده يعرّف جمال الفاعل ويحمده، مثلًا: إذا رأيت صنعاً دقيقاً، فهو يدلّك على مهارة صانعه ويرشدك إلى كماله، فكما أنّ الفاعل

[۱] عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: «لو اجتمع أهل السماء والأرض أن يصفوا اللَّه بعظمته لم يقدروا» «۱».

قال الطنطاوى: كلّ شىءٍ فى السموات والأرض إذا نظرت إليه، دلّت على وحدانيّة خالقه وعلى تنزيهه وجميع الأشياء مسخّرة له مقهورة، فالتّسبيح إمّا دلالة للعقلاء وإمّا حصول الآثار فى الأشياء المسخّرة للَّه تعالى «۲».

---

(۱) الكافى: ۱/ ۷۹.

(۲) تفسير الجواهر ۲۴/ ۱۷۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۵

يحمد نفسه بإيجاد فعله الجميل- ولذا نقول: أنّه سبحانه وتعالى أوّل حامد لنفسه، حيث أنّه تبارك وتعالى أوجد الكائنات المحفوفة باللطائف والدقائق التى لا تحصى- كذلك الموجودات تحمده وتمدحه، وتعرّف علمه وقدرته وحكمته وربوبيّته واستجماعه لجميع صفات الكمال والجمال [۱]، وفى أثر هذا الحمد تسبّحه وتقدّسه وتنزّهه عن صفات النقص وتجلّه عنها. ومن هنا تبيّن معنى قوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» «۱»

أى متلبّساً بالحمد، يكون مسبّحاً. ثمّ إنّ ما ذكرنا كلّه راجع إلى الموجودات بما لها من اللّسان التكوينى، بل الموجود هو بكلّه لسان لا أنّ لسانه جزء منه.

وربما يقال: إنّ جميع الموجودات حتّى الذرات لها جهة شعور وإدراك ولها ألسنة تناسبها، فإن كان الأمر كذلك، إجتمع هناك تسبيحان، كما هو كذلك فى المسبّح من الإنسان، فإنّه يسبّح بلسان الحال والقال.

[۱] قال المظفّر: عقيدتنا فى صفاته تعالى: ونعتقد أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكماليّة التى تسمّى بصفات الجمال والكمال، كالعلم والقدرة والغنىّ والإرادة والحياة- وهى كلّها عين ذاته ليست هى

---

(۱) سورة الإسراء، الآية: ۴۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۶

صفات زائدة عليها، وليس وجودها إلّاوجود الذّات، فقدرته من حيث

الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هو حىّ، وحىّ من حيث هو قادر، لا اثنينية فى صفاته ووجودها، وهكذا الحال فى سائر صفاته الكمالية، نعم هى مختلفة فى معانيها ومفاهيمها لا فى حقائقها ووجوداتها، لأنّه لو كانت مختلفة فى الوجود وهى بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات، لزم تعدّد واجب الوجود ولانثلمت الوحدة الحقيقية، وهذا ما ينافى عقيدة التوحيد. وأمّا الصفات الثبوتية الإضافية كالخالقيّة والرازقيّة والتقدّم والعليّة، فهى ترجع فى حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية، وهى القيوميّة لمخلوقاته، وهى صفة واحدة تنتزع منها عدّة صفات باعتبار اختلاف الآثار والملاحظات. وأمّا الصفات السلبيّة التى تسمّى بصفات الجلال فهى ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الإمكان عنه، فإن سلب الإمكان لازمه بل معناه سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون والثقل والخفّة وما إلى ذلك، بل سلب كلّ نقص، ثمّ إنّ مرجع سلب الإمكان فى الحقيقة إلى وجوب الوجود، ووجوب الوجود من الصّفات الثبوتية الكمالية، فترجع الصفات الجلالية (السلبيّة) آخر الأمر إلى الصفات الكمالية (الثبوتية) واللَّه تعالى واحد من جميع الجهات لا تكثر فى ذاته المقدسة ولا تركيب فى حقيقة

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۷

«الْمَلِكِ» [۱] أى السلطان المطلق للعالم العلوى وما فيه، من الملك والكواكب والشمس والقمر وغيرها، والعالم السفلى وما اشتمل عليه من الإنس والجنّ والشياطين وما سواها، وما فوقهما وما تحتهما.

الواحد الصّمد «۱».

[۱] قال الشيخ الطّوسى قدّس سرّه: «الملك» يعنى المالك للأشياء كلّها، ليس لأحد منعه منها، «القدوّس» المستحق للتعظيم بتطهير صفاته من كلّ صفة نقصٍ، «العزيز» معناه القادر الذى لا يقهر ولا يغلب، «الحكيم» فى جميع أفعاله «۲».

وقال الفخر الرازى: «الملك» إشارة إلى إثبات ما يكون من الصفات العالية ولفظ «القدّوس» هو إشارة إلى نفى ما لا يكون منها، وعن الغزالى (القدّوس) المنزّه عمّا يخطر ببال أوليائه» إلى أن قال «الثانى القدّوس من الصّفات السلبيّة، وقيل: معناه المبارك «۳».

وقال العلّامة الطباطبائى: التسبيح تنزيه الشىء، ونسبته إلى

---

(۱) عقائد الإماميّة: ۱۶.

(۲) التبيان فى تفسير القرآن ۱۰/ ۳- ۴.

(۳) مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير للفخر الرازى ۳۰/ ۵۳۷.

واختص هذا الوصف وما بعده بالذكر، لأنّ تسبيح الأشياء له تعالى بها أظهر، كما لا يبعد ذلك.

«الْقُدُّوسِ» أىالمنزّه غاية التنزه حتى عن الإحتياج إلى المؤثّر، فإنّ غيره وإن كان مجرّداً عن عالم المادة بتوابعها، وعن الجسمية ولوازمها، لكنّه مع ذلك لا- غناء له عن كثير من الحاجات، ولا أقلّ ممّا تستلزمه جهة إمكانه، فالمنزّه عن جميع الجهات ليس إلّا هو جلّ وعزّ.

«الْعَزِيزِ» العزّة لا تحصل لشىءٍ إلّابأمرين: قلّة وجوده، واحتياج الغير إليه ليستفيد منه، فالكثير وجوده وإن احتاج الكلّ إليه ليس عزيزاً، كما ترى فى الماء والهواء، فكلاهما من المحتاج إليهما غاية الإحتياج، لكن كثرتهما سبب لعدم عزّتهما، وكذلك غير المحتاج إليه وما لا فائدة يعتد بها فيه، وإن قلّ وجوده غاية القلّة حتى

الطهارة والنزاهة من العيوب والنقائص، والتعبير بالمضارع للدلالة على الإستمرار، و «الملك» هو الإختصاص بالحكم فى نظام المجتمع، و «القدوس» مبالغة فى القدس وهو النّزاهة والطهارة، و «العزيز» هو الذى لا يغلبه غالب، و (الحكيم) هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف «۱».

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۲۶۳.

انحصر فى فرد، كما هو واضح.

وهو سبحانه فرد متفرّد لا- ندّ له، محتاج إليه غاية الإحتياج، فإنّ الأشياء كلّها فى الآنات جميعها محتاجة إليه، فهو تعالى عزيز بقول مطلق، وعزّة ما سواه حاصلة منه، كما هو ظاهر.

«الْحَكِيمِ» ذو الحكمة البالغة الكاملة، وهو العالم بالأشياء وترتيبها وتنظيمها على أحسن وجه وأكمل ترتيب، فإنّ الحكمة- كما تحقّق فى محلّه- نظريّة وعمليّة، والحكيم المطلق هو الحائز لهما، فيعلم ما ينبغى أن يعلم، ويعمل ما ينبغى أن يعمل، وهو سبحانه وتعالى عالمٌ بتدبير الأمور فى الكائنات من السّموات والأرضين وما بينهنّ وما فوقهنّ وما تحتهنّ، وجاعلٌ لها على أحسن ما يكون وأتمّ ما يتصوّر. وبهذا تبيّن الوجه فى قوله عزّ من قائل (الحكيم) دون العليم والقدير، إذ الحكمة المطلقة تستلزم العلم والقدرة دون العكس، ومن شؤن هذه الحكمة بعث الرّسل، كما سنذكره.

واعلم أنّ تنزيه الأشياء- بالمعنى المتقدّم فى قوله «يسبّح للّه» تعالى- بالملك والنّزاهة والعزّة والحكمة، أظهر وأوضح من تنزيهها له

تعالى ببعض صفاته الجلاليّة أو الجماليّة الخارجة عن هذه الصفات كما لا يخفى [۱]. أمّا مثل عدم التركيب (أعنى الواحديّة)

[۱] قال صدر المتألّهين فى الفرق بين صفات الذّات وصفات

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۰

الفعل: «كلّ ما هو صفة الذّات، فهو أزلى غير مقدور، وكلّ ما هو صفة الفعل، فهو ممكن مقدور، وبهذا يعرف الفرق بين الصفتين. فإذن نقول لمّا كان علمه تعالى بالأشياء ضروريّاً واجباً بالذّات، وعدم علمه بها محالًا ممتنعاً بالذّات، فلا يجوز أن يقال: يقدر أن يعلم ولا يقدر أن لا يعلم، لأنّ أحد الطرفين واجب بالذّات والآخر ممتنع بالذّات، ومصحّح المقدورية هو الإمكان، وكذا الكلام فى صفة الملك والعزّة والحكمة والجود والمغفرة والغفران وغيرها من صفات الذّات، كالعظمة والكبرياء والجلال والجمال والجبروت وأمثالها، وهذا بخلاف صفات الفعل، فإنّه يجوز أن يقال: أنّه يقدر أن يثيب ويعاقب، ويقدر أن لا يثيب ولا يعاقب، ويقدر أن يحيى ويقدر أن يميت، ويقدر أن يهدى ويقدر أن يضلّ، وهكذا فى سائر صفات الأفعال. فمن هذا السّبيل يعلم الفرق بين صفة الذّات وصفة الفعل» «۱».

وقال العلّامة الطباطبائى فى صفات الذّات والفعل: «وتحقّق أنّ وجوده صرف بسيط واحد بالوحدة الحقة، فليس فى ذاته تعدّد جهة، ولا تغاير حيثية، فكلّ كمال وجودى مفروض فيه عين ذاته، وعين

---

(۱) شرح أصول الكافى، كتاب التوحيد، باب الإرادة، ذيل الحديث السّابع.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۱

وعدم الشركة (أعنى الأحديّة) فظاهرٌ من الملكيّة المطلقة، فإنّ المالك المطلق لا يمكن أن يكون أكثر من واحد. بل يمكن أن يقال بأنّ الأوصاف الأربعة المذكورة فى الآية، مستلزمة لجميع الصفات الجماليّة والكمالية [۱]

الكمال الآخر المفروض له.

فالصفات الذّاتية التى للواجب بالذّات كثيرة مختلفة مفهوماً، واحدة عيناً ومصداقاً وهو المطلوب ... ولا ريب أنّ للواجب بالذّات، صفات فعليّة مضافة إلى غيره، كالخالق والرازق والمعطى والجواد والغفور والرّحيم إلى غير ذلك، وهى كثيرة جدّاً يجمعها القيّوم، ولمّا كانت مضافة إلى غيره تعالى، كانت متوقفة فى تحققها إلى تحقّق الغير المضاف إليه، وحيث كان كلّ غير مفروض معلوماً للذّات المتعالية، متأخّراً عنها، كانت الصّفة المتوقفة عليه متأخّرة عن الذّات، زائدة عليها، فهى منتزعة من مقام الفعل منسوبة إلى الذّات المتعالية» «۱».

[۱] وتسمّى فى عرف الكلاميّين بالصّفات الثبوتيّة والسّلبية أيضاً، أمّا الصّفات الثبوتيّة، فهى كالعلم والقدرة والحياة والإرادة وغيرها. وأمّا الصّفات السلبيّة الجلالية للّه تعالى، فهى الشريك والتركيب

---

(۱) نهاية الحكمة: ۲۵۱ و ۲۵۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۲

والإمكان والرؤية، والإحتياج إلى ما سواه، وامتناع القبح عليه، ونفى الجسميّة عنه، وعدم حلوله فى مكان، جلّ جلاله عن هذه الصّفات.

قال آية اللّه العظمى الشيخ محمد حسين الأصفهانى فى الصفات الثبوتيّة والسّلبية والجماليّة والكماليّة:

صفاته الكاملة العليّة إمّا ثبوتيّة أو سلبيّة

بها تجلّت لأولى الكمال مراتب الجلال والجمال

والحقّ ذو الجلال والإكرام بالإعتبارين بلا كلام

ثمّ الثبوتيّة من صفاته إمّا شؤون فعله أو ذاته

فما يكون من شؤون الذّات كالعلم والقدرة والحياة

هى الحقيقيّة عند الحكماء وتلك عين الذات أيضاً فاعلها

وما يكون من شؤون فعله فإنّهُ كخلقه وجعله

هى الإضافيّة وهى واحدة وهى على الذّات لديهم زائدة

لا توجب السّلوب كثرة ولا حدّاً لها وإن تكن بشرط لا

بل هى سلب مطلق النقصان كسلب الإفتقار والإمكان

كلّ كمال كان للموجود فثابت لواجب الوجود

وما يسمّى صفة الجمال لا شكّ أنّه من الكمال

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۳

ولهذا اختصّت بالذّكر، فَتَدبّرَ [۱].

ومثله فيه تعالى شأنه يكفيه فى وجوبه إمكانه

كيف ولا كمال للذّوات بلا وجود كامل بالذّات

[۱] أقول: هذه الصّفات غير الصّفات التى ذكرها أمير المؤمنين على عليه السلام، حيث قال: «أوّل الدّين معرفته، وكمال معرفته التّصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، فمن وصف اللَّه سُبحانه فَقَدْ قَرَنَهُ» «۱».

قال السيّد القزوينى الحائرى:

التوحيد على أربعة مراتب ۱- توحيد الذّات ۲- توحيد الصّفات ۳- توحيد الأفعال ۴- توحيد العبادة؛

والمقصود من التّوحيد هنا هو: توحيد الذّات أى يعتقد العبد إنّ اللَّه وحده لا شريك له، وتوحيد الصّفات هو: أنّ صفات اللَّه عين ذاته وذاته عين صفاته، وسيأتيك التّفصيل فى المستقبل القريب إن شاء اللَّه تعالى، وتوحيد الأفعال هو: إنّ اللَّه خلق الموجودات الأوليّة كالسّموات

---

(۱) نهج البلاغة، الخطبة ۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۴

والأرضين وغيرها بلا معين ولا آلة، وتوحيد العبادة هو: أن يعبد العبد ربّه خالصاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً، والقسم الأخير هو النّوع الكامل، كما قال عليه السّلام: «وكمال توحيده الإخلاص له»، وقيل: المقصود من الإخلاص، هو جعله خالصاً من النّقائص، كالجسم والعرض وما شاكل من النّقائص، فهذه المراتب الأربع كاملة بالنّسبة إلى ما قبلها، ناقصة بالنّسبة إلى ما بعدها، وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة، أشار عليه السّلام إلى توحيد الصّفات.

فنقول: كلّ موجود فى العالم موصوف بصفة من الصّفات، كالعلم، والحياة وغيرهما من ملايين الصّفات، فهناك فرق بين الصّفة والموصوف، مثلًا علم الإنسان غير الإنسان نفسه، أو حلاوة التّمر غير التّمر، فالصّفة غير الموصوف والموصوف غير الصّفة والفرق بينهما كثير، لأنّ الصّفة عرض والموصوف جوهر، لكن صفات اللَّه تعالى عين ذاته وذاته عين صفاته، وبعبارة أخرى: إنّ اللَّه وصفاته شىء واحد، لا فرق بينهما فى الوجود والحقيقة، وقد سبق فى كلامه عليه السّلام إنّه ليس لصفته حدّ محدود، فإذا كانت الصّفة عين

الذّات فكذلك الذّات

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۵

غير محدودة، وأدنى مراتب الإخلاص فى العبادة قصد القربة إلى اللّه تعالى، وعدم قصد الرّياء والسمعة، وأعلى مراتب الإخلاص نفى الصفات عن البارى جلّ وعلا، أى‌إذا أتى العبد بعمل خالصاً للّه، فكان يعتقد أنّ ربّه شيءٌ وصفته شيءٌ آخر فقد عبد إلهين اثنين، أحدهما الذات والآخر الصفة، ولكنّه إذا اعتقد توحيد الذات والصّفات كما تقدّم، فقد أخلص كمال الإخلاص، فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه، قد ذكر عليه السّلام فى أوائل الخطبة «ليس لصفته حدّ محدود».

ثمّ ذكر عليه السّلام (وكمال الإخلاص له نفى الصّفات عنه) فكيف الجمع بين هاتين العبارتين؟

فنقول: المقصود من الجملة الأولى إنّ صفة اللّه عين ذاته وذاته غير محدودة فصفته غير محدودة، والمقصود من نفى الصفات عنه، أى الصفات الزائدة على وجود الذّات ووجود الذّات غير وجودها كما تقدّم فى المثال بالإنسان والعلم، فمن وصف اللّه بتلك الصفات الزائدة على الذات، فقد قرنه بغيره أى‌قرن ذات اللّه بغير ذاته، مثلًا: إذا اعتقد أنّ علم اللّه كعلم الناس، أى‌إنّ اللّه شيء وعلمه شيء آخر، فقد جعله قرين علمه «۱».

---

(۱) شرح نهج البلاغة للسيّد محمّد كاظم القزوينى الحائرى ۱/ ۳۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۶

وقال السيد حبيب اللّه الخوئى: وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه أى‌الصفات التى وجودها غير وجود الذات، وإلّا فذاته بذاته مصداق لجميع النعوت الكماليّة والأوصاف الإلهيّة من دون قيام أمر زائد بذاته تعالى، فرض أنّه صفة كماليّة له، فعلمه وإرادته وقدرته وحياته وسمعه وبصره كلّها موجودة بوجود ذاته الأحديّة، مع أنّ مفهوماتها ومعانيها متخالفة، فإنّ كمال الحقيقة الوجودية فى جامعيّتها للمعانى الكثيرة الكماليّة مع وحدة الوجود «۱».

وقال العلّامة مغنية: لا يختلف اثنان من المسلمين فى أنّ اللّه سبحانه يوصف بكلّ ما وصف به نفسه فى كتابه العزيز، وإنّ عظمته فى الكمال والجلال كما هى، لا يحدّها وصف ولا يدركها عقل، وإنّها أزليّةٌ أبديّة تماماً كذاته القدسيّة ... وإنّما الكلام والخلاف فى أنّ الصّفات العليا بأىّ معنى تنسب إليه تعالى وتطلق عليه، هل تنسب إليه جلّت عظمته على أنّها شيء غير الذات وزائدة على كنهها وحقيقتها تماماً، كما هى الحال فى وصف الإنسان بالعلم، فإنّ حقيقة الإنسان حيوان ناطق، وحقيقة العلم الكشف عن الواقع، فإذا وصفنا الإنسان بالعلم فقد

---

(۱) منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة ۱/ ۳۲۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۷

وصفناه بما هو زائد وخارج عن ذاته وطبيعته، وإلّا كان الإنسان بما هو عالماً من غير كسب واستفادة وبحث ودرس، وهذا خلاف الحسّ والوجدان، هل وصف اللّه بالعلم وغيره كذلك وعلى هذا الحال، أو أنّ اللّه يوصف بالعلم والقدرة بمقتضى ذاته وحقيقته لا بشيء زائد عنها تماماً، كوصف الإنسان بالإنسانية والشجر بالشجرية.

وذهب أهل العدل إلى أنّه لا صفات لذات اللّه تزيد على ذاته، وإنّ وصفه بالعلم والقدرة تماماً، كوصف الإنسان بالإنسانية والشجر بالشجرية، لأنّ ذاته تعالى بما هى وبطبعها وحقيقتها تقتضى العلم والقدرة، بل هى عين العلم والقدرة، كما أنّ الإنسانية عين الإنسان، لأنّ كماله تعالى ذاتى لا كسبى، ومطلق غير مقيّد بشيء دون شيء، وجهة دون جهة، وأنّه بموجب هذا الكمال الذاتى المطلق غنىّ عن كلّ شيء يزيد على ذاته وكنهه ... ولماذا الزيادة؟ وما هو الداعى إليها ما دامت الذات القدسية كاملة بنفسها من كلّ الجهات؟

وهل نحتاج إلى الزائد لنكمل به الكامل، ونتمم التام؟ وعلى هذا، إذا أطلقت صفات الكمال عليه تعالى، كالعالم والقادر، فيجب أن يراد بها نفس الذات القدسيّة التى تقتضى القدرة والعلم، بل هى عين العلم والقدرة تماماً، كما يراد من

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۸

كلمة اللَّه وكلّ وصف جاء فى القرآن الكريم وعلى ألسنة الراسخين فى العلم، فإنّ المراد هذا المعنى بالخصوص.

أمّا الصفات المنفيّة عن ذاته تعالى فى كلام الإمام عليه السّلام، فهى الأحوال الخارجة عن الذات والزائدة عليها، وتعرض لها بسبب من الأسباب تنفى هذه عنه، لأنّها من صفات المخلوقين دون الخالق.

«وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه» أى نفى الصفات الخارجة عن الذات وطبيعتها، لا نفى الصفات التى هى عين الذات وحقيقتها، وإلّا فإنّ كلام الإمام عليه السّلام ملىء بصفات اللَّه سبحانه، بل هو هذا الكلام يصفه أكمل الوصف.

«لشهادة كل صفة أنّها غير الموصوف» وكلمة الصفة تدلّ بنفسها على نفسها، وإنّها من المعانى المضافة إلى الموصوف التابعة له وجوداً وعدماً، ومن البداهة إنّ التابع غير المتبوع، والمضاف غير المضاف إليه.

«وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة» لأنّه فى غنىً عنها وهى فى حاجة إليه، وإذن يستحيل نسبة الصفة إليه تعالى بمعناها الحقيقى وإلّا لزم تعدّد القديم، وتركيب الذات القدسية الواجبة الوجود ... وهذه هى الصفة التى يجب نفيها عنه تعالى توحيداً للكمال المطلق، وتنزيهاً لذاته

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۳۹

«هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ». «هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ» [۱].

عن كل شائبة، أمّا إذا أريد من الصفة مجرّد الإشارة إلى تفرّده تعالى فى الجلال والكمال، فجائز قطعاً، وراجح عقلًا وشرعاً، وإلّا فبأىّ شىء نتوسّل إليه تعالى ونثنى عليه؟ «۱»

[۱] قال علىّ عليه السّلام: إنّ اللَّه بعث محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعى نبوّة، فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم وأطمأنت صفاتهم «۲».

اللغة: بوأهم محلّتهم أنزلهم منزلتهم، القناة القوة والغلبة والدوالة (واطمأنت صفاتهم) إنّهم كانوا على حجر أملس متزلزل فاطمأنت أحوالهم فى مواطنهم.

وقال عليه السّلام: بعثه والناس ضلّال فى حيرة وخابطون فى فتنة، قد استهوتهم الأهواء واستزلّتهم الكبرياء واستخفّتهم الجاهليّة الجهلاء، حيارى فى زلزال من الأمر وبلاء من الجهل، فبالغ صلّى اللَّه

---

(۱) فى ظلال نهج البلاغة ۱/ ۲۰.

(۲) نهج البلاغة: الخطبة ۳۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۰

إعلم أنّه يقع الكلام فى هذه الآية من وجوهٍ خمسة:

الأوّل: إرتباط هذه الآية بالآية السابقة.

عليه وآله فى النّصيحة ومضى على الطريقة ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة «۱».

اللغة: (وخابطون) ضاربون فى البدع على غير نظام. و (استزلّتهم) أدت إلى الزلل والسقوط فى المضار. (واستخفتهم) طيشتهم (الجهلاء) وصف مبالغة للجهل.

وكذا دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فى قوله تعالى:

«رَبَّنا وَابْعَثْ فيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ» «۲».

وهو صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، الذى مُنّ على المؤمنين ببعثته فى فى قوله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» «۳».

---

(۱) نهج البلاغة: الخطبة ۹۵.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۱۲۹.

(۳) سورة آل عمران، الآية: ۱۶۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۱

الثانى: وجه البعث وسببه، وتحقيق معنى اللّطف.

الثالث: تحقيق معنى الأمىّ وما فيه.

الرابع: علّة البعث فى الأمّيّين دون غيرهم.

الخامس: سبب كون الرسول منهم دون غيرهم.

أمّا الوجه الأوّل: فيظهر بعد تحقيق الأمور الأربعة، وسنشير إليه إن شاء اللَّه تعالى بعد تحقيقها.

أمّا الوجه الثّانى: فَاعْلم أنّه قد ذكر فى وجه بعث الرّسل تفاصيل لا طائل تحتها، وسنذكر وجوهاً أربعة ممّا يمكن الإستدلال به على وجوب البعثة، بمعنى امتناع عدمه مختصراً مجملًا:

الأوّل: قاعدة اللّطف، ومعنى وجوبه إمتناع عدمه، لا الوجوب التشريعى [۱]، كما هو ظاهرٌ، والدليل على امتناع عدمه: لزوم خروج الإله لولاه عن الألوهيّة، والتالى باطلٌ بالضرورة، فالمقدّم مثله.

[۱] إرسال الرّسل ونصب الإمام واجبان على اللَّه من باب اللّطف، لأنّه أوجب على نفسه «كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» «۱» ، وهذا كقولنا العدل واجب على اللَّه، واللطف واجب على اللَّه، والرحمة واجبة على

---

(۱) سورة الأنعام، الآية: ۵۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۲

اللَّه، وأمثال ذلك هو بمعنى: امتناع الظّلم عليه وامتناع عدم اللّطف بيان الملازمة: أنّه لا ريب فى كون اللّطف من الصّفات الجماليّة الكماليّة، لحسنه المعلوم بالوجدان والمبرهن عليه فى الكتب الكلاميّة، فيلزم اتّصافه سبحانه به، وبعث الرّسل لطفٌ، لأنّ الرّسول هادٍ من الضّلالة، مرشدٌ للناس إلى مصالحهم الجسميّة والعقليّة والدنيويّة والأخرويّة، فلو لم يبعث الرّسل لم يكن لطيفاً، ولو لم يكن لطيفاً لم يكن جامعاً للصّفات الجماليّة [۱]، فيكون ناقصاً، والنّاقص لم يكن إلهاً، كما برهن فى محلّه، لأنّه هو الجامع للصّفات الكماليّة، فيلزم من عدم بعث الرّسل عدم كونه إلهاً.

وامتناع عدم الرّحمة، ولا يتوهّم من قولنا هذا واجب على اللَّه، إنّا نقصد الوجوب التشريعى، مثل قولنا الصّلاة واجبة على العباد.

[۱] قال الشيخ المفيد (قده): إنّ ما أوجبه أصحاب اللّطف (الإماميّة) من اللّطف، إنّما وجب من جهة الجود والكرم، لا من حيث ظنّوا (المعتزلة) أنّ العدل أوجبه وأنّه لو لم يفعله لكان ظالماً «۱».

وقال المظفّر: إنّما كان اللّطف من اللَّه تعالى واجباً، فلأنّ اللّطف بالعباد من كماله المطلق وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم، فإذا كان المحلّ قابلًا ومستعدّاً لفيض الجود واللّطف، فإنّه تعالى لا بدّ أن يفيض

(۱) أوائل المقالات: ۴/ ۵۹ من مصنّفات الشيخ المفيد.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۳

وأمّا ما يقال من عدم المنافاة بين اللّطف وعدم البعث، لعدم انحصاره فيه، فمردودٌ، بأنّ المراد من اللّطف هو اللّطف المطلق، فلو لم يبعث لم يكن لطيفاً بقولٍ مطلق [۱].

الثانى: أنّ بعث الرّسل واجب، وعدمه ممتنع، لأنّ علّة الإيجاد أى سبب خلق الخلق ليس إلّامعرفة اللّه جلّ شأنه، كما يدلّ عليه لطفه، إذ لا بخل فى ساحة رحمته ولا نقص فى جوده وكرمه، وليس معنى الوجوب هنا أنّ أحداً يأمره بذلك، فيجب عليه أن يطيع تعالى عن ذلك، بل معنى الوجوب فى ذلك هو كمعنى الوجوب فى قولك أنّه واجب الوجود أىاللزوم واستحالة الإنفكاك «۱».

[۱] قال السيد مهدى الصدر: قد تدارك اللّه عزّ وجلّ البشر بلطفه، وانقذهم من مآسى التسيب والطغيان، بأن اختار منهم رسلًا وأنبياء وحلاهم بأرفع وأكمل الخصائص والمآثر، ليكونوا قادة الفكر ودعاة الإصلاح ورواد الفضائل، وجعلهم من البشر بمنزلة العقل من الإنسان والنور من البصر والشمس من الكواكب يستهدون بهم فى متاهات الحياة ومسالكها المليئة بالأشواك والأخطار «۲».

(۱) عقائد الإمامية: ۵۱.

(۲) أصول العقائد فى النبوة ۲/ ۲۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۴

البرهان [۱]، والأخبار البالغة حدّ التواتر، والحديث القدسى [۲]، وقد فسّر بعض الآيات [۳] به، وهى أىمعرفة اللّه لا تحصل إلّابالبعث والإرسال، لأنّ العقول غير قابلة لمعرفته، لأنّ غاية ادراكها المعقولات المستفادة من المحسوسات، ومعرفته تعالى بما لها من المزايا الخاصّة هى المعقولة من جميع الوجوه، كما هو ظاهرٌ، وعليه أخبارٌ كثيرة، فلو لم يبعث لزم نقض الغرض، ولا شكّ فى قبحه، لأنّه

[۱] قال السيد مهدى الصدر: قد أرسل اللّه الأنبياء والمرسلين على الخلق مبشّرين ومنذرين عبر العصور السالفة، وابتعث كلّ فرد منهم بدستور يلائم وعى أمته وظرفها الخاص متدرجاً بدساتيره وشرائعه نحو التكامل، حتى أكملها وختمها بالإسلام الخالد المواكب لأطوار الحياة والملائم بجميع العصور والأجيال «۱».

[۲] «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن اعرف، فخلقت الخلق لأعرف» «۲».

[۳] قال تعالى: «ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ» «۳».

(۱) أصول العقائد فى النبوة ۲/ ۱۹.

(۲) شرح أصول الكافى: للشيخ محمّد صالح المازندرانى ۱/ ۱۰۶.

(۳) سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۵

ينشأ من البداء [۱] أو عدم القدرة، وكلاهما محالان فى حقّه تعالى، للزومهما النّقص، والنّاقص محتاج، والمحتاج ليس إلهاً.

[۱] «البداء: كسلام، له معنيان:

الأوّل: البداء بمعنى الظهور، بدا له فى الأمر، إذا ظهر له استصواب شىء غير الأوّل، وهو الظهور بعد الخفاء أو حصول العلم بعد أن لم يكن عالماً، مثلًا إذا قيل: بدا لفلان فى أمره، معناه ظهر له ما كان مخفياً عليه، أو حصل له رأى ولم يكن سابقاً عالماً ومتنبهاً إليه.

والبداء بهذا المعنى مستحيل على اللّه عزّ وجلّ، فإنّ علم اللّه تعالى عين ذاته، فكيف يمكن دخول التغيير والتبديل فيه «لاتَبْديلَ

لِكَلِماتِ اللَّهِ» «۱»

(وقال): «لاتَبْديلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» «۲»

(وقال) «سُنَّةَ اللَّهِ الَّتى قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْديلًا» «۳».

وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد فى الأخبار من استحالة البداء عليه تعالى، كما جاءت به الروايات عن الأئمّة المعصومين عليهم السّلام مثل:

---

(۱) سورة يونس، الآية: ۶۴.

(۲) سورة الرّوم، الآية: ۳۰.

(۳) سورة الفتح، الآية: ۲۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۶

۱- «إنّ اللَّه لم يَبْدُ لَهُ مِنْ جَهْلٍ» «۱».

۲- «ما بدا للَّه فى شىء إلّاكان فى علمه قبل أن يبدو له» «۲».

۳- وعن الصّادق عليه السّلام قال: «من زعم أنّ اللَّه عزّ وجلّ يبدو له فى شىء [اليوم] لم يعلمه أمس فابرؤا منه «۳»» «۴».

وهـذا ما أراده السيّد الوالد قدّس سره من قوله: (فلو لم يبعث لزم نقض الغرض ولا شك فى قبحه، لأنّه ينشأ من البداء أو عدم القدرة وكلاهما محالان فى حقّه تعالى).

الثانى من معنى البداء: هو إظهار ما كان مستوراً ومخفيّاً للغير، تارةً:

كان هناك مصلحة فى إخفاء الأمر ثمّ تزول تلك المصلحة بحصول مصلحةٍ أخرى تستوجب الكشف والإظهار، ويظهر به للمكلف ما لم يكن ظاهراً، ويحصل له العلم به بعد إن لم يكن عالماً، وفى هذه الصورة، الأمر الواقع لم يتغيّر ولم يتبدّل، وإنّما التبدل حصل فى إظهار ذلك

---

(۱) الكافى ۱/ ۱۴۸، الرّقم ۱۰، بابُ البداء.

(۲) الكافى ۱/ ۱۴۸، الرقم ۹، بابُ البداء.

(۳) كمال الدين وتمام النعمة: ۷۰، وبحار الأنوار ۴/ ۱۱۱، الرقم ۳۰ وليس فيه كلمة «اليوم».

(۴) راجع مجمع البحرين ۱/ ۱۶۷ و ۱۶۸، وأجوبة مسائل جار اللَّه للسيّد شرف الدين: ۱۰۰ باختلافات يسيرة.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۷

المكتوم بعد إخفائه، وتارةً: يكون بقاء الأمر الواقع منوطاً بوجود مصلحة محدودة بزمانٍ خاصّ، فعندما ينتهى ذلك الوقت وتزول المصلحة لا يبقى هذا الأمر، فيظهر من وجود أمر آخر إنّه تابع لمصلحة أخرى، وفى هذه الصّورة لا يكون الأمر الواقع هو هو، وإنّما يتغيّر ويتبدّل للمصلحة، لأنّ الأمر الواقع الجديد مستحدث، كما هو الحال فى النسخ الذى لا يتخلف عن البداء بشىء سوى أن البداء فى الأمور التكوينية والنسخ فى الأمور الشرعيّة.

والبداء بهذا المعنى بكلا شقّيه (مصلحة الإظهار وانتهاء زمان المصلحة) جائز على اللَّه، إذ أنّه لا يستلزم التردد والجهل بالأمور الواقعية أو مصالحها حتى تكون مستحيلًا على اللَّه، وإنّما هو إظهار ما خفى على الغير، وعلى هذا يحمل قوله تعالى «وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» «۱».

مثلًا قدّر اللَّه عمر إنسان حين صوّره ستّين أو سبعين سنة، لكنّه لو وصل رَحِمه، أو تصدّق بصدقة لأضيف لذلك العمر المقدّر حين

التّصوير، ولو قطع رحمه أو فعل الذنب الذى يقطع العمر، لنقص ذلك

---

(۱) سورة الزمر، الآية: ۴۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۸

العمر إلى الحدّ الذى يعلمه اللَّه».

قال الشيخ المفيد: «فى معنى البداء وما يذهب إليه أهل العدل خاصّة من الزيادة فى الآجال والأرزاق، والنقصان منهما بالأعمال» «۱».

هذا فى الأمور التكوينية.

أمّا التشريعية، فلها أمثلة كثيرة فى الكتاب والسنّة، واستدلّ المسلمون على جوازه ووقوعه، منها: إنّ الصلاة كانت فى بدء الإسلام إلى جهة بيت المقدس، ثم نسخت وتحوّلت إلى جهة بيت اللَّه الحرام، كما نطقت الآية «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ» «۲».

ومنها: قصّة إبراهيم عليه السّلام وقوله لإبنه إسماعيل: «إِنّى أَرى فِى الْمَنامِ أَنّى أَذْبَحُكَ» «۳»

. ومعلوم أنّه رآه عن مكاشفة صدق لا مكاشفة كهانة أو تنجيم عن تجربة ناقصة، ولذا أراد أن يعمل بمقتضاه كان قوله حقّاً وصدقاً وعلمه مرضيّاً عند اللَّه تعالى حتّى إذا أخبره اللَّه بعلمه المكنون عنده بغير ما اطلع عليه أوّلًا من الأمور المدبّرة بالأسباب

---

(۱) أوائل المقالات من مصنّفات الشيخ المفيد ۴/ ۸۰.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۱۴۴.

(۳) سورة الصّافات، الآية: ۱۰۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۴۹

الخاصّة المقدّرة، فعلم إبراهيم عليه السّلام ما لم يكن يعلم، إذ زعم إبراهيم أنّ غير الكائن هو الكائن، ثمّ ظهر له خلافه فيقال لمثل هذا، النّسخ.

والبداء «فهو ما أفاد النّسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسّع، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصّادقين عليهما السّلام من الأخبار المتضمّنة لإضافة البداء إلى اللَّه تعالى، دون ما لا يجوز عليه، من حصول العلم بعد أن لم يكن، ويكون وجه إطلاق ذلك فيه تعالى والتشبيه، هو أنّه إذا كان ما يدلّ على النسخ، يظهر به للمكلّفين ما لم يكن ظاهراً لهم، ويحصل لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلًا لهم، أطلق على ذلك لفظ البداء» «۱».

إذاً لو قالت الشيعة: بدا للَّه، لم يكن غلطاً، لأنّ البداء فى التكوينيات نظير النسخ فى التّشريعيّات، فكما أنّ النسخ إنتهاء أمد الحكم لا رفعه وإزالته، فكذلك حقيقة البداء إنتهاء اتصال إفاضة الوجود، لتضييق دائرة اقتضاء الشرائط والمعدات والقوابل والإستعدادات، وهذا معنى الآية «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ

---

(۱) عدّة الأصول ۲/ ۴۹۵ و ۳/ ۲۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۰

أُمُّ الْكِتابِ» «۱»

أى إنّ عند اللَّه لوحين: لوح يصحّ فيه المحو والإثبات، ولوح ثابت لا يتغيّر، وهو اللوح المحفوظ.

بعبارة أخرى: «فإنّ البداء الذى تقول به الشيعة الإماميّة، هو من الإبداء (الإظهار) حقيقة» «۲».

«ثمّ إنّ البداء الّذى تقول به الشيعة الإمامية إنّما يقع فى القضاء غير المحتوم، أمّا المحتوم منه فلا يتخلّف، ولا بدّ من أن تتعلق المشيّة

بما تعلق به القضاء.

وتوضيح ذلك: إنّ القضاء على ثلاثة أقسام:

الأوّل: قضاء اللَّه الذى لم يطلع عليه أحداً من خلقه، والعلم المخزون الذى استأثر به لنفسه، ولا ريب فى أنّ البداء لا يقع فى هذا القسم، بل ورد فى روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السّلام، أنّ البداء إنّما ينشأ من هذا العلم».

الثانى: قضاء اللَّه الذى أخبر نبيّه وملائكته، بأنّه سيقع حتماً، ولا ريب فى أنّ هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء وإن افترق عن القسم الأوّل،

---

(۱) سورة الرّعد، الآية: ۳۹.

(۲) البيان فى تفسير القرآن: ۳۹۳.

الثّالث: إنّ البشر فيه استعداد للكمال، وأن يترقى من حضيض الجهل إلى أوج المعرفة، فيلزم بعث الرّسل ليرشدوهم إلى المعارف الإلهيّة بحسب الطّاقة البشريّة، ويأخذ كلّ منهم نصيبه على قدر استعداده، ولولا بعث الرّسل لزم تضييع هذه القابليّات، التى تسأل المبدأ الفيّاض بلسان حالها فى استكمالها، ليصير ما بالقوة فعليّاً، ومن المعلوم إنّ عدم الإفاضة مع تماميّة المادّة القابلة، يلازم النقص بأنّ البداء لا ينشأ منه.

الثالث: قضاء اللَّه الذى أخبر نبيّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم وملائكته بوقوعه فى الخارج، إلّاأنّه موقوف على أن لا تتعلّق مشيئة اللَّه بخلافه.

وهذا القسم، هو الذى يقع فيه البداء: «يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ» «۱»

، «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ» «۲»

وقد دلّت على ذلك روايات كثيرة من الشّيعة والسنّة» «۳»، «والبداء إنّما يكون فى القضاء الموقوف المعبّر عنه بلوح المحو والإثبات، والإلتزام بجواز البداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلى اللَّه سبحانه، وليس فى هذا الإلتزام ما ينافى

---

(۱) سورة الرّعد، الآية: ۳۹.

(۲) سورة الرّوم، الآية: ۴.

(۳) البيان فى تفسير القرآن: ۳۸۶- ۳۸۸.

فى المفيض من عجزٍ أو بخلٍ أو جهلٍ، تعالى اللَّه عن ذلك كلّه علوّاً كبيراً.

الرّابع: إنّ فى البشر قُوى متعدّدة، أحدها العقل، والباقى هى القوى الحيوانيّة من الشهويّة والغضبيّة بما لهما من شّئونٍ كثيرة وتوابع غير حصيرة، ولولا بعث الرّسل ليقوموا بتنوير عقولهم وتربيتهم وإرشادهم إلى الخير والصّلاح، لاتّبعوا القوى الحيوانيّة، ولم يكن ما لهم من العقل الفطرى الأوّلى رادعاً وزاجراً، ولا مدركاً لتبعات ما يرتكبون فى نشأتهم هذه، ولا فى النشأة الأخرى، وعند ذلك كان يختلّ النّظام أشدّ اختلال، ولهلك الحرث والنّسل، ولزم نقض الغرض من إيجاد النشأتين [۱].

عظمته وجلاله «۱»» «۲».

[۱] والعقول تتفاوت وتتناقض فى تقييم الحقائق والحكم على الأشياء، فقد يستحسن بعضها ما يستقبحه الآخر، أو يستقبح ما

---

(۱) نفس المصدر: ۳۹۱.

(۲) راجع أوائل المقالات: ۳۲۷- ۳۲۹، ومجمع البحرين: ۱/ ۱۶۷- ۱۶۸، و ۲/ ۹۸ و ۵۶۲، وراجع للتفصيل: سفينة البحار، وأجوبة مسائل جار اللّه للسيد شرف الدين، ونقض الوشيعة للسيد محسن الأمين، والإمامة الكبرى للسيد محمد حسن القزويني الحائرى، والبيان للسيد الخوئى، والشيعة والتشيع للشيخ محمد جواد مغنية، وعقائد الإمامية للشيخ محمد رضا المظفر، والشيعة والسنة فى الميزان للشيخ سلمان الخاقانى.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۳

يستحسنه غيره، حسبك فى ذلك ما شاع فى هذا العصر من صنوف النظم والمبادىء، كالديمقراطية والدكتاتورية والرأسمالية والشيوعية، فإنّها تمثل تناقض العقول، واختلاف مقاييسها فى الحسن والقبح والخير والشرّ، وطالما ضلّت العقول، وانخدعت بالتقاليد الخرافية، والأعراف المقيتة، ففى الهند مثلًا قبائل تعمد على حرق موتاها بالنار وذرّهم بالهواء، معتبرة ذلك من مظاهر توقير الميت وتكريمه، وفيها قبائل أخرى تستحسن دفن المرأة الحية مع جثمان زوجها فى قبر واحد، وهناك قوم آخرون ارتكست عقولهم إلى الدرك الأسفل من الغباء والإختلال، فغدوا يقدّسون الأبقار ويعبدونها ويتبرّكون بأبوابها، والعقل بعد هذا وذاك محدود القدرة والمكنة، فهو عاجز عن استقراء تجارب البشر وأحداث الحياة وأطوارها، عبر العصور الحاضرة والغابرة والآتية، ليخطط على ضوئها دستوراً كاملًا شاملًا يسعد البشرية ويحقق السكينة والرخاء، وليس فى وسع العقل ومقدوره أن يستطلع حقائق الآخرة، وما يحدث فيها من مفاهيم الحساب والثواب والعقاب، وصور السعادة والشقاء، لوهنه وعجزه عن ذلك، والعقل أشبه ما يكون بالبصر فى طاقته وأبعاد مرآه، فكما يستطيع البصر إدراك المرئيّات المحدودة بأمد معيّن، ويرتدّ عاجزاً كليلًا عمّا تجاوزه ونأى عنه، كذلك

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۴

أمّا الوجه الثالث أعنى معنى الأمّى وما قيل فيه، فنقول:

ذهب جماعة إلى أنّ معنى الأمّى من لا يكتب ولا يقرأ، نسبةً إلى الأمّ، لأنّه كيوم ولادته من أمّه، فإنّ العرب كانوا أمّةً أُمّيين. وهذا المعنى هو الشّايع فى الألسن فى معنى الأمّى.

وذهب آخرون: إلى أنّ المراد المنسوبون إلى مكّة، أىبعث فى أهل مكّة، لأنّ مكّة تسمى «أُمَّ الْقُرى» «۱»

، وفى النسبة يحذف جزؤه الثانى.

وروى القمى عن الصّادق عليه السّلام فى الأمّيين، قال عليه السّلام: «كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من عند اللّه ولا بعث إليهم رسولًا، فنسبهم اللّه إلى الأمّيين» «۲»، وهذا معنى ثالث للأمّى.

وأمّا الوجه الرابع: أىعلّة البعث فى الأمّيين دون غيرهم، يمكن أن يقال: إنْ أخذ الأمّى بالمعنى الأوّل، فمن لا يقرأ ولا يكتب العقل يستطيع إستجلاء الحقائق الداخلة فى إطار قدرته وآماد وسعه، ويقصر عمّا وراء ذلك، وكما يستكشف المرأى الشاسع البعيد بالنواظير المقربة ويرى واضحاً جلياً، كذلك العقل يستجلى ويستكشف ما قصر

---

(۱) سورة الأنعام، الآية: ۹۲، وسورة الشورى، الآية ۷.

(۲) تفسير القمى ۲/ ۳۶۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۵

هو أحوج إلى المرشد والهادى ممّن يقرأ ويكتب، لأنّه يمكن الهداية فى حقّه ولو إجمالًا بقرائة الكتب السّماوية والعمل بها، بخلاف من لا يقرأ ولا يكتب، فإنّه بعيد عن الهداية غاية البعد. ويمكن أن يكون من علله إظهار لطفه تعالى، بأنّه لطيف غاية اللطف، لملاحظة حال الجهّال فكيف بالعلماء [۱].

وإنْ أخذ بالمعنى الثانى، أى‌المنسوبون إلى أمّ القرى وهم أهل مكّة، فالعلّة أوضح، لأنّ مكّة كانت مرجعاً للخلائق يقصدونه ويأتون من كلّ فجّ عميق ومكان بعيد، فكون الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله فيها أقرب إلى انتشار الأحكام من كونه فى بلد بعيد ليس معبراً ولا مقصداً.

عن وعيه وادراكه بالإستهداء بالأنبياء عليهم السّلام والإستعانة بهم على ذلك، وهذا برهان صارخ على افتقار العقول إلى هدى الأنبياء عليهم السّلام وعجزها عن الإستقلال بهداية البشر «۱».

[۱] قال المراغى: وتخصيص الأمّيّين بالذكر، لا يدلّ على أنّه لم يرسل إلى غيرهم، فقد جاء العموم فى آيات أخرى كقوله: «وَما أَرْسَلْناكَ إِلّا رَحْمَةً لِلْعالَمينَ» «۲»

وقوله: «قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنّى رَسُولُ

---

(۱) أصول العقيدة للسيد مهدى الصّدر ۲/ ۲۴.

(۲) سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۶

وممّا ذكر، ظهر علّة البعث فيهم إن أخذ بالمعنى الثالث، أعنى ما تضمّنه الحديث فى معنى الأمّى.

وأمّا الوجه الخامس: وهو سبب كون الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله منهم، حيث أنّ الضمير لوحظ فيه معنى الأمية [۱]، لأنّ المراد كونه من جنس البشر، لبعده عن توهّم استعانته على ما أتى من الشرايع والإعجاز بالكتب السابقة، لأنّه لو لم يكن منهم لأمكن أن يقولوا بأنّ إخباره عن الأمم الخالية والسنين الماضية مأخوذة عن الكتب السماوية، فكونه منهم أدلّ دليل وبرهان ومعجزة، بأنّه مبعوث من قبل اللَّه تعالى، لظهور أنّ الأمّى- على جميع التفاسير السابقة،

اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَميعًا» «۱»

وقوله: «لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» «۲» «۳».

[۱] قال الشيخ الطوسى قدّس سره: إنّ (الأمية) فى النّبى صلّى اللَّه عليه وآله فضيلة، وفى غيره نقيصة، لأنّ النبى عليه السّلام كان يخبر عن اللَّه إخبار الأنبياء، فإذا كان أمّياً كان أبلغ لمعجزته وأدلّ على نبوّته، لأنّه يخبر عن اللَّه تعالى، قال اللَّه: «وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ

---

(۱) سورة الأعراف، الآية: ۱۵۸.

(۲) سورة الأنعام، الآية: ۱۹.

(۳) تفسير المراغى ۲۸/ ۹۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۷

سواء أخذ بمعنى من لا يقرأ ولا يكتب، أو المنسوب إلى أمّ القرى، أو الذى لم يكن معه كتاب من عند اللَّه ولا بعث إليه رسول- لا يقدر على خوارق العادة من الفصاحة البالغة حدّ النهاية، والقوانين المتقنة غاية الإتقان، والإخبار عن الأمم السّالفة.

أمّا إنْ أخذ الأمّى بالمعنى الأوّل، أى‌غير العارف بالقراءة والكتابة فظاهر، كما مرّ من أنّ غير القارىء لا يتمكّن من قرائة الكتب السّالفة حتى تعينه على الإخبار عن الأمم السّابقة والقرون الماضية، وغير الكاتب لا يقدر على المكاتبة إلى البلدان العلميّة، ليستفيد منها الأخبار.

ولا يخفى أنّه لا منافاة بين كونه صلّى اللَّه عليه وآله أمّياً- بمعنى عدم عرفانه للقرائة والكتابة- وبين الرّواية المرويّة فى العلل

وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ» «۱»

يعنى أنّ المبطل يرتاب لو كان يكتب، فلهذا كان فضيلة وليس كذلك غيره، لأنّه إذا لم يكتب كان نقصاً فيه ... والذى يقتضيه مذهبنا...

أنّ النّبى عليه وآله السّلام عندنا كان يحسن الكتابة بعد النبوّة، وإنّما لم يحسنها قبل البعثة «۲».

---

(۱)

سورة العنكبوت، الآية: ۴۸.

(۲) المبسوط فى فقه الإمامية ۸/ ۱۱۹، كتاب آداب القضاء.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۸

عن الجواد عليه السّلام المتضمّنة لتكذيب من قال بأنّ سبب تسمية النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أمّياً، أنّه لم يحسن أن يكتب [۱]، لأنّ المراد بالأوّل أنّه لا يعرف الكتابة والقرائة عن منشأ التعلم بالأسباب الظاهرية، فيكون من حيث عدم التعلّم بالأسباب الظّاهرية كيوم ولدته

[۱] عن جعفر بن محمّد الصوفى قال: «سألت أبا جعفر محمّد بن على الرضا عليهما السّلام فقلت: يابن رسول اللَّه، لِمَ سمّى النّبى الأمّى؟

قال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنّه إنّما سمّى الأمى لأنّه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السّلام كذبوا عليهم لعنة اللَّه، أنى ذلك واللَّه يقول فى محكم كتابه «هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، واللَّه لقد كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين أو قال بثلاثة وسبعين، أو قال بثلاثة وسبعين لساناً، وإنّما سمّى الأمى لأنّه كان من أهل مكّة، ومكّة من أمّهات القرى، وذلك قول اللَّه عز وجل «وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها» «۱».

وعن علىّ بن أسباط وغيره رفعه عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

قلت إنّ الناس يزعمون أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لم يكتب

---

(۱) سورة الأنعام، الآية: ۹۲، وسورة الشورى، الآية: ۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۵۹

أمّه والرواية متضمّنة لقدرته حالًا عن أىّ سبب كان، لأنّه عليه السّلام فى مقام ردّ من قال بعدم قدرته صلّى اللَّه عليه وآله، وأنّه صلّى اللَّه عليه وآله لم يحسن الكتابة، كما عرفت.

وتسميته بالأمّى بالمعنى الثّانى لكونه من أهل مكّة المتعرّض له فى الحديث أيضاً، غير مناف، لأنّه مقابل للأمّى بمعنى عدم القدرة وعدم التعلّم بالأسباب الظّاهرية.

وأمّا القدرة على ما ذكر من الإعجاز وغيره، إنْ أخذ بمعنى المنسوب إلى أمّ القرى، فلأنّ أهل مكّة كانوا فى غاية الجهل والضّلالة فى ذلك الزمان، فلا يمكن أن يكون أحدهم عالماً بهذه المثابة الخارجة عن قدرة البشر وعن طرق العلماء، فكيف بالجهلاء، إلّا أن يكون مربوطاً بالعالم العلوى.

ولا يقرأ، فقال عليه السّلام: «كذبوا لعنهم اللَّه، أنّى يكون ذلك، وقد قال اللَّه عزّ وجلّ «هُوَ الَّذى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبِينٍ» فكيف يعلّمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن

أن يقرأ ويكتب؟ قال: قلت فلم سمّى النبى الأمّى؟ قال: لأنّه نسب إلى مكّة وذلك قول اللّه عزّ وجلّ «لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلَها» فأمّ القرى مكّة، فقيل أمّى لذلك «۱».

---

(۱) علل الشرائع ۱/ ۱۲۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۰

وأمّا إنْ أخذ بالمعنى الثالث، فظاهر من المعنى الثانى، فإن كونه فى مكّة مستلزم لعدم العلم مع الحالة التى عليها أهلها.

وقد ظهر من هذه الوجوه، وجه إرتباط الآية بما قبلها، فإنّ من يفعل مثل هذه الأمور هو الحكيم المطلق، وغيره لا يقدر على مثلها، فتكون هذه الآية بمنزلة البرهان الإنّى [۱] للآية المتقدمة، كما هو ظاهر، ولا يخفى لطفه.

«يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» [۲].

[۱] البرهان إمّا لمىّ، وهو ما ينتقل فيه من العلّة إلى المعلول، وإمّا إنى، وهو ما ينتقل فيه من المعلول إلى العلّة، فالآية تكون برهاناً إنّياً، على أنّه سبحانه ملك وحكيم على الإطلاق.

[۲] قال العلّامة الطباطبائى: وليس الحقّ إلّاالرأى والإعتقاد الذى يطابقه الواقع ويلازمه الرشد من غير غىّ، وهذا هو الحكمة. الرأى الذى أحكم فى صدقه فلا يتخلله كذب، وفى نفعه فلا يعقبه ضرر، وقد أشار تعالى إلى اشتمال الدّعوة على الحكمة بقوله: «وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» «۱»

ووصف كلّاً من المنزل به، فقال: «وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» «۲»،

---

(۱) سوره النساء الاية ۱۱۳.

(۲) سوره يس الاية ۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۱

الظّاهر: إنّ الآيات هى التى من شأن الرّسول أن توحى إليه، فكان صلّى اللّه عليه وآله يتلوها عليهم. ويمكن أن يراد بتلاوة الآيات إرائتهم علامات اللّه الدّالة على وجوده سبحانه، واستجماعه للصّفات الجلاليّة والجماليّة، لأنّ الأشياء كما تقدّم كلّها مداليل على اللّه، تدلّ على مالكيته وتنزّهه وعزّته وحكمته.

ثمّ يمكن أن يكون المراد من قوله تعالى «وَيُزَكِّيهِمْ» [۱] أى عن الشّرك والإلحاد والجهل.

وعدّ رسوله، صلّى اللّه عليه وآله، معلّماً للحكمة فى مواضع من كلامه كقوله «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» «۱»

، فالتعليم القرآنى الذى تصدّاه الرّسول صلّى اللّه عليه وآله، المبيّن لما نزل من عند اللّه من تعليم الحكمة، وشأنه بيان ما هو الحقّ فى أصول الإعتقادات الباطلة الخرافية التى دبت فى أفهام الناس من تصور عالم الوجود وحقيقة الإنسان الذى هو جزء منه «... ۲»

[۱] قدّم التزكية هيهنا على تعليم الكتاب والحكمة، بخلاف ما فى

---

(۱) سورة الجمعة، الآية: ۲.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۱۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۲

«وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ» [۱] النازل عن اللّه، أو ما كتب عليهم من الأحكام الثابتة فى الشريعة.

«وَالْحِكْمَةَ» أى الأخلاق الإنسانيّة، وقد اندرجت فى هذه الكلمة المباركة جميع الحكم التى هى للأنسان فى نفسه من مكرمات

الفضائل وماله فى المجتمع المدنى من التدابير الصالحة القيّمة، فإنّ

دعوة: ابراهيم عليه السّلام «۱». لأنّ هذه الآية تصف تربيته صلّى اللّه عليه وآله لمؤمنى أمّته، والتّزكية مقدّمة فى مقام التّربية على تعليم العلوم الحقّة والمعارف الحقيقية، وأمّا ما فى دعوة إبراهيم عليه السّلام، فإنّها دعاء وسؤال أن يتحقّق فى ذريّته هذه الزكاة والعلم بالكتاب والحكمة، والعلوم والمعارف أقدم مرتبةً وأرفع درجةً فى مرحلة التحقق، والإتّصاف من الزكاة، الرّاجعة إلى الأعمال والأخلاق «۲».

[۱] عن ابن عباس قال: «الكتاب: القرآن، والحكمة: ولاية علىّ بن أبى طالب عليه السّلام» «۳».

---

(۱)

سورة البقرة، الآية: ۱۲۹ فى قوله تعالى: «رَبَّنا وَابْعَثْ فيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ».

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۶.

(۳) شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى ۲/ ۲۵۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۳

الحكمة- كما قدّمناه- تشمل النظريّة والعمليّة [۱].

[۱] قال صدر المتألهين: أمور ثلاثة:

الأوّل: فى الحكمة العمليّة، المبيّنة للأفعال والأعمال، الشارحة للأخلاق والآداب، المفيدة للعبد قطع تعلّقه عن الأسباب، وترك التفاته إلى الدنيا وما فيها، ورفع الغشاوات والحجب عن وجه قلبه بالكليّة.

وهذه الأحكام والأعمال العمليّة والمعالم الأدبيّة تثبت فى القرآن على أبلغ وجه وآكده، كما أشار إليه صلّى اللّه عليه وآله بقوله: «أدّبنى ربّى، فأحسن تأديبى» «۱».

الثّانى: فى الحكمة العلميّة، والمعارف الّتى يبلغ إليه عقول العلماء والحكماء بقوّتهم الفكرية، بتعليم الأنبياء والأولياء عليهم السّلام إيّاهم.

وهذان القسمان من العلوم والمعارف الّتى يقع فيها الإشتراك لساير الكتب السماوية مع القرآن، لكن يكون ما فى القرآن أوثقها برهاناً وأجلّها شأناً، وأرفعها رتبةً، وأعلاها مأخذاً، وأقومها غايةً، وإليه الإشارة بقوله تعالى «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدى لِلَّتى هِيَ أَقْوَمُ» «۲» وبقوله

---

(۱) مجمع البيان ۵/ ۳۳۳، والجامع الصغير ۱/ ۱۴، وبحار الأنوار ۱۶/ ۲۱۰.

(۲) سورة الإسراء، الآية ۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۴

«وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» «۱»

وقوله تعالى «وَمُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْراةِ» «۲».

الثّالث: فى الحكمة الّتى لا يبلغ إلى طورها إلّاالخلّص من أحبّاء اللّه وأوليائه الصالحين، وهى المشار إليها فى قوله «سَنُريهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَىْءٍ شَهيدٌ» «۳»

وهذه الحكمة من خواصّ المحبوبين للّه، كما أنّ الحكمتين الأولّيين من خواص المحبّين للّه. وإليهم الإشارة فى قوله تعالى «فَسَوْفَ

يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» «۴».

وفى الحديث الإلهى: «لا يزال العبد يتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى أحببته» «۵» «۶».

قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «قال اللَّه عزّ وجلّ ما زال العبد

---

(۱) سورة النساء، الآية: ۲۶.

(۲) سورة الصّف، الآية: ۶.

(۳) سورة فصّلت، الآية: ۵۳.

(۴) سورة المائدة، الآية: ۵۴.

(۵) التوحيد: ۴۰۰.

(۶) تفسير صدر الدين الشيرازى ۷/ ۱۵۷- ۱۵۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۵

ويرد هنا ما قلناه فى تفسير الآية السّابقة، فى كونه دليلًا وحجّةً للرّسالة والبعث، فإنّ من كان بحسب الظاهر فى الجهّال ولم يكن عنده عالم يسأل عنه، لا يقدر على الأمور الثلاثة، إلّاأن يكون رسولًا مبعوثاً من قبل اللَّه تعالى حتّى يتمكّن من ذلك، كما هو ظاهر.

وقوله تعالى «وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ» إن مخففّة عن المثقّلة وبمثابة: ولقد كانوا من قبل كذلك. والآية بيان لشدّة إحتياجهم إلى الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله، وقد اقتضى بعثه إليهم العزّة والحكمة السابقتان فى الآية السابقة.

«وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ». «وَآخَرِينَ مِنْهُمْ» [۱] عطف على الأمّيين، فيكون المعنى: بعث

يتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى أحببته فكنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش به، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى أعطيته، وإن استعاذنى أعذته» «۱».

[۱] فى تفسير القمى: دخلوا فى الإسلام بعدهم «۲».

---

(۱) مجموعة الأخبار فى نفائس الآثار، للشيخ النمازى، والكافى ۲/ ۳۵۲، الرّقم ۷، باختلاف يسير.

(۲) تفسير القمّى: ۳۶۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۶

فى الأميين. وآخرين أى‌الّذين لم يكونوا منسوبين إلى أمّ القرى، أو لم يكونوا لا يعرفون القرائة والكتابة، أو غير المبعوث إليهم نبىّ، أو من كان فى أصلاب هؤلاء، كما فى بعض الرّوايات النبويّة، أو من كان من غير العرب كالفرس، كما فى الروايات الآخر، على اختلاف الأقوال، أو عطف على ضمير «وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ».

ولا يخفى ما فى هذه الآية من اللّطف، حيث أنّه لو لم يذكر «وَآخَرِينَ» لتوهّم إختصاص رسالة النّبى بقوم أو بمكان خاصّ، لظاهر الآية السابقة، فكان قوله «وَآخَرِينَ» إستدراكاً، ومن هنا ظهر ربط هذه الآية بسابقها. والسرّ فى ذكر كلمة «منهم» على بعض الأقوال واضح، وعلى الأقوال الأخر هو صيرورتهم منهم، أى‌مؤمنين لو أسلموا، فإنّ المؤمنين بعضهم من بعض [۱] واللَّه العالم.

«لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» أى‌بعد لم يلحقوا بهم، فإنّ (لمّا) لانتظار الوقوع، وليس المراد عدم لحوق الآخرين فى الفضيلة بهم لكونهم أدركوا صحبة النبى صلّى اللَّه عليه وآله، لظهور أنّ الفضل ليس

[۱] قال صلّى اللَّه عليه وآله: «المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده» «۱».

(۱) البحار ۲۰/ ۱۲۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۷

بذلك بل بالأيمان والتّقى، أى‌ليس بالمصاحبة البدنيّة بل بالمصاحبة الرّوحية والنّفسية، فإنّ الأكرم عند اللَّه هو الأتقى، فالآخرون على الأظهر هم غير العرب الأمّيين من سائر العرب والعجم فى ذلك الزّمان وفى ما يأتى من بعد الصّحابة إلى يوم القيامة، لأنّ نبوّته عامة كما ذكر، لا تختص بقوم دون قوم أو زمان دون زمان.

وأمّا ما رُوِىَ عن أبى جعفر عليه السّلام عن النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، أنّه صلّى اللَّه عليه وآله قرأ هذه الآية، فقيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: لو كان الإيمان فى الثريا لنالته رجال من هؤلاء [۱]، فالظّاهر أنه تعيين للمصداق ولم يرد الإنحصار فى المشار إليهم فى الرواية، فلا ينافى نبوّته العامة ولا يتوهم ذلك.

وفيه إشارة إلى عدم استغناء العلماء عن النبىّ صلّى اللَّه عليه وآله، وأنّه ليس بمبعوث إلى الأمّيين والجهال فقط، فإنّ من يستعد لأن ينال الإيمان ولو كان فى الثريا، إنّما هو فى غاية الفطنة وكمال الدّقة، ومع ذلك محتاج إلى النبى صلّى اللَّه عليه وآله.

[۱] وكانوا أهلًا لذلك، ولهذا كتب رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لحىّ سلمان بكازرون عهداً وثيقاً للمؤبذه والهوانده وعشيرتهم وذراريهم: بسم اللَّه الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من محمّد بن عبداللَّه

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۸

رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله سأله الفارسى سلمان وصية بأخيه مهاد بن فرّخ بن مهيار، وأقاربه وأهل بيته وعقبه من بعده ما تناسلوا من أسلم منهم وأقام على دينه.

سلام اللَّه وأحمد اللَّه إليكم: إنّ اللَّه تعالى أمرنى أن أقول لا اله إلّا اللَّه وحده لا شريك له، أقولها وآمر الناس بها، والخلق خلق اللَّه والأمر كلّه للَّه، خلقهم وأحياهم وأماتهم وهو ينشرهم وإليه المصير ... وهذا كتابى أنّ لهم (لحىّ سلمان) ذمّة اللَّه وذمّة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله على دمائهم وأموالهم فى الأرض التى أقاموا عليها، سهلها وجبلها وعيونها ومراعيها غير مظلومين ولا مضيق عليهم، فمن قرىء عليه كتابى هذا من جميع المؤمنين فليتحفّظهم ويبرهم ويحوطهم ويمنع الظّلم عنهم لا يتعرّض لهم بالأذى والمكاره، وقد رفعت عنهم جزا الناصية والجزية والخمس والعشر وسائر المؤن والكلف، فإن سألوكم، فأعطوهم، وإن استغاثوا بكم، فأغيثوهم، وإن استجاروا بكم فأجيروهم، وإن أساءوا فاغفروا لهم، وإن أسيىء إليهم فامنعوا عنهم، وليعطوا من بيت المال فى كلّ سنة مأة حلّة فى شهر رجب، ومن الأواقى مأة فى الأضحية وأيديهم طلقة على بيوت النيران وضيائها وأموالها ولا

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۶۹

يمنعونهم من اللباس الفاخرة، والركوب وبناء الدور وحمل الجنائز وإتّخاذ ما يجدون فى دينهم ويفضّلونهم على سائر الملل من أهل الذمّة، فقد استحقّ سلمان ذلك من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، ولأنّ فضل سلمان على كثير من المؤمنين، وأنزل إلىّ الوحى حقّ سلمان واجب على جميع المؤمنين، وإنّ الجنة إلى سلمان أشوق من سلمان إلى الجنّة، وسلمان منّا، فلا يخالفنى أحد هذه الوصيّة فيما أمرت به، ومن خالف فقد خالف اللَّه ورسوله وعليه اللّعنة إلى يوم الدين، ومن أكرمهم فقد أكرمنى، وله عند اللَّه خير وثواب، ومن آذاهم فقد آذانى وأنا خصمه يوم القيامة، جزائه جهنّم وبرئت ذمّتى والسّلام عليكم وليحيّيكم ربّكم.

كتب علىّ بن أبى طالب عليه أفضل الصّلاة والسّلام بأمر رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وبحضوره فى رجب- سنة تسع الهجرة- شهد على ذلك سلمان وأبوذر وعمّار وبلال والمقداد، وأعطاهم علىّ بن أبى طالب عليه السّلام عهد مثل ما أعطاهم النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وكتبه حسين بن علىّ عليه السّلام فى رجب سنة تسع وثلاثين من هجرة النبى صلّى اللَّه عليه وآله «۱».

(۱) المناقب لابن شهر آشوب ۱/ ۹۷ وكلمة طيّبة: للميرزا النورى: ۴۲ و ۴۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۰

«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فيه من البلاغة ما لا يخفى، فقد أقام العلّة مقام الإخبار بما سيكون حتى يستكشف به لميّاً، وبمثابة أن يقال إنّ الآخرين سيلحقون بهم، لأنّه هو العزيز الحكيم، فإنّ العزّة تقتضى صدور النفع والخير، والحكمة تقتضى التربية والتكميل بالتدابير المناسبة. أو كأنّه برهان، لعطف الآخرين على الأميّين، وصيرورتهم مثلهم فى بعث الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله وشؤونه من التّزكية والتّعليم، فإنّهم محتاجون إلى المنحة الإلهيّة، كما قد احتاجوا أولئك، وإنّ بعث الرّسول من أجلّ المنح وأعظم المواهب، فالعزّة [۱] والحكمة تقتضيان شمولها لهم كما شملهم.

ثمّ اعلم، أنّه لمّا كان المقام فى معرض سؤال إنّ اللَّه لِمَ جعل

[۱] قال نصير الدين الطّوسى قدّس سرّه: البعثة حسنة، لاشتمالها على فوائد كمعاضدة العقل فيما يدلّ عليه، واستفادة الحكم فيما لا يدلّ العقل، وإزالة الخوف، واستفادة الحسن، والقبح والمنافع، والمضارّ، وحفظ نوع الإنسانى، وتكميل أشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة، وتعليمهم الصنائع الخفيّة، والأخلاق، والسياسات، والإخبار بالعقاب والثواب، فيحصل اللّطف للمكلّف «۱».

---

(۱) تجريد الإعتقاد بشرح العلّامة: ۴۶۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۱

الرّسول فى الأميّين وجعله منهم، ولِمَ اختصوا بهذه المنحة، ولِمَ اختص صلّى اللَّه عليه وآله من بينهم بهذه الكرامة؟ فناسبه الجواب بأنّ: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظيم» يعنى:

إنّ فضل اللَّه ومنحته، يؤتيه من يشاء ويجعله فى من يشاء، بمقتضى حكمته البالغة وفضله السّابق الكامل لا ينازع فيما يفعل [۱].

«مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ

[۱] قال صدر المتألّهين: تأمّل أيّها العارف، إنّ اللَّه تعالى ما أعطى لعباده إلّاالقليل من العلم، لقوله: «وَما أُوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلّا قَليلًا» «۱» وسمّى الدّنيا بحذافيرها قليلًا: «قُلْ مَتاعُ الدُّنْيا قَليلٌ» «۲».

ثمّ قال فى العلم الموهوب لعباده: «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ» «۳»

وقال أيضاً: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثيرًا» «۴»

فانظر كم مقدار هذا القليل، حتّى تعرف عظمة ذلك العظيم الكثير «۵».

---

(۱)

سورة الإسراء، الآية: ۸۵.

(۲) سورة النساء، الآية ۷۷.

(۳) سورة المائدة، الآية ۵۴.

(۴) سورة البقرة، الآية: ۲۶۹.

(۵) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۷/ ۱۶۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۲

أَسْفارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لايَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمينَ».

يقعُ الكلام فى هذه الآية المباركة من وجوه عشرة:

الأوّل: الربط بين هذه الآية والآية المتقدّمة.

الثانى: سبب قوله تعالى «حُمِّلُوا» بلفظ الفعل المبنى للمفعول دون حَمَلُوا.

الثالث: وجه اختصاص المثل باليهود، أعنى أهل التوراة، دون غيرهم مع مشاركة غيرهم معهم فى الكفر.

الرابع: علّة العطف بثُمّ، الدالة على التّراخى، دون غيرها من حروف العطف كالواو والفاء.

الخامس: سبب قوله «لَمْ يَحْمِلُوها» معلوماً لا مبتيّاً للمفعول كالأوّل.

السادس: علّة التمثيل بالحمار دون غيره من الحيوانات.

السابع: سبب قوله «يحمل» معلوماً لا يحمل مجهول الفاعل، مع أنّه لا يَحمِل بل يُحمّل.

الثامن: وجه التعبير بقوله تعالى «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا».

مع كون المثل فى أوّل الآية لليهود فقط، الّذين هم أهل التوراة، فلم يقل سبحانه وتعالى: بئس مثلهم، مع أنّه أخصر.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۳

التاسع: معنى التّكذيب وأقسامه وموارده.

العاشر: وجه قوله تعالى: الظالمين دون الضالين وغيره، كالفاسقين والكافرين وشبههما.

أمّا الوجه الأوّل، أعنى وجه الرّبط، يمكن أن يقال: هو أنّه تعالى لما بيّن بعثته صلّى اللَّه عليه وآله إلى الجميع، وأنّه مبعوث إلى الأميّين وآخرين، أعرب عن لزوم اتباع الكلّ له صلّى اللَّه عليه وآله، لظهور إنّ كلام المولى للعبيد مثلًا: (بعثت إليكم الرجل الفلانى لإبلاغ أوامرى وإجراء أحكامى) مستلزم لأمره لهم باتباعه وقبول أوامره، وحيث أنّ كلّ من لم يتّبعه صلّى اللَّه عليه وآله، أو رفض اتباعه، يستحقّ التوبيخ، ذكر توبيخ الأمّة السّالفة، وهو فى الحقيقة توبيخ لكلّ من كان كذلك، فإنّ التوبيخ كما يكون بالتصريح كذلك يكون بالإيماء، نظير: (إياك أعنى واسمعى يا جارة).

ويمكن التّقريب بنحو آخر: إنّ قوله «مَثَلُ الَّذينَ»، ... بمثابة الجواب عن سؤال مقدّر، هو أنّه لم لا- يؤمن اليهود بهذا النّبى المبعوث للأميّين والآخرين؟ فكان الجواب: إن التّبشير ببعثه وإن كان فى التّوراة مذكوراً [۱] لكن مثلهم مثل الحمار، بعد أن لم يحملوا ما حملوه.

[۱] التّوراة التى بين أيدينا، بشّرت بمجىء نبيّنا محمّد صلّى اللَّه

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۴

وهناك تقريب ثالث، سيأتى فى الوجه الثالث.

عليه وآله، فقد جاء فى سفر التثنية: (يقيم لك الرّب إلهك نبيّاً من وسطك من أخوتك مثلى له تسمعون حسب كلّ ما طلبت من الرّب إلهك فى حوريب يوم الإجتماع قائلًا: لا- أعود أسمع صوت الرّب، إلهى ولا أرى هذه النار العظمية أيضاً لئلّا أموت، قال لى الرّب: قد أحسنوا فى ما يكلّموا، أقيم لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامى فى فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به، ويكون إنّ الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلّم به باسمى أنا أطالبه، وأمّا النّبى الّذى يطغى، فيتكلّم باسمى كلاماً لم أوصه إن يتكلم به، أو الذى يتكلّم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النّبى، وإن قلت فى قلبك:

كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرّب، فما تكلّم به النّبى باسم الرّب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرّب، بل بطغيان تكلّم به النبى فلا تخف منه) «۱».

وجملة (يقيم لك الرب إلهك نبيّاً من وسطك من إخوتك) دليل على أنّ محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله من ولد إسماعيل عليه السّلام وموسى من ولد أخيه، وإنّ اللَّه بشّر إبراهيم بأنّ إسماعيل وذريته

(۱) سفر التثنية، الإصحاح ۱۸/ ۳۳۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۵

وأمّا الوجه الثانى، وهو سبب قوله تعالى «حُمِّلُوا» بلفظ المبنىّ للمفعول دون حَملُوا معلوماً: فيمكن أن يكون بياناً وإظهاراً للجاجتهم وعنادهم، وإنّهم ما قبلوا أحكامها إلّابإرائتهم الآيات المخوفة، كنتق الطود فوقهم [۱]، كما هو المعلوم من حالهم، مع يكونون أنبياء «۱».

[۱] قال اللَّه تعالى: «وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا ما فيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «۲» . ولمّا رجع موسى عليه السّلام من الطور فأتى بالألواح، فقال لقومه جئتكم بالألواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها، قالوا: ومن يقبل قولك؟ فأرسل اللَّه عزّ وجلّ الملائكة حتّى نتقوا جبل الطّور العظيم فوق رؤوس بنى إسرائيل وكانوا فرسخاً فى فرسخ، فرفع اللَّه الجبل فوق رؤوس جميعهم «كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ» أىغمامة، فقال لهم موسى عليه السّلام إن قبلتم ما آتيتكم به وإلّا أرسل الجبل عليكم «وَظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ» أىعلموا وأيقنوا فأخذوا التّوراة وسجدوا للَّه تعالى ملاحظين إلى الجبل، فمِن ثَمّ يسجد اليهود على أحد شقّى وجوههم «وَاذْكُرُوا ما

---

(۱) سفر التكوين، الإصحاح ۱۷/ ۲۳۶، وقاموس الكتاب المقدس «اسمعيل»: ۱۶.

(۲) سورة الأعراف، الآية: ۱۷۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۶

موسى على نبيّنا وآله وعليه السّلام المتواتر فى الأخبار، فكأن أحكام التوراة حُمّلت عليهم بالقهر والإجبار، لا أنّهم حملوها بالطوع والإختيار [۱]. كما يمكن أن يكون بياناً لمشقّة تلك الأحكام فى فيهِ» أىإحفظوا ما فى التوراة من الحلال والحرام، ولا تنسوا من العهود والمواثيق التى أخذناها عليكم بالعمل بما فى التوراة «۱».

[۱] إنّ التّوراة الموجودة لدى اليهود، ليست توراة موسى عليه السّلام بل وجدت فى زمن ملك (يوشيا) إبن آمون سنة ۶۰۹ قبل المسيح، وكان الملك مؤمناً وهو الذى طهر يهوذا واورشليم من معابد الشرك.

قال (حلقيا) الكاهن العظيم رئيس الكهنة (لشافان) الكاتب: قد وجدت سفر الشريعة فى بيت الرّب وأخبر شافان الكاتب الملك قائلًا قد أعطانى حلقيا الكاهن سفرا، وقرأه شافان أمام الملك، فلمّا سمع الملك كلام سفر الشريعة فرق ثيابه، وأمر الملك حلقيا وجماعة من خواصّه قائلًا إذهبوا إسألوا الرّب لأجلى ولأجل الشعب ولأجل كلّ يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد، لأنّه عظيم هو غضب الرّب الذى اشتغل علينا من أجل إن آبائنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر، ليعلموا

---

(۱) راجع مجمع البيان، سورة البقرة، ذيل الآية ۶۳، وسورة آل عمران، الآية ۱۷۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۷۷

نفسها، فإنّها كانت فى غاية الصّعوبة [۱] إذا قيست بأحكام الإسلام، كما هو ظاهر.

حسب كلّ ما هو مكتوب علينا...

وجاء فى الإصحاح: «وأرسل الملك، فجمعوا إليه كلّ شيوخ يهوذا واورشليم، وصعد الملك إلى بيت الرّب، وجمع رجال يهوذا وكلّ سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكلّ الشعب من الصغير إلى الكبير، وقرأ فى آذانهم كلّ كلام سفر الشريعة الذى وجد فى بيت الرّب، ووقف الملك على المنبر وقطع عهدا امام الرّب للذهاب وراء الرّب، ولحفظ وصاياه وشهاداته وفرائضه بكلّ القلب وكلّ النفس لإقامة كلام هذا العهد المكتوب فى هذا السفر، ووقف جميع الشعب عند العهد «... ۱».

[۱] قال اللّه تعالى: «رَبَّنا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْرًا كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا» «۲»

. «وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْرًا» أىلا تحمل علينا عملًا

---

(۱) يحتمل أنّ السفر الذى وجده حلقيا كان سفر التثنية، راجع الكتاب المقدس، الملوك- الثانى الإصحاح ۲۱/ ۴۸۳ وقاموس الكتاب المقدس: ۳۲۸، ۹۷۲، والهدى إلى دين المصطفى ۱، المقدّمة الخامسة، والرحلة المدرسية: ۱۱۹ لفقيد الإسلام الشيخ البلاغى قدّس سرّه.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۲۸۶.

ويحتمل أن يكون التعبير به، لكونه تكليفاً وهو خلاف الطّبع مهما يكن سهلًا، إذ التكليف مشتق من الكلفة أىالمشقّة، فتوجيهه إلى المكلّف تحميل.

وأمّا الوجه الثالث، أعنى وجه اختصاص المثل باليهود، فنقول:

إنّ التوبيخ على نوعين:

نعجز عن القيام به، ولا تعذّبنا بتركه ونقضه، أو ولا تحمل علينا ثقلًا من الشدائد والتكاليف الشاقة «كَما حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِنا» مثل بنى إسرائيل حيث كلّفوا بتكاليف شاقة، منها: ۱- قتل أنفسهم ۲- يتيهون أربعين سنة فى التيه، ۳- فرض خمسين صلاة فى خمسين وقت ۴- وإذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها، وكتبت ذنوبهم على أبوابهم، وحرم عليهم بسببها ما أحلّ لهم من الطعام، كما قال اللّه تعالى «فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» «۱»

۵- وأخذ عليهم من العهود والمواثيق ۶- كلفوا من انواع التكاليف ما لم يكلف هذه الأمّة تخفيفاً عنها «۲».

---

(۱)

سورة النساء، الآية: ۱۶۰.

(۲) التبيان فى تفسير القرآن ۳/ ۵۴۳- ۵۴۴، مجمع البيان ۱/ ۵۱۹- ۵۲۰، والصّافى ۱/ ۲۸۸ والميزان فى تفسير القرآن ۲/ ۴۷۵.

الأوّل: أنّ يوبخ الشخص بفعله القبيح من دون ذكر برهان قبحه، كأن يقول مثلًا: تسجد لغير اللّه تعالى، أو تعبد الأوثان، أولا تؤمن بالمبعوث من قبل اللّه، وأمثالها، ممّا يوبخ المخاطب من دون برهان قبحه.

والثّانى: التوبيخ مع ذكر البرهان وإقامة الحجّة على قبحه، كقولك للمريض: أما رأيت فلاناً لم يعمل بقول الطبيب فهلك، أو مثلك مثل فلان الذى لم يعمل بعلمه فاخترم. فبرهان القبح فيهما الهلاك والإخترام المذكوران فى الكلام، ومعلوم أنّ الأسلوب الثانى أحسن وأبلغ، والآية منه، لأنّها- كما قيل- توبيخ للنصارى الذين لم يؤمنوا بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله، فكأنّه يخاطبهم ويقول: أما رأيتم اليهود الّذين لم يعملوا بما اشتملت عليه التوراة من لزوم اتباع عيسى وإطاعة أوامره ونواهيه، وهلكوا باعتقادكم بسبب عدم اتباعه، فأنتم إن لم تؤمنوا بمحمّد صلّى اللّه عليه وآله مَع اشتمال كتابكم على لزوم اتّباعه، كنتم مثلهم فى الهلاك.

وبهذا، لا ينافى كونها توبيخاً لليهود الحاضرين أيضاً، بل التوبيخ لليهود أقوى من التوبيخ للنّصارى، لظهور أنّ المشبّه به أقوى من المشبّه فى وجه الشّبه، إلّافى التشبيه المقلوب وهذا ليس منه، فتدبّر.

وأمّا الوجه الرابع، وهو علّة العطف ب (ثمّ) فى قوله تعالى «ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها» دون غيرها من أدوات العطف: فللتراخى بين تحميلهم

إيّاها وعدم حملهم لها، لأنّهم لم يحملوها فى زمان متأخّر، حيث لم يأخذوا بما فى التوراة من لزوم اتّباع النبى الذى بشر به فيها.

وأمّا الوجه الخامس، أى‌سبب قوله: لم يحملوا مبنيّاً للمعلوم لا كالأوّل: عدم حملهم بأنفسهم لا بجابر قاهر حتّى يصحّ مجهولًا، ومعنى لم يحملوها أى‌تركوا العمل بها، أو غيّروها وحرّفوها، أو نحو ذلك. وكنى عن ذلك بعدم الحمل وبالطعنة، كما لا يخفى، وهو تعبير لطيف جدّاً.

وأمّا الوجه السادس، أى‌وجه التمثيل بالحمار دون غيره من الحيوانات. فقيل: إنّه لإظهار كثرة الجهل والبلادة، فإنّ الحمار بليد غاية البلادة، وليس كذلك ساير الحيوانات. وقيل: لأنّ فى الحمار من الذّل والحقارة مالا يكون فى غيره.

والغرض من الكلام فى هذا المقام: تعيير أولئك القوم وتحقيرهم، فيكون تعيين الحمار أليق وأولى [۱]. مع ما فيه من

[۱] قال الجاحظ: وذكر الحمار فقال «كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا» فجعله مثلًا فى الجهل والغفلة، وفى قلّة المعرفة وغلظ الطبيعة،

ولم يقل إنّى مسخت أحداً من أعدائى حماراً «۱».

وقال الدميرى: أى‌بثقلة حملها ولا ينفعه وكلّ من يعلم ولم يعمل بعمله، فهذا مثله.

وفى الحديث: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى فى النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار فى الرحاء، فيطيف به أهل النور فيقولون مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه (فتندلق أقتاب بطنه أى‌تخرج أمعاء بطنه) «۲».

وقال البستانى: كان الناس يضربون به المثل فى البلاهة وقلّة الفهم «۳».

وقال فريد وجدى: ومن عجيب أمره، أنّه إذا شمّ رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدّة الخوف، يريد بذلك الفرار منه «۴».

وقال محمّد كاظم الملكى: من الأمثال: لا يأبى الكرامة

---

(۱) كتاب الحيوان للجاحظ ۴/ ۳۸.

(۲) حياة الحيوان للدميرى ۱/ ۲۵۲.

(۳) دائرة المعارف للبستانى ۷/ ۱۶۲.

(۴) دائرة المعارف لفريد وجدى ۳/ ۵۹۱.

المناسبة اللفظية مع لفظ الأسفار [۱].

إلّا الحمار «۱».

قال المفضّل: أوّل من قاله أمير المؤمنين عليه السّلام وذلك أنّه دخل عليه رجلان، فرمى لهما بوسادتين، فقعد أحدهما على الوسادة، ولم يقعد الآخر، فقال علىّ عليه السّلام: «أقعد على الوسادة لا يأبى الكرامة إلّاالحمار، فقعد الرجل على الوسادة» «۲».

[۱] قال المراغى: «يقول سبحانه ذامّاً لليهود الّذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها، ثمّ لم يعملوا بها: ما مثل هؤلاء إلّاكمثل الحمار يحمل الكتب لا يدرى ما فيها، ولكنّه ما يحمل، بل هم أسوأ حالًا من الحمر، لأنّ الحمر لا فهم لها، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها فيما ينفعهم، إذ حرّفوا التوراة فأوّلوها وبدّلوها فهم، كما قال فى الآية الأخرى: «أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ» «۳»» «۴».

---

(۱) المعجم الزوولوجى الحديث لمحمّد كاظم الملكى ۲/ ۵۳۵.

(۲) وسائل الشيعة ۸/ ۴۸۹، باب كراهة إباء الكرامة، الرقم ۱، وبحار الأنوار ۴۱/ ۵۳ باختلاف يسير.

(۳) سورة الأعراف، الآية: ۱۷۹.

(۴) تفسير المراغى ۲۸/ ۹۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸۳

وأمّا الوجه السابع، وهو علّة قول يحمل معلوماً مع أنّه يُحمّل:

فالأصل من لزوم الإسناد إلى الفاعل فيما لم يكن الفعل ذا وجهين كالأوّل، فإنّ حمل التوراة يكون بالإختيار تارةً وبالإكراه أخرى، فلو قال تعالى حمّلوا التوراة لما فهم معنى الإكراه فيه والحمل بغير الإختيار، فلزم الصرف عن الحامل فيه إلى المحمل، لعدم فوات النكتة. بخلافه هنا، فليس حمله ذا وجهين، بل فى جميع الأوقات تحميل، ولهذا أسند إلى الفاعل الحقيقى.

وأمّا الوجه الثامن، أىوجه التعبير بقوله تعالى: «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ» مع كونه فى أوّل الآية لليهود، وكان يمكن التعبير بضمير يرجع إليهم ويكون أخصر: فلعلّه إفادة أنّ التوبيخ لا يختصّ باليهود، بل يشمل جميع المخالفين الذين لم يؤمنوا بمحمّد صلّى اللَّه عليه وآله، وكذّبوا بآيات اللَّه التى يتلوها عليهم، وإنّ مثلهم مثل اليهود، فكما أنّ اليهود ملومون بعدم اتّباعه مع ذكره صلّى اللَّه عليه وآله فى كتابهم، فكذلك سائر المخالفين والمكذّبين.

وأمّا الوجه التاسع، وهو بيان معنى التكذيب فنقول: التكذيب عبارة عن إسناد الكذب، أىعدم مطابقة الخبر للواقع، أو الإعتقاد على الخلاف فيه إلى الغير، وهو عملىّ وقولىّ، فمصدره الأركان تارةً

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸۴

واللسان أخرى.

والعملىّ: هو، أنْ يعمل الشخص عملًا يخالف قول الآخر، ولهذا يقال: هلك مكذب قولك. والقولى هو: أن يقول كذبت أو كذب فلان، أو يقول ما ينافى قوله.

وعلى هذا، فالآية شاملة لجميع من يكذّب بآيات اللَّه، يهوديّاً كان أم نصرانياً أم مسلماً، فإنّ تارك الصلاة مثلًا مكذب للنّبى صلّى اللَّه عليه وآله عملًا، والمفترى مكذب له قولًا. اللّهمّ أعنّا على العمل الصالح وثبّتنا بالقول الصّادق [۱].

[۱] قال آية اللَّه العظمى السيد أحمد الخونسارى: أنكر اليهود نبوّة نبيّنا صلّى اللَّه عليه وآله، وقالوا بدوام شريعة موسى عليه السّلام قالوا:

إنّ النسخ باطل، لأنّ المنسوخ إن كان مصلحة يقبح النهى عنه، وإن كان مفسدة يقبح الأمر به، وإذا بطل النسخ لزم القول بدوام شرع موسى عليه السّلام.

والجواب: إنّ الأحكام منوطة بالمصالح، تتغيّر بتغيّر الأوقات، وتختلف باختلاف المكلّفين، والشاهد عليه وقوعه فى شرعهم فى مواضع، منها: إنّه قد جاء فى التوراة إنّ اللَّه تعالى قال لآدم وحوّاء قد أبحت لكما كلّما دبّ على وجه الأرض، وورد فيها أنّه تعالى قال لنوح

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸۵

وأمّا الوجه العاشر، وهو سبب قوله «الظالمين» دون الضّالين ودون غيرها من الأوصاف: فلأنّ اللَّه تعالى هادى الضّالين بخلاف الظّالمين، فإنّ الظّالم من يظلم على نفسه مع إتمام الحجّة عليه، فإنّ معنى هدايته بعد إتمام الحجّة إجباره على الهداية، وهو جلّ عن ذلك، لا يجبر أحداً على شىءٍ، كما برهن فى محلّه. وغير الظلم من

عليه السّلام: خذ معك من الحيوان الحلال كذا ومن الحيوان الحرام كذا، فحرم على نوح عليه السّلام بعض ما أباحه لآدم...

وتمسّك اليهود أيضاً بما روى عن موسى عليه السّلام إنّه قال تمسّكوا بالسبت أبداً، والتأبيد يدلّ على الدوام، ودوام الشرع بالسبت ينافى القول بنبوّة محمّد صلّى اللَّه عليه وآله.

وأجيب بوجوه، الأوّل: إنّ هذا الحديث مختلق منسوب إلى ابن الراوندى.

الثانى: إنّ اليهود إنقطع تواترهم، لأنّ بخت النصر إستأصلهم حتّى لم يبق منهم من يوثق بنقله.

الثالث: إنّ التأبيد قد ورد فى التوراة لغير الدوام، كما ... أمروا فى البقرة التى كلّفوا بذبحها أن يكون ذلك سُنّة أبداً، ثمّ انقطع تعبّدهم بها «۱».

---

(۱) العقائد الحقة: ۱۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸۶

الأوصاف، إمّا داخل تحت الظلم، فلا حاجة لذكرها، أو تحت الضّلالة فذكرها غير صحيح كما ذكر.

هذا ما فى هذه الآية المباركة من الدقائق والنكات التى فهمناها، وإن لم يكن قطرة من بحار دقائقها وذرّة من فلوات حقائقها. وأمر التفسير اللفظى والإعراب الظاهرى، موكول إلى التفاسير المتعرضة لهما.

إلفات نظر تجاه التفكير فى قوله تعالى «مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا»:

إنّ الآية تعطينا درساً دينيّاً أخلاقيّاً علميّاً: هل التوراة لها خصوصيّة، أم اليهود لهم الخصوصية؟ كلّا، ويشهد لذلك أنّه سبحانه ذكر بعد ذلك «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ» ولم يقل:

كذبوها، بل لم يقل بئس مثلهم، مع أنّه كان أخصر وبالسبر والتقسيم يظهر:

إنّ ذلك صغرى لكبرى كليّة، وهى أنّ كلّ زعيم إذا قرّر قانوناً صحيحاً لتابعيه، وكلّ ناصح إذا ألقى نصيحة نافعة لُامّته، فانتحلوها ثمّ لم يقبلوها ولم يعملوا بها، فذلك مثلهم. فالأمّة الإسلامية إذا لم يعملوا بالقرآن، ولم يتخلّقوا بأخلاقه، ولم يتبصّروا بمعارفه، مثلهم كمثل الحمار، بل السنّة النّبويّة إذا لم يعمل بها بعد المعرفة بها كالقرآن، بل كلّ من أقرّ بالرسالة ولم يتمسّك بالثقلين [۱] أو لم يف

[۱] أشار قدّس سرّه إلى حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸۷

بأجر الرسالة، وهى مودّة ذى القربى [۱]، مثله كمثل الحمار.

«قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ». «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا» خطاب للنّبى أى: قل يا محمّد، لليهود الذين يفتخرون بكونهم أولياء اللّه وأحبّائه فى مقام الرّد عليهم وإبطال مدّعاهم.

واعلم أنّ وجه الربط بين هذه الآية والآية المتقدّمة، كونها فى مقام إفحام اليهود، فكأنّ هذه الآية برهان على بطلان مقالتهم فى أنّهم

قال ابن حجر الهيتمى: «إعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» «۱».

[۱] أشار قدّس سرّه إلى الآية الكريمة: «قُلْ لاأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبى» «۲»

عن ابن عباس إنّ هذه الآيات لمّا نزلت، قالوا:

يا رسول اللّه: من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلّى اللّه عليه وآله، علىّ وفاطمة وابناهما «... ۳».

---

(۱) الصواعق المحرقة: ۸۹.

(۲) سورة الشورى، الآية: ۲۳.

(۳) الصواعق المحرقة: ۱۰۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۸۸

أولياء اللّه، وهذه الآية بمثابة المباهلة [۱] معهم.

وقيل: إنّ اليهود كانوا يفتخرون على العرب، بأنّ لهم رسولًا وعندهم الكتاب، وأنّهم أحباء اللّه، وأنّ لهم السبت. «۱» فردّ اللّه عليهم فى هذه السّورة كلّها، فذكر فيها بعث الرّسول إليهم وتعليمه إيّاهم الكتاب والحكمة ردّاً للأمر الأوّل. و «قُلْ يا أَيُّهَا الَّذينَ هادُوا» إلى قوله «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا» ردّاً للأمر الثانى. و «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا»...

المشعر بأنّ لهم الجمعة ردّاً للأمر الثالث.

[۱] وهذه الآية شبيهة بآية المباهلة «فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبينَ» «۲»

إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه وآله لمّا دعا نصارى نجران إلى المباهلة، قالوا حتّى نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح، ما ترى؟

فقال: واللّه لقد عرفتم يا معشر النصارى أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وآله نبىّ مرسل ولقد جائكم بالفصل من أمر صاحبكم، واللّه ما باهل قوم نبيّاً

---

(۱) راجع تفسير الرازى ۳/ ۱۸۹، وتفسير ابن كثير ۱/ ۳۹۰- ۳۹۱.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكنّ، فإن أبيتم إلّا

إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم، وغدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله دعا عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهم هؤلاء أهل بيتى، فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ خلفهما، وهو صلّى اللّه عليه وآله يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النّصارى إنّى لأرى وجوهاً لو شاء اللّه إن يزيل جبلًا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة. إمتنعوا المباهلة لقلّة ثقتهم بما هم عليه، وخوفهم من صدق النبىّ صلّى اللّه عليه وآله فى قوله صلّى اللّه عليه وآله: لو باهلونى لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا، فأتوا النّبى صلّى اللّه عليه وآله فقالوا: يا أبا القاسم صلّى اللّه عليه وآله رأينا أن لا نباهلك، وأن تترك على دينك ونثبت على ديننا، قال صلّى اللّه عليه وآله: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا، قال: فإنّى أناجزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك كلّ عام ألفى حلّة، ألف فى صفر وألف فى رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد، فصالحهم على ذلك، وأحجموا عن

ولا يخفى أنّه قد اختلف فى وجه تسميته اليهود يهوداً.

فقيل: لأنّهم كانوا ينتسبون إلى يهوذا، أكبر ولد يعقوب، فعرّبت الذال وحذفت الألف للأستعمال.

وقيل: إنّه اسم جمع من هاد، بمعنى التوبة، لأنّهم تابوا عن عبادة العجل.

وقيل: من الميل، لأنّهم مالوا عن الإسلام وعن دين موسى. وقيل:

من التحرك، لأنّهم يتحرّكون عند قراءة التّوراة «۱»، وفيهما ضعف.

ويطلق الهود عليهم، وهو جمع هائد على ما فى المنجد «۲».

المباهلة، افتضحوا وظهر الحقّ. وقال صلّى اللّه عليه وآله: والذى نفسى بيده إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادى ناراً، ولاستأصل اللّه نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على

النصارى كلّهم حتى يهلكوا، وعلم أنّ عليّاً وفاطمة والحسنان عليهم السّلام هم المراد من الآية، وإنّ أولاد فاطمة وذريّتهم يسمّون أبناء رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة «۳».

---

(۱) راجع مجمع البيان ۱/ ۲۴۱.

(۲) المنجد، كلمة «الهُود».

(۳) فضائل أمير المؤمنين لأحمد بن حنبل: ۴۹، والكشاف ۱/ ۴۳۴، والصواعق المحرقة: ۹۳، ومجمع البيان ۱/ ۱۶۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۱

وفى مجمع البحرين «۱» حذف الياء الزائدة.

«إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» أى إن كنتم تزعمون محبّتكم للَّه تعالى فقط دون غيركم وأنتم أحبّاؤه، فتمنّوا الموت. وها هنا بحثان:

الأوّل: علّة قوله «إِنْ زَعَمْتُمْ» [۱] دون «إن كنتم».

الثانى: سبب قوله «إِنْ زَعَمْتُمْ» دون «إن أيقنتم» أو «إن علمتم» أو غيرهما ممّا يفيد علمهم ويقينهم.

أمّا البحث الأوّل: فلأنّه لا يقال: إن كنتم، إلّاإذا كان المخاطب والمتكلّم أو أحدهما جاهلين بالواقع أو عالمين، كما تقول لمن جهلت شجاعته أو علمت به: إن كنت شجاعاً فاذهب إلى الحرب.

والحاصل: إنّه فرق بين جعل الواقع فى حيّز الشرط وبين جعل إعتقاد المخاطب فى حيّزه، والثانى أوفق بالمقام حيث يعلم كذبهم،

[۱] قال الراغب: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء فى القرآن فى كلّ موضع ذم القائلون به، نحو: زعم الذين كفروا، بل زعمتم، كنت تزعمون، زعمتم من دونه «۲».

---

(۱) مجمع البحرين ۴/ ۴۴۲.

(۲) المفردات: ۲۱۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۲

وإنّ الواقع ليس كما يقولون.

وأمّا البحث الثانى: فلأنّه لا يقال: إلّاإذا كان المخاطب متيقّناً بصحة ما ادّعاه، سواء كان مطابقاً للواقع أم لا، وسواء كان المتكلّم يعتقد ذلك أم لا.

والحاصل: إنّ الصّدق تارةً يكون خبريّاً، وهو الكلام المطابق للواقع وإن لم يكن مطابقاً للاعتقاد، بل وإن كان بزعم المتكلّم كذباً، وأخرى يكون مخبريّاً، وهو الكلام المطابق للإعتقاد وإن لم يكن مطابقاً للواقع، وما نحن فيه من هذا القبيل، لأنّه لا يستعمل اليقين إلّا مع اعتقاد المخاطب بصحّة المدّعى مطلقاً.

هذا، فقوله تعالى «إِنْ زَعَمْتُمْ» متضمّن للأمرين: عدم مطابقة المدّعى للواقع، وعلم المتكلّم بعدم مطابقته، فيكون مثل إدّعاء، لعدم كونهم كذلك، وبرهانه ما يليه، ولا يخفى لطفه.

واعلم أنّ الأولياء جمع وليّ، وهو الحرىّ بالنصرة ناصراً حين الإنتصار، فمن يكون ناصراً للَّه، يكون ناصراً له صلّى اللَّه عليه وآله، كما قال تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» «۱».

«فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» يقع الكلام فيه من وجوه:

---

(۱) سورة محمّد «صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم»، الآية: ۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۳

الأوّل: معنى التّمنى والكلام فيه.

الثانى: ما هو الأمر بالتّمنى.

والثالث: هل يمكن الأمر به أم لا؟

الرابع: هل يمكن التمنى أى‌طلبه أم لا؟

الخامس: سَبَب قوله «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ».

السادس: بيان القياس.

أمّا الوجه الأوّل، فنقول: قد اختلفت الأقوال فيه:

ففى مجمع البيان عن أبى هاشم: التّمنى معنى فى النفس، ومن قال بذلك قال: ليس هو من قبيل الشهوة ولا- من قبيل الإرادة، لأنّ الإرادة لا تتعلّق إلّابما يصحّ حدوثه، والشهوة لا تتعلّق بما مضى، والإرادة والتمنى قد يتعلّقان بما مضى «۱». ويؤيّده ما ذكره الرّضى: «من أنّ ماهيّة التمنى محبّة حصول الشيء، أعمّ من إنتظاره وترقّب حصوله، أم لا» «۲» وإن كان ظاهر كلامه خلاف ما ذكره أبو هاشم من تعلّقه بالماضى.

لكن أكثر اللّغويين على كونه من جنس الكلام، وهو قول القائل

---

(۱) مجمع البيان ۳/ ۵۳ مع اختلافٍ فى بعض الألفاظ.

(۲) شرح الكافية، رضى الدين الأسترآبادى: ۳۳۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۴

لما كان: ليته لم يكن، ولما لم يكن: ليته كان، فهو يتعلق بالماضى والمستقبل «۱»، وإن كان بعضهم أيضاً يصرّح بكونه بمعنى الإرادة. هذا، وليس التعرّض لتحقيق الحال هاهنا بمهمّ، لظهور إرادة التلفظ كما سيأتى.

وأمّا الوجه الثانى، ما هو الأمر بالتّمنى؟ فالظاهر أن يقال: هو أمر تكذيبى، نظير الأمر الإمتحانى ... والتعجيزى، يعنى أنّ المراد من الأمر إرادة ظهور كذبهم، كما أنّ الغرض من قولك: إن كنت سخيّاً فابذل، هو ذلك، فهذا الأمر ليس إرشاديّاً ولا مولويّاً [۱].

[۱] الأمر المولوى، هو الأمر الصادر من المولى بداعى البعث إلى المطلوب، بداعى إظهار الإعتبار النفسى الذى يعتبره المولى فى حقّ العبد.

والأمر الأرشادى، هو الأمر الصادر بداعى المصلحة فى متعلّق الأمر، ولما لم يكن أمر اللَّه لليهود بتمنى الموت بداعى البعث حقيقة ولا لمصلحة فى نفس التمنى، لم يكن مولوياً ولا إرشاديا، بل هو أمر بداعى التكذيب، أى‌تكذيب دعوى اليهود محبّتهم للَّه ومحبة اللَّه لهم.

---

(۱) مجمع البحرين ۴/ ۲۳۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۵

وأمّا الوجه الثالث: هل يمكن الأمر بالتمنى أم لا؟ فنقول: لما كان المراد بالتمنى التلفظ لا الأمر القلبى، أمكن الأمر به، وإنّما لم يكن الأمر بالتمنى القلبى، لعدم الإختيار، وأمّا أنّ المراد به التلفظ، فلكونه فى مقام المباهلة، كما فى مجمع البيان فى تفسير الآية فى سورة البقرة عن الكلبى عن ابن عباس أنّه قال: «كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يقول لهم: إن كنتم صادقين فى مقالتكم فقولوا: اللّهمّ

أمتنا، فوالذى نفسى بيده لا يقولها رجل إلّاغص بريقه فمات مكانه» [۱]. وهذا صريح فى الأمر بالتلفظ.

[۱] قال الطبرسى قدّس سرّه: «وفى ذلك أعظم دلالة على صدق نبيّنا وصحّة نبوته، لأنّه أخبر بالشىء قبل كونه فكان كما أخبر، وأيضاً:

فإنّهم كفوا عن التمنى للموت لعلمهم بأنّه حقّ، وأنّهم لو تمنّوا الموت لماتوا.

وروى الكلبى عن ابن عباس أنّه قال: كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يقول لهم إن كنتم صادقين فى مقالتكم فقولوا: اللّهمّ أمتنا، فوالّذى نفسى بيده لا يقولها رجل إلّاغص بريقه فمات مكانه، وروى أنّه صلّى اللَّه عليه وآله قال: لو تمنّوا لماتوا عن آخرهم «۱».

---

(۱) مجمع البيان ۱/ ۱۶۴ و ۵/ ۲۸۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۶

أمّا الوجه الرابع: هل يمكن التمنى أم لا؟ فنقول: إنّ التّمنى سواء كان باللسان أو بالقلب، يمكن طلبه، أمّا إن كان باللسان، كما هو المراد هاهنا على الظاهر، فظاهر، وأمّا إن كان بالقلب وهو من الأمور غير الإختيارية، فيمكن تحصيله بتحصيل مقدّماته، كما هو طريق تحصيل غير الإختيارى من الأمور، كالحبّ والبغض والسّخاء والشّجاعة، إلى غير ذلك من الحالات والملكات، بحسب القوى المودعة فى النفس.

وأمّا الوجه الخامس، سبب قوله: «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»: فهو لتقوية بيان كذب إدعائهم، أى «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» فى زعمكم ولايتكم للَّه تعالى «فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ» [۱].

واعلم، أنّهم لو تمنّوا الموت لكان دليلًا على محبّتهم للَّه من وجوه:

[۱] قال ابن كثير: أىإن كنتم تزعمون أنّكم على هدى، وأنّ محمّداً وأصحابه على ضلاله، فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين «۱».

---

(۱) تفسير القرآن العظيم ۴/ ۳۶۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۷

الأوّل: وجوده فى التوراة، كما عن على بن إبراهيم القمى قال:

إنّ فى التوراة مكتوب: أولياء اللَّه يتمنّون الموت «۱».

الثانى: لتخلّصه من دار البلية التى تشغله بآلامه الطبيعية عن القيام بوظائف المحبّة، وهو لم يبلغ درجة أن لا يرى الألم ألماً ولا ينشغل به، فيتمنى الموت حتى يتفرغ قلبه عمّا يلهيه عن ذكر حبيبه.

الثالث: للإنتقال إلى دار الكرامة وإلى لقاء اللَّه تعالى وإن كان ههنا فى الراحة والنعيم، حيث إنّ حجاب عالم المادة ممّا يؤذيه غاية الإيذاء، فيتمنّى ارتفاع هذا الحجاب، والتخلص من أذاه حتى تتبدل حياته المادية المغمورة بالحجب إلى الحياة الكاملة المقرونة بالمكاشفات، فيكشف عنه غطاؤه وبصره اليوم حديد.

ولا يخفى: أنّ ما فى الآية ميزان محبّة اللَّه تعالى، فمن رأى نفسه شائقاً إلى الموت، وكان متمنّياً له، كان محبّاً للَّه تعالى، ومن لم يكن كذلك لم يكن محبّاً.

ولهذا ترى أمير المؤمنين عليه السّلام والصّلاة، يقول: «واللَّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمّه» «۲»، وفى محلّ

---

(۱) تفسير القمى ۲/ ۳۶۶.

(۲) بحار الأنوار ۲۸/ ۲۳۴، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۱/ ۲۱۳، وشرح أصول‌الكافى للشيخ محمّد صالح المازندرانى: ۴۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۸

آخر بعد ما قال له الحسن عليه السّلام: ما هذا زىّ الحرب: «يا بنى، إنّ أباك لا يبالى وقع على الموت، أو وقع الموت عليه» «۱». وكذا كان سائر أوليائه.

هذا، وغير خفىّ على الفطن العارف، أنّ الموت كما أنّه هادم اللذات والشهوات، كذلك ذكره هادم ذكرها، فمن ذكر الموت بحقيقة التذكر، فما دام كذلك، فهو منصرف عن اللّاهوتيّة النفسانية واللذات الشهوانية وعن ذكرها، وسيأتى فى تفسير الآية الآتية القسم المذموم من التّمنى. وفى المقام مطالب لا تناسب التفسير.

وأمّا الوجه السادس: بيان القياس فنقول: القياس إستثنائى، ينتج من رفع التالى رفع المقدّم. صورته: إن كنتم أولياء للّه فتمنّوا الموت، ولا يتمنّونه، فلا يكونون أولياء له تعالى.

أمّا الملازمة بين التمنّى والولاية للّه، فظاهرة ممّا سبق، وأمّا الملازمة بين عدميهما، فلأنّ ما ينعكس بعكس النقيض إذا جعل قياساً، كان رفع تاليه مستلزماً لرفع مقدّمه، لأعميّة التالى أو مساواته له.

إن قلت: لا نسلّم الملازمة بين الولاية وتمنّى الموت، لإمكان

---

(۱) مناقب آل أبى طالب لابن شهرآشوب ۱/ ۳۸۵، وبحار الأنوار ۴۱/ ۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۹۹

أن يكون وليّاً للّه حقيقة ولا يتمنّى الموت، بل يرغب فى البقاء فى الدنيا، لإتيان الأعمال الصالحة أكثر حتى ترتفع درجته.

قلت: إنّ المحبّ الحقيقى لا يريد إلّاالوصول إلى محبوبه، وإن فاته بسببه المنافع الكثيرة، وإلّا لم يكن تامّاً فى محبّته، مشتاقاً إلى لقاء محبوبه [۱].

واعلم: أنّ الجواب بالنقض- بأن يقولوا: نقتلك لتصل إلى النعيم الأبد، لأنّك تقول مثل مقالتنا- مردود، بأنّ عرض النفس على الهلاك حرام، لقوله تعالى «وَلا تُلْقُوا بِأَيْديكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» «۱»

، وبأنّ المقصود من البعث، هو التبليغ والهداية إلى الطريق المستقيم ولم يحصلا.

[۱] قال الطنطاوى: خاطب اليهود وقال لهم: إن كنتم خواص اللّه حقّاً فما لكم لا تحبّون الموت بقلوبكم؟ كلّا، أنتم لستم خواص للّه، بل أنتم كعامة الناس تفرّون من الموت والموت ملاقيكم، هكذا ظاهر القول، ولكن حقيقته تعليم المسلمين، فهو من حيث الظاهر ذمّ لليهود من جهة وتكذيب، ومن جهة أخرى تعليم للمسلمين ليعرفهم من هم أولياء اللّه «۲».

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۱۹۵.

(۲) تفسير الجواهر ۲۴/ ۱۷۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۰

ثمّ، إن قيل: ما الدليل على عدم تمنّيهم الموت فلعلّهم تمنّوا ذلك، وقوله تعالى «وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ» لا يصحّ الإحتجاج به مع اليهود، لعدم اعترافهم بالقرآن.

قلنا: لو تمنّوا الموت، لنقل إلينا، مع أنّه لم ينقل.

وفى المقام مباحث أخر ذكرت فى المطولات، فليراجع إليها.

«وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ وَاللَّهُ عَليمٌ بِالظَّالِمينَ».

أى لا يقولون: اللّهمّ أمتنا، بسبب ما قدّمت أيديهم من الكفر والمعاصى، وإنكار القرآن، وتحريف التوراة الموجب لتعذيبهم وتخليدهم فى النار، لأنّهم كانوا عالمين بأنّهم الكاذبون، وأنّ محمّداً صلّى اللَّه عليه وآله وأوليائه هم الصادقون.

واعلم أنّ المشهور ما ذكرنا من أنّه كان المراد بتمنّيهم الموت تمنّيهم لأنفسهم، وفى بعض التفاسير تمنّيهم الموت للكاذب من الطرفين. ولا يخفى أنّ هذا أوضح دليل على نبوّة نبيّنا صلّى اللَّه عليه وآله، لأنّه أخبر بالشىء قبل كونه وكان كما أخبر به.

ووجه التعبير «بِما قَدَّمَتْ أَيْديهِمْ» مع أنّ الإنكار كان باللسان:

حصول الجناية فى الغالب بها، وهذا الإستعمال شايع فى العرف.

وقد تقدّم والكلام فى لفظ «الظّالمين» [۱].

[۱] قال صدر المتألّهين قدّس سرّه: ولا يتمنّونه الموت لما

اكتسبت نفوسهم من ملكة محبّة الدنيا ولذّاتها وشهواتها وملكة الإنجذاب إلى دواعيها وأغراضها، فصارت نفوسهم مقيّدة بها، محبوسة فيها لتكرّر الأفاعيل البدنية الشهوية والغضبية، وتكثّر الأعمال الحيوانيّة البهيميّة والسبعية، الموجبة للركون إلى نعيم الدنيا وزهرتها، والإخلاد إلى أرض الشهوات والإستغراق فى بحر اللذات، ومنشأ هذه الأعمال والأفعال كلّها هو الفساد فى الإعتقاد، والشكّ فى بقاء النفس فى المعاد ورجوعها إلى الواحد القهّار «... ۱».

وقال الطبرسى: إنّ اللَّه تعالى عليم بالأسباب التى منعتهم عن تمنّى الموت، وبما أضمروه وأسرّوه من كتمان الحقّ عناداً، مع علم كثير منهم أنّهم مبطلون، وروى عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أنّه قال: «لو أنّ اليهود تمنّوا الموت لماتوا أو لرأوا مقاعدهم فى النار، فقال اللَّه سبحانه:

إنّهم لن يتمنّوه أبداً، تحقيقاً لكذبهم»، وفى ذلك أعظم دلالة على صدق نبيّنا صلّى اللَّه عليه وآله وصحّة نبوّته، لأنّه أخبر بالشىء قبل كونه فكان كما أخبر «۲».

---

(۱) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۷/ ۱۹۸.

(۲) مجمع البيان ۱/ ۱۶۴.

«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ».

أى قل يا محمّد صلّى اللَّه عليه وآله لهؤلاء اليهود: إنّ الموت الذى تفرّون منه ولا تتمنّونه خوفاً من العقاب بسبب التحريف والإنكار، ملاقيكم ولا يفيدكم الفرار، ثمّ تردّون إلى عالم الغيب والشّهادة، فيخبركم بأعمالكم وما فعلتم فى دار الدنيا، وفى هذه الآية مباحث:

الأوّل: أنّه هل ينبغى الفرار من الموت، أم لا؟ وما معنى الفرار؟

الثانى: سبب إدخال الفاء فى قوله (فإنّه).

الثالث: معنى الشرط والجزاء، مع أنّ الموت ملاقيهم على أىّ حال.

الرابع: سبب قوله (ثمّ) الظاهرة فى التراخى.

الخامس: قوله (تردّون) الدالّ على المجىء من طرفه، دون (تأتون).

السادس: إختصاص الوصف بعالم الغيب والشهادة، دون غيرهما من الأوصاف.

السابع: قوله ينبّئكم، دون يجزيكم.

أمّا البحث الأوّل، فنقول: الفرار هو الهرب، ويكون تارةً بتبعيد النفس عن الشىء المكروه، وأخرى بتبعيده عنها، وثالثة بالمنع من

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۳

وصوله إليها، وهذا الأخير هو الظاهر فى الآية، لأنّهم كانوا يمنعون من وصول الموت إلى أنفسهم بعدم التمنّى. هذا، والفرار مسبّب لأحد أمرين:

الأوّل: حبّ الدنيا والعلاقة بما فيها من الزخارف، مع العلم بعدم النصيب من الآخرة، وهذا هو الفرار المذموم [۱] ولهذا ترى أولياء اللّه يتمنّون الموت لعدم حبّهم وعلاقتهم بالدنيا وما فيها، ورجائهم رحمة ربّهم، كما تقدّم فى تمنّى أمير المؤمنين عليه السّلام للموت.

الثانى: تحصيل رضى اللّه سبحانه بالبقاء والخوف من عقابه وهو من صفة المؤمن، كما قال اللّه تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها» «۱»

وهذا هو الفرار الممدوح، وفى الحقيقة ليس بفرار، لعدم صدقه على الخائف والمتجنب عن الخلاف، وأيضاً: لا منافاة بين الإشفاق والتمنّى، كما هو ظاهر.

[۱] عن أبى عبداللّه عليه السّلام قال: جاء رجل إلى أبى ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنّكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب «۲».

---

(۱)

سورة الشورى، الآية: ۱۸.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۱۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۴

هذا، والفرار من الموت غير حرى لدى العاقل، لأنّه لا يستقدم ساعة ولا يستأخر، وفى المجمع عن أمير المؤمنين عليه السّلام «كلّ امرىء لاق ما يفرّ منه، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته» «۱». وفى الصّافى عن القمّى عنه عليه السّلام قال: «أيّها الناس كلّ امرىء لاق فى فراره ما منه يفر، والأجل مساق النفس إليه، والهرب منه موافاته» «۲».

فإن قيل: على ما ذكرتم من قبح الفرار لعدم فائدته، حيث إنّ الموت لا يستأخر، يلزم قبح تمنّيه بمثل ذلك، فما وجه تمنّى بعض أوليائه له؟

قلت: ليس التمنّى مثل الفرار، لأنّه يصحّ تمنّى الشىء الذى لا يقع، فإنّه عبارة عن إظهار حبّ الشىء، وهو لا ينافى العلم بعدم الوقوع، قال إسماعيل بن قاسم أبو العتاهية:

فياليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب «۳»

ونفس إظهاره عبادة، حيث إنّه تشوق إلى لقاء اللّه تعالى وإلى دار كرامته، وهو إقبال النفس إلى الآخرة، كما أنّه إدبار النفس عن

---

(۱) مجمع البيان ۱۰/ ۳۶۶.

(۲) تفسير القمّى ۲/ ۳۶۶- ۳۶۷، وتفسير البرهان ۵/ ۳۷۷، وتفسير الصّافى ۵/ ۱۷۳.

(۳) ديوان أبى العتاهية: ۲۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۵

الدنيا وزخارفها، وإن شئت قلت: إقبال إلى اللّه سبحانه وإدبار على ما سواه، بخلاف الفرار فإنّه بالعكس من التمنّى ولوازمه.

ويمكن أن يجاب أيضاً: بأنّ التّمنى مؤثّر فى تقديم الأجل تكويناً، بمعنى أنّه مثل الدعاء، فكما أنّ الدعاء مؤثّر تكويناً، أى‌قدّر للداعى الغنى مثلًا، لكن بشرط الدعاء الواقع لا محالة بالإختيار، فكذلك المتمنى للولد مثلًا الذى قدّر له الولد، يتزوّج لا محالة، فالولد وإن

كان لابدّ وإن يعطى لكن بالأسباب، فإنّه أبى اللّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها.

هذا، والكلام فى هذا الباب كثير لا يسعه التفسير فليطلب من محلّه.

وأمّا البحث الثانى- أعنى سبب إدخال الفاء فلأنه فى معنى الجزاء.

ويمكن أن تكون سببيّة، تنبيهاً ودلالةً على أنّ الفرار سبب للملاقاة، مثله فى قوله تعالى «فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ» «۱» «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» «۲»

فإنّ الوكز والتلقى كانا سبباً للموت والتوبة. وتدلّ عليه الرواية المتقدّمة عن علىّ عليه السّلام: «والأجل مساق النفس».

---

(۱)

سورة القصص، الآية: ۱۵.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۳۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۶

وأمّا البحث الثالث: أعنى معنى الشرط والجزاء مع أنّ الموت ملاقيهم على كلّ حال، فقد قيل: إنّ هذا على جهة الرّد عليهم، إذ ظنّوا أنّ الفرار ينجيهم. وهذا مخدوش، لعدم تسليم أنّهم ظنّوا النجاة بسبب الفرار من الموت أو العذاب، وذلك لعلمهم بعدم نجاتهم منهما، وإن أريد ظنّهم الفرار حالًا وعدم موتهم وتعذيبهم حالًا، فلا يصحّ الرّد كما هو ظاهر. والصحيح أن يقال: لما كانت الفاء سببية، لم نحتج إلى جعل الجملة جواباً والتكلف لبيان الشرط.

وأمّا البحث الرابع: أىسبب الإتيان بلفظ ثمّ الدالّة على التراخى، فهو الإشارة إلى فصل البرزخ بين هذه النشاة والنشأة الأخرى [۱]، فإنّ يوم الرّد إلى اللّه تعالى والغالب فى إطلاقه هو يوم القيامة، وإن كان الموت سبباً للرّد.

[۱] قال الطريحى: البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. ومنه الحديث: «كلّكم فى الجنة ولكنّى واللّه أتخوف عليكم البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال:

من حين الموت إلى يوم القيامة». ومن حديث الصّادق عليه السّلام:

البرزخ القبر، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة «۱».

---

(۱) مجمع البحرين ۱/ ۱۸۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۷

وأمّا البحث الخامس: أىالإتيان بلفظ «تردُّون» دون أن يقال (يأتون) ونحو ذلك، فالنكتة فيه: أنّ العبد بالمعصية والتّمرد يكون قد فرّ عن مولاه، وصار آبقاً وضالّاً، والمناسب مع الإباق والضّلالة هو الرّد، حيث يقال: ردّ الآبق، ردّت الضّالة. ومن ذلك يعلم سرّ التعبير بصيغة المبنىّ للمجهول المشعر بالزجر والعنف، فإنّ الآبق يردّونه بالزجر عليه، لا أنّه يأتى بنفسه وطبعه، وإلّا لما أبق من الأوّل، وبالقهر عليه يأتون به إلى اللّه، وقد فرّ عنه تعالى بطبعه الأوّلى وعصاه، وتمرّد وبعد عنه، نعوذ باللّه سبحانه من ذلك.

وأمّا البحث السادس، أعنى اختصاص الوصف بعالم الغيب والشهادة دون سائر الصفات، فقد جاء تنبيهاً على أنّ المرجع ليس من لا يعلم الغائب عن الأبصار، حتّى تتمكّنوا من إنكار ما كنتم تعلمونه فى ضمائركم من صفات النّبى صلّى اللّه عليه وآله، وتعتقدون أنّه هو فى باطن الأمر، وتخفون من الناس حذراً عن قطع رواتبكم واضمحلال رياستكم الباطلة، ولا ممّن يعلم المشاهد حتّى تقدروا على إنكار ما أضللتم الناس عن طريق الهدى، وأوقفتموهم على التوراة المحرّفة، وقلتم أنّ محمّداً صلّى اللّه عليه وآله لم يأت بعد، وسائر الأكاذيب.

وليس يفيد غيرهما من الصّفات والأسماء هذا المعنى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۸

بالصراحة، ولو أطلق العالم لم يفده وإن كان شاملًا، وكذا لفظ الجلالة.

وأمّا البحث السابع، وهو سبب قوله «فَيُنَبِّئُكُمْ» دون يجزيكم معه، أو يجزيكم بدونه، مع أنّ يوم القيامة يوم الجزاء، فهو الدلالة على أنّ ذلك اليوم تتمّ الحجّة عليهم بما فعلوا، أىليس يوم القيامة يجزى الناس من دون عرض أعمالهم، بل تعرض أعمالهم حتّى لم يكن لهم حجّة، ثم يجزون بما فعلوا، ولو قال: يجزيكم، لم يفد ذلك.

وكذا لا احتياج إلى ذكر (يجزيكم) بعد (ينبئكم)، لأنّ الإخبار بما فعلوا لولا الجزاء كان لغواً، جلّ عن ذلك. والخلاصة: إنّ الجزاء من الأخبار ظاهر لكونه لازمه، فلا يحتاج إلى ذكره معه، وعن الجزاء ليس الإخبار ظاهراً، فلا يكون مكانه. هذا.

ويستفاد من إتيان الفاء الدالة على التراخى بظاهرها: تعطيلهم فى المحشر الموجب لتعذيبهم، فإنّ الوقوف فيه للجرم عذاب شديد.

ونختم الآية بالحديث المروىّ عن الصّادق عليه السّلام فى هذه الآية قال عليه السّلام تعدّ السنين، ثمّ تعدّ الشهور، ثمّ تعدّ الأيّام، ثمّ تعدّ الساعات، ثمّ يعدّ النفس «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لايَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ» «۱»

، والمعنى: إنّ السنين تعدّ إلى السنة التى فيها

---

(۱) تفسير البرهان ۴/ ۳۳۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۰۹

يموت، وهكذا الشهور والأيّام والساعات والأنفاس حتى النفس الأخير. لا أنّ المعنى: تعدّ النفس حتّى يصير ساعة، ثمّ السّاعات حتّى يصير يوماً، ثمّ الأيّام حتى يصير شهراً، ثمّ الشهور حتّى يصير السّنة، ثمّ السنين حتّى يجىء أجله، فيشكل بأنّه لماذا عكس فى الرواية، فتدبّر جيّداً [۱].

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: «ففى الآية إيذانهم، أوّلًا: إنّ فرارهم من الموت خطأ منهم فإنّه سيدركهم ويلاقيهم، وثانياً: إنّ كرامتهم لقاء اللَّه خطأ آخر، فإنّهم مردودون إليه محاسبون على أعمالهم السيئة، وثالثاً: إنّه تعالى لا يخفى عليه شىء من أعمالهم ظاهرها وباطنها ولا يحيق به مكرهم، فإنّه عالم الغيب والشهادة.

ففى الآية إشارة أوّلًا: إلى أنّ الموت حقّ مقضى، كما قال «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» «۱»

وقال: «نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» «۲»

، وثانياً: إنّ الرجوع إلى اللَّه لحساب الأعمال حقّ لا ريب فيه، وثالثاً: إنّهم سيوقفون على حقيقة أعمالهم، فيوفونها، ورابعاً: إنّه

---

(۱) سورة الأنبياء، الآية: ۳۵.

(۲) سورة الواقعة، الآية: ۶۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۰

تعالى لا يخفى عليه شىء من أعمالهم، وللإشارة إلى ذلك بدل اسم «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ».

فى هذه الآية مباحث:

الأوّل: وجه التعليق بما قبل، أىالربط بينها وبين الآية السابقة.

الثانى: وجه الخطاب بنحو القضيّة الشرطيّة الحقيقيّة.

الثالث: وجه الخطاب بالمؤمنين، ولم يذكر يا أَيُّهَا النَّاسُ، كما فى بعض الموارد، مع أنّ الكفّار لما كانوا مكلّفين، لزم توجّه الخطاب إليهم أيضاً.

الرابع: سبب قوله «إِذا» وما يستفاد منه.

الخامس: الإتيان بلفظ المجهول «نُودِيَ»، وعدم ذكر المفعول به، بأن يقول نوديتم، ولم أتى بلفظ النداء دون الأذان.

السادس: إدخال مِنْ فى قوله «مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

السابع: معنى الجمعة.

الثامن: سبب قوله «فَاسْعَوْا» دون فامضوا أو اسرعوا.

التاسع: وجه قوله «إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» دون إليها مع أنّه أخصر.

الجلالة من قوله عالم الغيب والشهادة» «۱».

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۹ و ۳۱۰.

العاشر: التصريح بقوله «ذَرُوا الْبَيْعَ»، مع أنّه يستفاد من قوله تعالى «فَاسْعَوْا»، للمنافاة بينهما.

الحادى عشر: إختصاص البيع بالذكر.

الثانى عشر: معنى قوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» ووجه الخيرية.

الثالث عشر: معنى الشرطية، فإنّهم سواء علموا أم لم يعلموا كان ذلك خيراً.

الرابع عشر: وجه قوله تعالى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» دون تَفْقَهُونَ، أو نحو ذلك.

ويذكر فى طى كلّ من المباحث مطالب لها ربط بالمقام.

أمّا البحث الأوّل: فوجه الربط.

۱- ما ذكرنا سابقاً من أنّ السّورة فى مقام إبطال مباهاة اليهود بالأمور الثلاثة التى مرّ ذكرها. وهذا ظاهر، لأنّه لمّا فرغ من الأمرين الأوّلين شرع فى الأمر الثالث، أعنى بيان إنّ للعرب وللمسلمين الجمعة، كما إنّ لليهود السبت.

۲- إنّه لما قال فى أوّل السورة «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» أراد أن يبيّن ذلك تفصيلًا، فإنّ صلاة الجمعة بما لها من الخطبتين مشتملة على جميع ما ذكر، كما سنذكره إن شاء اللَّه تعالى. وقصّة اليهود مثل وتهديد فى ضمن الكلام،

فلا ينافى الربط.

۳- وقيل: «وجه التعلق بما قبلها، هو إنّ الذين هادوا يفرّون من الموت لمتاع الدنيا وطيّباتها، والذين آمنوا يبيعون ويشرون لمتاع الدنيا وطيّباتها كذلك، فنبّههم اللَّه تعالى بقوله «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» أى إلى ما ينفعكم فى الآخرة، وهو حضور الجمعة» «۱» انتهى.

وخلاصته: إنّ الآية فى مقام تنبيه المؤمنين بأن لا يكونوا مثل اليهود فى ابتغائهم عرض هذه الدنيا.

وأمّا البحث الثانى: فوجه الخطاب بنحو القضيّة الحقيقيّة، هو التعميم ليعمّ المخاطبين، أعنى الأمّيّين والآخرين الذين «لَمَّا يَلْحَقُوا».

وأمّا البحث الثالث، سبب تخصيص الخطاب بالمؤمنين، مع أنّ الكفّار مكلّفون بالفروع الموجب لتوجّه الخطاب إليهم، فهو كون المؤمنين محلّ الإبتلاء دونهم، وعدم لزوم توجّه الخطاب إلى الكفّار ولو كانوا مكلّفين [۱] وأنّ الكفّار معاقبون على الفروع كمعقابتهم

[۱] الثابت عند علماء الكلام، إنّ الكفّار مكلّفون بالتكاليف الشرعية كالمؤمنين، ولذلك فهم يحاسبون عليها يوم القيامة حتّى لو أتوا

(۱) تفسير الرازى ۳۰/ ۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۳

على الأصول، لأنّ الخطابات المطلقة كنحو (يا أيّها النّاس) والمتوجّه إليهم كمثل (يا أهل الكتاب)، كافٍ فى عقابهم على الفروع، فإنّهم لو آمنوا لشملهم الخطاب، وبتركهم له كانوا عاصين معاقبين، فكذا مع عدم إيمانهم، لأنّهم تعمّدوا ترك الإمتثال بتعمّد عدم الإيمان، فإنّ العقلاء لا يرتابون فى ذمّ عبد ترك أمر المولى بالنسبة إلى فعل معيّن، لتركه المجيء عنده للأمر الذى كان مأموراً به، ولا محلّ لاعتراضه على المولى بانّك خاطبت الحاضرين ولم أكن معهم.

وأمّا البحث الرّابع، أى سبب التعليق (بإذا): فهو إفادة عدم لزوم السّعى إذا لم يناد لصلاة الجمعة، فإنّ المشروط ينعدم عند عدم شرطه، وصلاة الجمعة ليست كسائر الصّلوات واجباً مطلقاً، فإنّها حيث كانت مطلقة لم يعلّقها فى الآيات بشيء كقوله «أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» «۱»

وقوله «حافِظُوا عَلَى بها، فإنّهم حال كونهم كفّار لا يتأتى منهم قصد القربة، ولكن اختلف علماء الكلام فى أنّهم مكلّفون بالإعتقاد بأصول العقائد فقط، أو أنّهم مكلّفون بالفروع أيضاً.

(۱) سورة الإسراء، الآية: ۷۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۴

الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى» «۱»

وقوله «إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنينَ كِتابًا مَوْقُوتًا» «۲».

ويستفاد من التعليق (بإذا) أيضاً: عدم لزوم تحصيل النداء، كما هو شأن الواجب المشروط كالحجّ، فإنّه لا يجب تحصيل الزاد والراحلة، وكذا غيره من الواجبات المشروطة بشيء، كالخمس والزكاة وغيرهما [۱]. نعم، الظاهر أنّ وليّ الأمر من النّبى صلّى اللّه عليه وآله والوصىّ عليه السّلام أو من كان منصوباً خاصّاً من قِبَلهما يتصدّى للنداء، ويأمر به فى يوم الجمعة، بحيث كان ذلك من الوظائف المقرّرة فى الشريعة، كما ربما يستفاد ذلك من بعض الروايات بل كادت تكون صريحة فيه.

[۱] المطلق والمشروط: تنقسم الواجبات فى الشريعة الإسلاميّة إلى واجب مطلق، وواجب مشروط، وأنّ الواجب إذا قيس وجوبه إلى شيءٍ آخر خارج عن الواجب، فهو لا يخرج عن أحد نحوين: ۱- أن يكون متوقّفاً وجوبه على ذلك الشيء، وهو- أى الشيء- مأخوذ فى وجوب الواجب على نحو الشرطية، كوجوب الحجّ بالقياس إلى

(۱) سورة البقرة، الآية: ۲۳۸.

(۲) سورة النساء، الآية: ۱۰۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۵

وأمّا فى عصر الغيبة والمنصوبين بالنّيابة العامّة، فلا دليل على وجوب النداء عليهم، لكنّهم إن تصدّوا لذلك، أو تصدّى غيرهم له، واجتمع العدّة، أعنى الخمسة أو السبعة، لوجب على الكلّ الحضور للصّلاة، واللّه العالم [۱].

الإستطاعة، وهذا هو المسمّى بالواجب المشروط، لإشتراط وجوبه بحصول ذلك الشيء الخارج، ولذا لا يجب الحجّ إلّاعند حصول الإستطاعة ۲- أن يكون وجوب الواجب غير متوقّف على حصول ذلك الشيء الآخر، كالحجّ بالقياس إلى قطع المسافة وإن توقّف وجوده عليه، وهذا هو المسمّى بالواجب المطلق، لأنّ وجوبه مطلق غير مشروط بحصول ذلك الشيء الخارج، ومنه الصّلاة بالقياس

إلى الوضوء والغسل والساتر ونحوها. ومن مثال الحجّ يظهر أنّه- وهو واجب واحد- يكون واجباً مشروطاً بالقياس إلى شيءٍ، وواجباً مطلقاً بالقياس إلى شيء آخر، فالمشروط والمطلق أمران إضافيان. ثمّ اعلم أنّ كلّ واجب، هو واجب مشروط، بالقياس إلى الشرائط العامّة، وهى البلوغ والقدرة والعقل، فالصّبى والعاجز والمجنون لا يكلّفون بشيء فى الواقع «۱».

[۱] لا شكّ أنّ صلاة الجمعة واجبة فى الشريعة الإسلاميّة، لكن

---

(۱) أصول الفقه للمظفّر قدّس سرّه ۱/ ۸۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۶

ذهب ابن ادريس وسلّار والسيّد المرتضى وغيرهم من الفقهاء الإماميّة، إلى أنّ وجوبها مشروط بوجود النّبى صلّى اللّه عليه وآله أو الإمام عليه السّلام أو النائب الخاصّ، المنصوص من النّبى أو الإمام، وحيث إنّ عصرنا هذا هو عصر الغيبة الكبرى، فإنّ الإمام الحجّة بن الحسن المهدى صاحب الزمان أرواحنا له الفداء غائب عن الأنظار، أفتوا بحرمة إقامة الجمعة «۱».

وذهب بعض كالشهيد الثانى وغيره إلى أنّ وجود النّبى صلّى اللّه عليه وآله والإمام عليه السّلام أو النائب الخاصّ لم يكن شرطاً، بل تجب صلاة الجمعة فى جميع الأزمنة، وذهب بعض إلى التخيير بين إتيان الظهر أو صلوة الجمعة، وهو الأشهر، كما قال به آية اللّه العظمى السيّد أحمد الخوانسارى:

«قد يجمع بين الأخبار الّتى تمسّك بها لمشروعيّة إقامة الجمعة مع عدم المنصوب من قبل الإمام عليه السّلام، وبين ما يستفاد منه عدم مشروعيّة الجمعة إلّامع الإمام عليه السّلام أو من يكون منصوباً من قبله، بأن يكون وجوب صلاة الجمعة بحسب الجعل الأوّلى مشروطاً بأن

---

(۱) راجع حجّة التفاسير ۷/ ۱۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۷

يقيمها النّبى صلّى اللّه عليه وآله أو خلفاؤه عليهم السلام أو من يكون منصوباً من قبلهم، فإذا دعوا إليها يجب السّعى إليها على كلّ مكلّف إلّا من استثنى، وفى زمن عدم حضورهم أو كونهم غير مبسوطى اليد، يجب على الناس فى يوم الجمعة صلاة أربع ركعات، وفى تلك الحالة إذا اجتمعوا للجمعة بالعدد المعتبر يصحّ منهم الجمعة مع بقاء مشروعيّة الظّهر بإطلاق المادة، ونتيجته التخيير» «۱».

وذهب بعض إلى أنّه لو اجتمعت الشرائط وجب الحضور إحتياطاً، كما قال به آية اللّه العظمى السيّد ابوالقاسم الخوئى «۲».

وقال السيّد الوالد: لا يجب النّداء لصلاة الجمعة، ولكن إذا نودى لصلوة الجمعة واجتمعت العدّة وجبت، لأنّ الأمر بالسعى فى قوله تعالى «إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» لا يمكن تعلّقه بالصّلاة، فلابدّ وإن يتعلق بإذا نودى، ويكون بياناً لظرف الزمان المستفاد من كلمة (إذا)، ويمكن أن يكون متعلّقاً بالصّلاة بتقدير المدخول، أى للصّلاة من وظائف يوم الجمعة لا لغيرها منها.

---

(۱)

جامع المدارك فى شرح المختصر النافع ۱/ ۵۲۴.

(۲) منهاج الصّالحين ۱/ ۱۸۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۱۸

ثمّ إذا لوحظ ظاهر الكتاب من دون مراجعة الروايات، يمكن أن يقال: إنّ الصّلاة هى طبيعة الصّلاة، ولو كان المراد هو العهد لاختصّ بصلاة الجمعة التى كان الرّسول صلّى اللّه عليه وآله يقيمها، فإنّها المعهود، فتشمل صلاة الظّهر أيضاً، والمبادرة الّتى تستفاد من السّعى

بل ومن الفاء التفريعية الواقعة فى الجزاء المفيدة لتفرّع المادة المنتسبة، أو مفاد الهيئة وهى النسبة التلبسية إلى مقدّم الشّرطية، لا تنافيها، فإنّ وقتها يوم الجمعة ضيق كوقت صلوة الجمعة، وأيضاً الأمر بالسعى لا مجال لإستظهار الوجوب منه، فإنّه محفوف بجملة «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» ولا أقلّ من أنّه يمكن أن يكون جهة الخير بلحاظ أنّ صلاة الجمعة أفضل من عدلها التخييرى، وهو صلاة الظهر.

وبعبارةٍ أخرى: أنّ الخير هو أفعل التفضيل، كما فى قوله تعالى «فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى» «۱»

و «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها» «۲» و «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ» «۳»

هذا كلّه، مضافاً إلى أنّ الآية الشريفة

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۱۹۷.

(۲) سورة النمل، الآية: ۸۹.

(۳) سورة البقرة، الآية: ۵۴.

وأمّا البحث الخامس: فينحلّ إلى ثلاث جهات:

الأولى: وجه الإتيان بلفظ المجهول «نُودِيَ»: هو عدم الخصوصيّة فى الفاعل، فإنّ المقصود وقوع النداء فى الخارج، سواء كان المنادى زيداً أم عمرواً أم بكراً، كما تقول لمنتظر الزوال: إذا أذن فاستعد للصّلاة، حيث لا تريد أذان مؤذن مخصوص، وليست الآية بسببه من المتشابهات كما زعمه بعض- وقال: أتى بالفعل المجهول ولم يذكر المنادى لئلّا يؤخذ بإطلاقه، بل أشار بالإجمال والإهمال وأنّه ليس بصدد البيان، بل أوكل بيانه إلى أولى العلم، قال تعالى «مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» «۱»

إلى آخر ما ذكره من نحو هذه الكلمات- لأنّ الفعل المجهول ظاهر فى التعميم وعدم الخصوصيّة، فإنّ الإتيان به لتعليق الحكم بالواقع فى الخارج من غير نظر إلى شخص معيّن، خصوصاً إذا كان المتكلّم بصدد البيان.

لا تفيد الأمر بايقاع صلاة الجمعة ووجوب النّداء لها، بل تدلّ على الأمر بالسعى على تقدير النّداء، فيكون السّعى إليها واجباً مشروطاً بالنّداء، أمّا

---

(۱) سورة آل عمران، الآية: ۷.

وجوب تحصيل الشرط، فلا تدلّ الآية عليه.

وبالجملة: فإنّ «نُودِيَ» له معنىً ظاهر، وهو الإسناد إلى المفعول له، لدخالته فى الحكم، ولم يسند إلى الفاعل، لعدم مدخلية ذلك فى الحكم، ضرورة أنّه لم يكن فى الشرع للمنادى خصوصيّة يختلف باختلافه الحكم، مثلًا لو لم يكن ينادى بلال [۱] يوماً هل كان

[۱] بلال بالكسر بن رياح الحبشى، كان من السّابقين فى الإسلام، شهد بدراً وأحداً وخندق والمشاهد كلّها مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، وكان ممّن يعذّب فى اللَّه عزّ وجل فيصبر على العذاب، وكان أبو جهل يبطحه على وجهه فى الشمس ويضع الرّحى عليه حتّى تصهره الشمس، ويقول: أكفر بربّ محمّد صلّى اللَّه عليه وآله فيقول: أحداً أحداً، هانت عليه نفسه فى اللَّه عزّ وجلّ، وهان على قومه فأخذوه، فكتفوه، ثمّ جعلوا فى عنقه حبلًا من ليف، فدفعوه إلى صبيانهم فجعلوا يلعبون به بين اخشبى مكّة فإذا ملوا تركوه، وقيل: إشتراه أبو بكر، وهو مدفون بالحجارة ضربته جماثه ضربة ألقى على الأرض، فرآه سلمان وصهيب ملقى على وجه الأرض ميتاً والدم يجرى من تحته، فأخبر النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله بذلك فصلّى النبيّ صلّى اللَّه عليه وآله ركعتين ودعا بدعوات وأخذ كفاً من الماء

فرشّه على بلال فوثب قائماً وجعل يقبّل قدم النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، قال الصّادق عليه السّلام: «رحم اللَّه

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۱

بلالًا فإنّه كان يحبّنا أهل البيت، لعن اللَّه صهيباً فإنّه كان يعادينا» «۱».

وعن جابر، قال: «كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى قبّة من ادم (خيمة اسمر) وقد رأيت بلالًا الحبشى وقد خرج من عنده ومعه فضل وضوء رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به وجهه، ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من يدى صاحبه فمسح به وجهه، وكذلك فعل بفضل وضوء أمير المؤمنين عليه السّلام» «۲»، وبلال أوّل من أذن فى الإسلام وكان مؤذّن رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فى حياته سفراً وحضراً، وكان مسجد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بلا منارة وكان بلال يؤذّن على الأرض.

وعن أبى عبداللَّه عليه السّلام قال: «كان طول حائط مسجد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قامة، فكان يقول صلّى اللَّه عليه وآله لبلال إذا أذن: أعل فوق الجدار وارفع صوتك بالأذان» «۳»، وأذن بلال على ظهر الكعبة فى عمرة القضاء (السنة السابعة من الهجرة) وفى فتح مكّة دخل

---

(۱) الاختصاص: ۷۳.

(۲) بحار الأنوار ۱۷/ ۳۳، باب العشرة معه وتفخيمه، الرّقم ۱۵.

(۳) بحار الأنوار ۸۱/ ۱۴۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۲

رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله مكّة وكان وقت صلاة الظهر، فأمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله بلالًا فصعد على ظهر الكعبة فأذن، فما بقى صنم بمكّة إلّاسقط على وجهه» «۱».

فلمّا توفّى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله إمتنع بلال من الأذان، وقال: لا أؤذّن لأحد بعد رسول اللَّه، وغضب عليه عمر بن الخطاب لإبائه البيعة مع أبى بكر، فقال له عمر: لا أبالك لا تقم معنا، فارتحل بلال إلى الشّام، ولمّا دخل الشّام لم تر باكياً أكثر من ذلك اليوم، ورأى النّبى صلّى اللَّه عليه وآله فى منامه، وهو يقول: ما هذه الجفوة يا بلال، ما آن لك أن تزورنا؟ فانتبه حزيناً فركب إلى المدينة، فأتى قبر النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وجعل يبكى عنده ويتمرغ عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما السّلام فجعل يقبّلهما ويضمّهما، فقالا له نشتهى أن تؤذن فى السحر، وفى رواية: إنّ فاطمة عليها السّلام قالت ذات يوم إنّى أشتهى أن أسمع صوت مؤذّن أبى بالأذان، فبلغ بلالًا ذلك، فعلا بلال سطح المسجد، فأخذ فى الأذان، فلمّا قال: اللَّه أكبر اللَّه أكبر، ارتجت المدينة

---

(۱) بحار الأنوار ۲۱/ ۱۱۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۳

النّبى صلّى اللَّه عليه وآله يترك الجمعة؟ والحاصل: إنّ المعنى المطابقى لكلمة «نُودِىَ» واضح، وقد ذكر فى مقام البيان، ولو فرض الشك فى كونه فى هذا المقام لحكمنا بمقتضى أصالة البيان أنّه فى مقامه، فنأخذ بمفاده، فلا داعى إذاً لحمل هذه الآية على المتشابهات بدعوى كونها مجملة أو مهملة [۱].

وإنّ فاطمة ذكرت أباها وأيّامه، فلم تتمالك من البكاء، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّااللَّه، زادت رجتها، فلمّا قال: أشهد أنّ محمّداً رسول اللَّه خرج النساء من خدورهنّ وشهقت فاطمة وسقطت لوجهها، وغشى عليها، فقال الناس لبلال: إمسك يا بلال، فقد فارقت إبنة رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله الدنيا وظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يتمه، فما رؤى يوم أكثر باكياً وباكية من ذلك اليوم،

فأفاقت فاطمة، وسألته أن يتمّ الأذان، فلم يفعل، وقال لها يا سيدة النساء إنّى أخشى عليك ممّا تنزلينه بنفسك إذا سمعتى صوتى بالأذان فأعفته من ذلك. رجع بلال إلى دمشق وتوفّى رحمه اللّه بدمشق ودفن بباب الصغير سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة «۱».

[۱] المجمل والمبيّن؛ المبيّن: ما كان ظاهراً فى معناه يدلّ على مقصود قائله أو فاعله على وجه الظن أو اليقين، فالمعيّن يشمل الظاهر

---

(۱) أسد الغابة ۱/ ۲۰۸، وتنقيح المقال ۱/ ۱۸۲، وسفينة البحار ۱/ ۱۶ و ۱۰۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۴

الثانية: سبب عدم جعل المفعول به نائباً عن الفاعل: أىلم يقل (نوديتم)، هو إفادة العموم وعدم إرادة الخصوصيّة، فإنّه لو قال: والنّص معاً.

المجمل: ما جهل فيه مراد المتكلم ومقصوده إذا كان لفظاً، وما جهل فيه مراد الفاعل ومقصوده إذا كان فعلًا، ومرجع ذلك إلى أنّ المجمل هو اللفظ أو الفعل الذى لا ظاهر له، قد ينشأ من كون الشارع فى مقام التشريع دون النظر إلى مرحلة الإمتثال، وقد ينشأ من كونه فى صدد بيان آخر، مثل قوله تعالى بالنسبة إلى الكلاب المعلّمة «فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ» «۱»

فى صدد بيان حلّيّة أكل الصّيد ولذلك فهى مجمل من ناحية نجاسة موضع الإمساك وعدمها، وتارةً يكون إجماله لكونه مجازاً أو لعدم معرفة عود الضمير فيه الذى هو من نوع مغالطة المماراة، مثل قول القاتل لما سئل عن فضل أصحاب النبى صلّى اللّه عليه وآله فقال «من بنته فى بيته» وكقول عقيل «أمرنى معاوية أن أسب عليّاً، ألا فالعنوه» «۲» «۳».

---

(۱)

سورة المائدة، الآية: ۴.

(۲) مصباح الفقاهة ۱/ ۶۱۳ وقد نقل عن سلطان المحققين فى حاشية المعالم فى البحث عن المجمل.

(۳) أصول الفقه للعلّامة المظفر ۲/ ۱۹۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۵

نوديتم، لتوهّم اختصاص الحكم بهم، وقد ذكر أهل البيان إنّ الحذف قد يكون للتعميم كقولك: قد كان منك ما يؤلم، تريد كلّ واحد، وهذا التعميم وإن أمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم، لكنّه يفوت الإختصار حينئذ، والمراد أنّ كلّ من يمكن نداؤه من أولى العقل، كقوله: ولو ترى، على ما قيل من أنّه خطاب لكلّ من يتمكن من الرؤية، مضافاً إلى أنّ الدخيل فى الحكم هو الإسناد إلى المفعول له، وحصر نائب الفاعل فيه أوفق بالدلالة على ذلك.

وأمّا خروج مثل الصبى والمجنون والمرأة وغيرهم مع إمكان ندائهم، فبما سنذكره بعد إنْ شاء اللّه تعالى ممّا يستفاد من نفس الآية، مع قطع النظر من الأخبار الدالة على خروجهم.

الثالثة: أمّا علّة التعبير بالنداء دون الأذان، فهو اشتماله على الحيعلات، فإنّها نداء وأمر بالصّلاة والأذان، وإن كان هو أمراً بالصّلاة، إلّاأنّه فى غير صلاة الجمعة فقط للإعلام.

وأمّا البحث السادس، أىسبب إدخال «من» فى قوله «مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»: فقيل إنّه بمعنى «فى» أىفى يوم الجمعة، وقيل: إنّه للبيان، وقدر مضاف أى من صلاة يوم الجمعة، وقيل: إنّها بيان «لإذا».

والأصحّ: إنّها بمعنى التبعيض، أى بعض يوم الجمعة، فإنّ النداء الواجب إجابته مختص بالنداء لصلاة الجمعة لا لصبحها

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۶

وعصرها، وليس بتلك المعانى المذكورة، لما فى الأوّل من خلاف الظاهر، فإنّ الظاهر إنّ (من) استعملت فى معناها لا فى معنى «فى».

وفى الثانى من التكلّف، فإنّ الأصل عدم التقدير. وفى الثالث فوات النكتة التى ذكرناها، وهو لا يختص به بل آت فى الأوّلين أيضاً.

وأمّا البحث السابع، معنى الجمعة، وسبب وضعها واللغات فيها: فالجمعة على ما فى القاموس بمعنى المجموعة، «۱» وفيها لغات، ضمّ الميم، وعليه القراءة المشهورة، وهى لغة أهل الحجاز.

وفتحها، وهى لغة بنى تميم، وسكونها وهى لغة عقيل.

واختلف فى وجه وضعها، ففى الصافى عن الكافى عن الباقر عليه السّلام: «إنّ اللَّه جمع فيها خلقه لولاية محمّد صلّى اللَّه عليه وآله ووصيّه فى الميثاق فسمّاه يوم الجمعة، لجمعه فيه خلقه» «۲» وكذا فى مجمع البحرين [۱] إلّاأنّه زاد فى أوّله سميت الجمعة جمعة، لأنّ اللَّه ... ونقص من آخره: لجمعه فيه خلقه «۳».

[۱] «وكان يسمّى (الجمعة) أوّلًا يوم العروبة، ثمّ غلب عليه اسم

---

(۱) القاموس ۳/ ۱۴.

(۲) الكافى ۳/ ۴۱۵، الرّقم ۷، باب فضل يوم الجمعة، تفسير الصّافى ۷/ ۱۹۰.

(۳) مجمع البحرين ۱/ ۳۹۵.

وفى مجمع البيان إنّما سمّى جمعة، لأنّه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء، فاجتمعت فيه المخلوقات «۱»، وفى البيضاوى: إنّما سمّى جمعة لاجتماع النّاس فيه للصّلاة «۲»، وقيل: لأنّه لا تجمع فيه الجمعة» «۳»، وقيل: «لإجتماع الناس فيه للصلوة» «۴» وقيل: «أوّل جمعة صلّى فيها رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بعد ما قدم مهاجراً إلى المدينة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادٍ لهم، إتّخذ فى ذلك الموضع مسجداً فخطب فى هذه الجمعة وهى أوّل خطبة خطبها، وصلّى الجمعة فى الإسلام» «۵» وقيل: «وقد ورد فى فضل الجمعة روايات كثيرة وعن سلمان رضى اللَّه عنه عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله أنّه قال: «واللَّه يا علىّ إنّ شيعتك ليؤذن لهم فى الدخول عليكم فى كلّ جمعة، وإنّهم لينظرون إليكم من منازلهم يوم الجمعة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجم فى السّماء، وإنّكم لفى أعلى علّيين فى غرفٍ ليس فوقها درجة أحد من خلقه «۶» «۷».

---

(۱) مجمع البيان ۱۰/ ۹.

(۲) تفسير البيضاوى: ۷۳۶.

(۳) مجمع البحرين ۴/ ۳۱۳.

(۴) الميزان ۱۹/ ۳۱۴.

(۵) تفسير الجواهر ۲۴/ ۱۷۱.

(۶) بحار الأنوار ۸/ ۱۷۴.

(۷) مجمع البيان ۵/ ۲۸۶.

الجماعات «۱». وفى تفسير الرازى عن سلمان رضى اللَّه عنه قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «سمّيت الجمعة جمعة، لأنّ آدم جمع فيها خلقه» «۲» وقيل: أوّل من سمّاه كعب بن لؤى جدّ النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وكانت العرب تسميه العروبة «۳». وقيل: الأنصار. وقيل غير ذلك ممّا لا يسعه المقام، فليرجع إلى محلّه «۴».

وأمّا البحث الثامن، أى‌سبب قوله «فَاسْعَوْا» دون فامضوا أو إسرعوا: الأمر بالسرعة إليها بالأقدام والقصد فى المشى، والكفّ عن العمل، والسرعة بالقلب، كما تقول لزيد: إسع إلى الأمر الفلانى، تريد السرعة بالقلب. وليس جميع ما ذكرناه معنى مطابقيّاً له، وفى الصافى عن الباقر عليه السّلام: «أسعوا أى‌امضوا» «۵» وعن العلل عن الصّادق عليه السّلام: معنى «فاسعوا هو الإنكفاء» «۶» وعن الكافى عن الباقر

---

(۱) الظاهر أنّ المراد عدم اجتماع الناس فى المساجد لصلاة الظهر، فى يوم الجمعة، ولكن لم نجده بهذا اللفظ، وفى مجمع البيان: لأنّه تجتمع فيه الجماعات.

(۲) تفسير الفخر الرازى ۳۰/ ۸.

(۳) تفسير الكشاف ۴/ ۱۰۴.

(۴) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۵۷۶.

(۵) تفسير الصّافى ۷/ ۱۹۱ عن القمى ۲/ ۳۶۷.

(۶) علل الشرائع ۲/ ۳۵۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۲۹

عليه السّلام فاسعوا إلى ذكر اللَّه قال: «إعملوا وعجّلوا، فإنّه يوم مضيق على المسلمين [فيه]، وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيق عليهم، والحسنة والسيئة تضاعف فيه، قال: واللَّه لقد بلغنى أنّ أصحاب النّبى كانوا يتجهّزون للجمعة يوم الخميس، لأنّه يوم مضيّق على المسلمين «۱» انتهى.

واعلم: أنّ تفسير السعى بالعمل بالتعجيل، توطئة لقوله عليه السّلام: فإنّه يوم مضيق، وأمّا كونه يوم مضيق، فلعدم كونه كسائر الأيّام لكثرة الأعمال فيه، فلا يمكن البطء فى العمل مع الإتيان بتمام الأعمال. ولعلّ المراد بقوله: وثواب أعمال المسلمين فيه على قدر ما ضيق عليهم إنّ الذى يضيق عليه اليوم أكثر من الآخر، كمن بعد بيته عن محلّ إقامة الجمعة مثلًا الموجب لكثرة تعبه، يكون ثوابه أكثر، فإنّ أفضل الأعمال أحمزها.

وفى المقام أقوال أخر ضربنا عنها صفحاً حذراً عن التطويل [۱].

[۱] عن سعيد بن جبير قال: ما خلق اللَّه رجلًا بعد النّبىّ صلّى اللَّه عليه وآله أفضل من علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، قول اللَّه عزّ وجلّ «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ»: ولاية على بن أبى طالب عليه السّلام، ورواه ابن عباس «۲».

---

(۱) الكافى ۳/ ۴۱۵، باب فضل يوم الجمعة، الرّقم ۱۰ وتفسير البرهان ۴/ ۳۳۴.

(۲) تفسير فرات الكوفى: ۱۸۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۰

وأمّا البحث التّاسع، أى‌وجه قوله «إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» دون إليها، مع أنّه أخصر: فهو الإشارة إلى الصّلاة بمالها من الخطبتين، ليفيد وجوب الحضور إلى سماع الخطبتين أيضاً، لا مجرّد الحضور إلى الصّلاة ولو بعدهما، وبيان عظمة صلاة الجمعة من كونها ذكر اللَّه، وهو أمر عظيم، فهو مثل العلّة، فيكون للترغيب، كما يقال: إذا نودى للحضور لدى الأمير يوم العيد فبادروا إلى شمول عناياته، ولا يقال: بادر إلى الحضور، أو إذا صاح الدلال للبضاعة فبادر إلى الإسترباح، ولا يقال إلى شراءها، والتقدير الحضور الموجب لشمول عناياته. وهكذا الإسترباح، ومن الواضح إنّ ما كان كذلك ينبغى البدار اليه [۱].

[۱] إختلف الأصوليون فى دلالة صيغة الأمر على الفور والتراخى على أقوال:

۱. أنّها موضوعة للفور.

۲. أنّها موضوعة للتراخى.

۳. أنّها موضوعة لهما على نحو الإشتراك اللفظى.

۴. أنّها غير موضوعة لا للفور ولا للتراخى ولا للأعمّ منهما، بل لا دلالة لها على أحدهما بوجه من الوجوه، وإنّما يستفاد أحدهما من القرائن الخارجية التى تختلف باختلاف المقامات، والحقّ هو الأخير،

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۱

والدليل عليه: عرفت من أنّ صيغة إفعل، إنّما تدلّ على النسبة الطلبية، كما أنّ المادة لم توضع إلّالنفس الحدث غير الملحوظة معه شىء من خصوصياته الوجودية، وعليه فلا دلالة لها، لا بهيئتها ولا بمادتها على الفور والتراخى، بل لابدّ من دالّ آخر على شىء منهما، فإن تجردت على الدال الآخر، فإنّ ذلك يقتضى جواز الإتيان بالمأمور به على الفور أو التراخى، هذا بالنظر إلى نفس الصيغة، أمّا بالنظر إلى الدليل الخارجى المنفصل، فقد قيل بوجود الدليل على الفور فى جميع الواجبات على نحو العموم إلّاما دلّ عليه دليل خاصّ ينصّ على جواز التراخى فيه بالخصوص، وقد ذكروا لذلك آيتين:

(الأولى): قوله تعالى «وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» «۱»

وتقريب الإستدلال بها: إنّ المسارعة إلى المغفرة لا- تكون إلّابالمسارعة إلى سببها، وهو الإتيان بالمأمور به، لأنّ المغفرة فعل اللّه تعالى، فلا معنى لمسارعة إليها، وعليه فيكون الإسراع إلى فعل المأمور به واجباً لما مرّ من ظهور صيغة إفعل فى الوجوب.

---

(۱)

سورة آل عمران، الآية: ۱۲۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۲

(الثانية) قوله تعالى «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ» «۱»

فإنّ الإستباق بالخيرات عبارة أخرى عن الإتيان بها فوراً.

(والجواب) عن الإستدلال بكلتا الآيتين، إنّ الخيرات وسبب المغفرة كما تصدق على الواجبات تصدق على المستحبات أيضاً، فتكون المسارعة والمسابقة شاملتين لما هما فى المستحبات أيضاً، ومن البديهى عدم وجوب المسارعة فيها، كيف وهى يجوز تركها رأساً، وإذا كانتا شاملتين للمستحبات بعمومهما، كان ذلك قرينة على أنّ طلب المسارعة ليس على نحو الإلزام، فلا تبقى لهما دلالة على الفورية فى عموم الواجبات، بل لو سلمنا باختصاصهما فى الواجبات لوجب صرف ظهور صيغة إفعل فيها فى الوجوب وحملها على الإستحباب، نظراً إلى إنّا نعلم عدم وجوب الفورية فى أكثر الواجبات، فيلزم تخصيص الأكثر بإخراج أكثر الواجبات عن عمومهما، ولا شكّ أنّ الإتيان بالكلام عامّاً مع تخصيص الأكثر وإخراجه من العموم بعد ذلك قبيح فى المحاورات العرفية ويعدّ الكلام عند العرف مستهجناً، فهل

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۱۴۳، وسورة المائدة، الآية: ۵۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۳

ثمّ إنّ النقطة المركزية، هو ذكر اللّه ويلازمه السياسة الدينية والمدنية. وبعبارةٍ أخرى: الملازمة بين ذكر اللّه بالكيفيّة المخصوصة وقسمى العقل العملىّ والنّظرى، فإنّ الإنسان بسبب الذكر يصير كتاباً تكوينياً آفاقياً، وعالماً عقلياً مضاهياً للعالم العينى.

وتفسير ذلك: إنّ القوى الجسمانية بسبب الإنهماك فى الشهوات الحيوانية مانعة عن رقّى الروح وموجبة لاشتغالها بها وغفلتها عن مبدأها، ولهذا تنحط غاية الإنحطاط، فلابدّ من الرياضة الروحية، وترك المشتهيات الطبعية، والإنتقال من الغفلة إلى الذكر، فإن فيه

حياة القلب وغذاء الروح، وأيضاً: إنّ العالم السفلى- أعنى النشأة الأولى- مشتركة بين ذوى العقول وغيرهم من أصناف الحيوانات، وامتياز الإنسان بروحه أىبالعقل وهو ما عبد به الرّحمن

ترى يصحّ لعارف بأساليب الكلام أن يقول مثلًا (بعت أموالى) ثمّ يستثنى واحداً فواحداً حتى لا يبقى تحت العام إلّاالقليل؟ لا شكّ فى أنّ هذا الكلام يعدّ مستهجناً لا يصدر عن حكيم عارف، إذن، لا يبقى مناص من حمل الآيتين على الإستحباب «۱».

---

(۱) أصول الفقه ۱/ ۷۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۴

واكتسب به الجنان، فلو تشاغل بهذه النشأة فيكون كالأنعام بل أضلّ، وقهراً تستولى عليه الظلمة ويبعد عن حضرة الرّب جلّ وعلا، وبالذكر يتشاغل بعالم اللاهوت، فيتنور ويقترب من مبدئه ويكون أعلى من الملائكة، حتّى ورد فى الحديث القدسى «أنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنى» «۱».

فائدة: إستدلّ بعض محرّمى صلاة الجمعة فى زمان الغيبة بقوله تعالى: «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» ببيان أنّ المراد بذكره رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله، لوجوه:

الأوّل: إنّه لو كان المراد من الذكر هو الصلاة لقال: «فاسعوا» فإنّه أصرح وأوجز وآكد.

الثانى: قوله تعالى «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ» «۲»

وبالضرورة لا يعلم البيّنات والزّبر إلّاأهل البيت عليهم السّلام، والذّكر هو النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، وأهله أهل الذكر لا غير، فيجب الرّجوع والسئوال عنهم فى هذا الحكم وسائر الأحكام دون غيرهم.

---

(۱) الكافى ۲/ ۴۹۶، باب ما يجب من ذكر اللَّه، الرقم ۴، والتوحيد: ۱۸۲، الرّقم ۱۷، ووسائل الشيعة ۱/ ۳۱۱ باب عدم ذكر اللَّه وتحميده، الرقم ۴.

(۲) سورة النحل، الآية: ۴۳ و ۴۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۵

الثالث: قوله تعالى «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ» «۱».

الرابع: قوله تعالى: «رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ» «۲».

وحيث ثبت أنّ ذكر اللَّه هو النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، فيكون مفاد آية الجمعة هو وجوب السعى إلى النّبى والإمام لا إلى غيرهم إلّا بإذنهم وتعيينهم، فيكون فى الحقيقة سعياً إليهم.

وفى الأدلّة- مع قطع النظر عن الأدلّة الدّالة على وجوب صلاة الجمعة فى زمان الغيبة- نظر.

أمّا فى الأوّل، فقد ظهر ممّا سبق أن التصريح للإشارة إلى حضور الخطبتين وكأنّه مثل العلّة، فيكون للترغيب ولبيان العظمة.

وأمّا فى الثانى فنقول: إنّ التعبير بالذكر عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله فى مكان لا يوجب إرادته منه حيثما استعمل، فهو مجاز لا يصار إليه إلّابدليل، فاستعماله فى القرآن وما فى الروايات من تسمية اللَّه النّبى صلّى اللَّه عليه وآله ذكراً، غير دالّ على الوضع، حتّى يكون حقيقة، وعلى فرض التسليم بوضعه له، فهو مشترك، ولا يصار إلى

---

(۱) سورة الطّلاق، الآية: ۱۰- ۱۱.

(۲) سورة النور، الآية: ۳۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۶

أحد معانيه إلّابالقرينة، والسياق فى الآية دالّ على إرادة الصّلاة من الذكر.

ولا يخفى عليك إنّ ما ذكرناه، دليل على عدم إرادة النّبى صلّى اللَّه عليه وآله من الذكر فى هذه الآية.

وأمّا ما استدلّ به القائل فهو واضح البطلان، لأنّ قوله تعالى «بِالْبَيِّناتِ» ليس متعلّقاً بقوله «فَسْئَلُوا» حتّى يستدلّ بأنّه لا يعلم البيّنات والزّبر إلّاأهل البيت عليهم السّلام، بل هو متعلق بقوله «أَرْسَلْنا»، كما فسّره المفسرون، فإنّ السئوال لا يتعدى بالباء بل يتعدى إلى المفعولين بنفسه إذا لم يكن بمعنى الإستخبار ومعه يتعدى إلى المفعول الثانى ب «عن»، بخلاف الإرسال، فإنّه يتعدى بالباء كما نص عليهما اللغويون.

وأمّا فى الثالث، فمثل ما ذكر فى الثانى، من أنّ إطلاق الذكر عليه صلّى اللَّه عليه واله حقيقةً أو مجازاً فى بعض الموارد، لا يوجب إرادته صلّى اللَّه عليه وآله متى أطلق، بل يحتاج إلى قرينة صارفة أو معيّنة، ولم يكن فى الآية قرينة على إرادته صلّى اللَّه عليه وآله من الذكر فلا يحمل عليه، بل سياق الآية يقتضى لعدم إرادته من الذكر، كما تقدّم.

واعلم أنّ الآية ليست كما ذكرها المستدل، بل ما فى سورة

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۷

الطلاق هكذا «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ» «۱».

وأمّا فى الرابع: فلا نعلم وجه الإستدلال به أصلًا، وإن أراد كون المراد به الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله، لإطلاقه عليه فى غير هذه الآية، فمضافاً إلى أنّه لا يكون دليلًا على المدّعى، فعدُّه من الأدلّة غير صحيح، ويرد عليه ما ذكر فى الثانى والثالث، ولم أرَ من فسّر ذكر اللَّه بالنّبى صلّى اللَّه عليه وآله فى هذه الآية، فأين وجه الدلالة؟

وأمّا البحث العاشر، أىسبب التصريح بقوله «وَذَرُوا الْبَيْعَ» مع استفادته من قوله «فَاسْعَوْا» للمنافاة بينهما، فهو تأكيد الكلام، والحثّ على التعجيل، فإنّه تعالى لم يكتف بالدلالة الإلتزامية التى تكون بين السّعى إلى ذكر اللَّه وترك البيع، فإنّ التصريح بالمطابقة آكد، وفى الصافى عن الفقيه روى أنّه كان بالمدينة إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة نادى منادٍ حرم البيع حرم البيع «۲».

واعلم: أنّ الآية دالّة على حرمة البيع وإن لم يناف السعى، ولفظ «وَذَرُوا» أشدّ تأكيداً من «أتركوا»، ولهذا إختاره سبحانه وتعالى.

وأمّا البحث الحادى عشر، أعنى وجه إختصاص البيع بالذكر

---

(۱) سورة الطّلاق، الآية: ۱۰- ۱۱.

(۲) تفسير الصّافى ۷/ ۱۹۱ عن الفقيه ۱/ ۲۹۹، باب علّة تشريع الأذان، الرّقم ۹۱۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۸

دون غيره، فهو كونه من أهمّ ما يشتغل به المرء فى النهار، وأنّه المصداق الجلىّ بين الأفعال، والفرد الأكثر ابتلاء، وإلّا فليس المراد خصوص البيع بل كلّ معاملة. وقد يستظهر من الآية عدم حرمة غير البيع، كالهبة والصلح والإجارة ونحوها إذا لم يناف السعى، كأن يهب مثلا فى الطريق، بخلاف البيع فإنّه يحرم ولو لم يناف السعى، كما ذكر [۱].

[۱] قال الشيخ أحمد الجزائرى: «دلّ قوله «وَذَرُوا الْبَيْعَ» بصريحه على تحريم البيع بعد النداء، كما دلّ عليه الأمر بالسعى بالإلتزام، قال فى التذكرة: وعليه إجماع العلماء كافّة «۱». وقال ابن بابويه فى كتابه: كان بالمدينة إذا أذّن المؤذّن يوم الجمعة نادى مناد حرم البيع لقوله تعالى «إِذا نُودِيَ» الآية «۲».

فروع:

الأوّل: البيع الواقع فى أثناء السعى هل يحرم أم لا؟ ظاهر إطلاق الآية وكلام الأصحاب التحريم، ويحتمل العدم، بل هو غير بعيد لعدم

منافاته للسعى إليها وللأصل.

الثانى: هل يحرم غير البيع من العقود والمعاملات؟ قال

---

(۱) التذكرة ۴/ ۳۳، المسألة ۳۹۲.

(۲) تقدّم عن الفقيه فراجع.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۳۹

الأكثر: بالعدم «۱».

وفى المعتبر: «إنّ ذلك هو الأشبه بالمذهب» «۲» لأنّ تعديته إلى غيره قياس ممنوع، من مخالفته للأصل، ولعموم ما دلّ على الإباحة، وقيل بالتعدية نظراً إلى العلّة المومى إليها بقوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» فيكون من قبيل منصوص العلّة، وإمكان حمل البيع فى الآية على المعاوضة المطلقة التى هى معناه الأصلى، ولأنّ الأمر بالسعى يستلزم النهى عن كلّ ما ينافيه، ويكون تخصيص البيع بالذكر جرياً على الغالب لا لكونه هو المقصود بالتحريم لا غير، وفيه نظر، لأنّه على تقدير تسليم حجيّة منصوص العلّة نقول: إنّ العلّة هنا غير ظاهرة، وحمل البيع على المعاوضة المطلقة خلاف المعنى الشرعى والعرفى، والأمر لا يستلزم النهى عن الإضداد الخاصة، كما حقّق فى الاصول، ولو سلّم فإنّما يقتضى تحريم المنافى خاصةً لا مطلق المعاوضات.

الثالث: لو باع أثمّ، وكان البيع صحيحاً، لأنّ العقد صدر عن أهله

---

(۱) كما فى التذكرة ۴/ ۱۱۰، والمنتهى ۱/ ۳۳۱، والحدائق الناضرة ۱۰/ ۱۷۵.

(۲) المعتبر ۲/ ۲۹۷ قال: الأشبه بالمذهب، خلافاً لطائفة من الجمهور. لنا اختصاص النهى‌بالبيع فلا يتعدّى إلى غيره.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۰

وأمّا البحث الثانى عشر، أى‌وجه الخيرية فهو: إنّ السعى معجّلًا إلى صلاة الجمعة موجب لاستماع الخطبة ممّا هو مستجمع للجهات النوعية والشخصية، الدنيوية والأخروية، ويتقوّم به النظام المدنىّ والسياسى، لأنّهم يتعلّمون المسالك إلى اللّه تعالى وكيفيّة المعاشرة مع الأهل والأولاد وسائر الناس، ويفيدهم للمعاد والمعاش والأخلاق والمعارف، وكذا بسبب اجتماعهم لصلاة الجمعة يعلم كلّ حال أخيه من سائر المسلمين ويتعظمون فى أعين الناس من مخالفهيم، لأنّهم يرون اتّحادهم الموجب لتقويتهم [۱].

فيجب الوفاء به، ولعموم ما دلّ على صحة البيع ولزومه، والآية إنّما دلّت على التحريم لا نفى الصّحة، لأنّ النّهى فى المعاملات لا يستلزم الفساد، وقال بعض أصحابنا وبعض أهل الخلاف بعدم الصحة، بناءً على القول بأنّ النّهى فى المعاملة كان موجباً للفساد.

الرابع: لو كان أحد المتعاقدين ممّن لا تجب عليه الجمعة، قيل اختص الآخر بالتحريم، ولا يبعد شمول التحريم له للمعاونة على الإثم» «۱».

[۱] قال الشيخ أحمد الجزائرى: «قوله: «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» أى‌ذكر

---

(۱) قلائد الدرر ۱/ ۲۲۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۱

واعلم: أنّه لا يستفاد من قوله «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» الإستحباب، كما زعمه بعض المحرّمين فى عصر الغيبة حيث قال: الوجه الخامس: قوله تعالى «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» كأنّه صريح فى الإستحباب، فإنّه لا يناسب فى مقام الأمر بأهمّ الواجبات التعبير بأنّ فعله خيرٌ من تركه.

فإنّ الخير المستعمل فى كلام اللّه تعالى ليس دالّاً على الإستحباب، بل المراد به كونه خيراً من ناحيته سبحانه، ألا ترى قوله تعالى فى آخر السّورة «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ» وقوله «وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ» «۱»

وغيرهما من ساير الآيات.

هذا، مضافاً إلى أنّه يلزم هذا القائل، القول باستحباب صلاة الجمعة فى زمن النّبى صلّى اللّه عليه وآله، وهو خلاف الإجماع، اللّه أو السعى وترك البيع، لأنّ الآخرة خيرٌ وأبقى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى من أهل العلم والعرفان، أو بما يترتب على ذلك وما عنداللّه من الخير» «۲».

---

(۱) سورة الأعراف، الآية: ۲۶.

(۲) قلائد الدرر ۱/ ۲۲۲.

فإنّها نزلت فى زمن وجوبها العينى فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه وآله، فمن أين يتوهم الإستحباب؟

هذا، ولا يخفى أنّ الوجه الذى ذكره القائل- على فرض صحّته- دليل الإستحباب، لا التحريم الذى ادّعاه المستدل واستدلّ به على الحرمة.

وأمّا البحث الثالث عشر، أعنى سبب الإتيان بلفظ الشرط «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» مع أنّهم سواء علموا أم لم يعلموا، كان ذلك خيراً، فقيل: ليس بشرط وإن كان ظاهره ذلك، بل معناه (اعلموا). لكنّ الأصح أنّ الجواب ليس «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ» بل شىء محذوف، تقديره (لفعلتم) أو (لصدقتم) أو نحوهما ممّا يجرى مجراهما، وهذا كما تقول لابنك: إذهب إلى المحلّ الفلانى، فإنّه خير لك إن كنت تعلم، تريد: إن كنت تعلم وجه الخيرية لذهبت أو لصدّقت، وهذا إشارة إلى جهلهم، كما أنّ الشرط كذلك فى المثال.

الرابع عشر: وجه قوله تعالى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» دون (تفقهون) أو نحو ذلك [۱]. هو إنه إذا كانت الجملة (إن كنتم تفقهون) أى إن [۱] قال صدر المتألّهين «ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى ما أمرتم به من حضور الجمعة واستماع الذكر وأداء الفريضة وترك البيع

كنتم تفهمون، كانت كتعريض لهم، وهذا لا يناسب المقام، لأنّه صلى اللّه عليه وآله بصدد دعوتهم.

«فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِمًا قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

إعلم أنّه يقع البحث فى هاتين الآيتين من وجوه:

الأوّل: وجه التعبير ب «قضيت» دون تمت وغيرها.

الثانى: وجه قوله «فَانْتَشِرُوا» وما يتعلّق به.

الثالث: وجه قوله فى الأرض وما أريد التصريح به.

الرابع: ما يستفاد من قوله «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ».

أنفع لكم عاقبة إن كنتم عالمين بمنافع الأمور ومضارّها، ومصالح أنفسكم وأرواحكم ومفاسدها.

وفيه دليل على أنّ ملاك الأمر فى العبادات على العلم الصحيح والنيات الخاصة، وقيل: معناه «إعلموا» «۱».

---

(۱) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۷/ ۲۵۵.

الخامس: وجه الإتيان بلفظة «فَضْلِ» دون وابتغوا من اللَّه.

السادس: سبب الأمر بالذكر.

السابع: وجه قوله «كَثيرًا».

الثامن: معنى «لعلّ» وما يستفاد منه.

التاسع: بيان ما يمكن أن يستفاد من الآية ممّا يتعلّق بصلاة الجمعة.

العاشر: وجه الرّبط بين الآية الثانية والأولى.

الحادى عشر: وجه نزول الآية الثانية.

الثانى عشر: سبب قوله «رَأَوْا».

الثالث عشر: وجه الإتيان بكلمة «لَهْوًا».

الرابع عشر: معنى «انْفَضُّوا» ووجه التعبير به.

الخامس عشر: وجه قوله «إِلَيْها» دون إليهما.

السادس عشر: سبب تقدّم «اللَّهْوِ» على التّجارة فى الثانى وتأخّره فى الأوّل.

السابع عشر: وجه تكرار «من».

الثامن عشر: وجه قوله «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقينَ».

أمّا الوجه الأوّل: فالتعبير ب «قضيت» [۱] لفائدتين:

[۱] قال الفاضل المقداد السيورى: «المراد هنا بقضاء الصّلاة

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۵

الأولى: إنّ وقت صلاة الجمعة محدود إلى وقت تمامها لا يمكن تأخيرها عن وقتها المعين الذى هو بعد الخطبتين المعقبتين للنداء إلى مقدار زمان يمكن أداؤها فيه، كما هو مذهب جماعة من الفقهاء «۱»، وإنّما يستفاد منها هذه لأنّ هذا المعنى أحد معانى القضاء لغةً، كما فى مجمع البحرين حيث صرَّح به فى تعداد معانى القضاء «۲».

أداؤها، فإنّ القضاء يقال على معان ثلاثة:

الأوّل: بمعنى الفعل والإتيان بالشىء، وهو المراد هنا.

الثانى: فعل العبادة ذات الوقت المحدود المعيّن بالشخص خارجاً عنه.

الثالث: فعل العبادة إستدراكاً لما وقع مخالفاً لبعض الأوضاع المعتبرة فيها، وقد يسمّى هذا إعادة، والمراد بالإنتشار فى الأرض التفرّق فى جهاتها، والإبتغاء الطلب.

وهنا فوائد:

(۱) اللام فى الصلاة للعهد، أىالصلاة التى تقدّم ذكرها، وهى التى

---

(۱) كما فى مجمع الفائدة والبرهان ۲/ ۳۶۹، ومستند الشيعة ۶/ ۱۲۰.

(۲) مجمع البحرين ۱/ ۳۴۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۶

وجب السّعى إليها.

(۲) إختلف الأصوليون فى الأمر الوارد عقيب النهى، هل هو للوجوب أو للإباحة الرافعة للحظر؟ واحتج أصحاب القول الثانى بهذه

الآية وهى «فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ»، فإنّه أطلق لهم ما حرمه من المعاملة، والإنتشار ليس بواجب إتّفاقا، وكذا قوله «فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» «۱».

(۳) فى الأمر بالإنتشار، إشارة إلى كون الساعى الذى وجبت عليه الجمعة ممّن له القدرة على التصرف فى المعاش والإضطراب فى طلب الرزق، وكذا إذا فسّرنا السعى بالإسراع فى المشى، ولما لم يكن الهم، أى الشيخ الكبير والأعرج والمريض والأعمى كذلك، دلّ على عدم الوجوب عليهم وكونهم غير مخاطبين بها.

(۴) الإبتغاء من فضل اللّه هو طلب الرزق، وعن الصّادق والباقر عليهما السّلام «الصّلاة يوم الجمعة، والإنتشار يوم السّبت» «۲».

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۲۲۲.

(۲) الخصال: ۳۹۳، ومن لا يحضره الفقيه ۱/ ۴۲۴ باب كراهة السفر بعد طلوع الفجر يوم الجمعة، الرّقم ۱۲۵۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۷

الثانية: لزوم الإهتمام بها واستحكامها، يقال: قضى الشىء، أى صنع بإحكام، كما فى المنجد «۱».

أمّا الوجه الثانى: أى‌وجه التعبير بقوله «فَانْتَشِرُوا» دون «سيروا»، فهو إفادة لزوم التفرق وذهاب كلٍّ إلى عمله حتّى يتقوّم النظام، بخلاف ما لو قال «فسيروا»، فإنّه مع قطع النظر من ظهوره فى السفر، يلائم الإجتماع وبه يختل النظام [۱]، وبخلاف ما لو قال

وقيل: المراد طلب العلم، عن سعيد بن جبير والحسن، وروى أنس عن النّبى صلّى اللّه عليه وآله: «ليس هو بطلب دنيا ولكن عيادة مريض، وحضور جنازة وزيارة أخ فى اللّه» «۲». «۳»

[۱] قال الشيخ أحمد الجزائرى: «الأمر هنا بالإنتشار للإباحة إجماعاً، كما فى قوله «وَإِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» «۴»

وقوله «فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ» «۵»

وبذلك استدلّ من قال بأنّ الأمر الوارد عقب النهى للإباحة الرافعة للحظر، ومن قال بأنّه للوجوب، استدلّ بكونه الأصل فى كلّ أمر

---

(۱) المنجد، كلمة «قضى».

(۲) مجمع البيان ۱۰/ ۱۴، وقد نقل عنه عوالى اللئالى ۲/ ۵۶.

(۳) كنز العرفان ۱/ ۱۷۰.

(۴) سورة المائدة، الآية: ۲.

(۵) سورة البقرة، الآية: ۲۲۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۸

«فتفرقوا»، فإنّ ظاهره مفارقة كلّ عن صاحبه فقط، والإنتشار المفارقة مع ذهاب كلّ إلى عمله، مع ما فيه من الإشارة إلى الترخيص لمن أتى من الخارج للصّلاة بالرجوع إلى محلّه، يقال: إنتشر الرجل أى‌ابتدأ سفره.

والظاهر من الآية الإنتشار بعد الصّلاة ببطء لمكان الفاء، وهو المروى عن أبى عبداللّه عليه السّلام فإنّه قال: «الصّلاة يوم الجمعة والإنتشار يوم السبت» «۱».

واعلم أنّه تعالى أتى بالأفعال مبنية للمعلوم، إلّاقوله «قُضِيَتِ» فأتى للمفعول إشارة إلى تعظيم الصّلاة، وعدم الإعتناء بشأن الفاعلين قبالها، كما يقال: قتل زيد، إذا اريد تعظيمه وعدم الإعتناء بشأن القائلين له.

إلّا ما خرج بدليل، كالإجماع بالنسبة إلى الآية المذكورة، وفى الآية دلالة على أنّ من وجبت عليه الجمعة، هو من كان قابلًا لتوجّه الخطاب إليه وفيه قدرة على الإنتشار. فيخرج المريض والأعمى والشيخ الهمّ والمجنون والصغير «۲».

(۱) الخصال: ۳۹۳، ومن لا يحضره الفقيه ۱/ ۴۲۴ باب كراهة السفر بعد طلوع الفجر يوم الجمعة، الرّقم ۱۲۵۳.

(۲) قلائد الدرر ۱/ ۲۲۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۴۹

وأمّا الوجه الثالث، أعنى وجه التصريح بقوله «فِي الْأَرْضِ» مع أنّه لازم الإنتشار فهو: تأكيد للكلام بالمطابقة بعد الإلتزام، وإنّ الغرض ليس تفرّق بعضهم عن بعض، كما فى قوله تعالى «فَإِذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» «۱»

فإنّ الغرض فى هذا المقام تفرّق بعضهم عن بعض بالخروج من عند النّبى صلّى اللَّه عليه وآله، بل الغرض فيما نحن فيه إكتساب المعيشة. ولما كان الأمر للوجوب أفاد وجوب الإنتشار بظاهره، ويعلم كونه كفائياً من الخارج وليس للترخيص، كما ذكره بعض المفسّرين، فتدبّر [۱].

[۱] وفى ذلك إشارة إلى أنّ الطالب لا ينبغى أن يعتمد على سعيه وكدّه، بل على فضل اللَّه ورحمته وتوفيقه وتيسيره، طالباً ذلك من اللَّه، وروى عن أبى عبداللَّه عليه السّلام أنّه قال: «الصّلاة يوم الجمعة والإنتشار يوم السبت». وروى عمر بن يزيد عن أبى عبداللَّه عليه السّلام: «إنّى لأركب فى الحاجة التى كفاها اللَّه، ما أركب فيها إلّاالتماس أن يرانى اللَّه أضحى فى طلب الحلال، أما تسمع قول اللَّه عز وجل «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»؟ «۲»

(۱) سوره الاحزاب الاية ۵۳.

(۲) آيات الاحكام اللاسترآبادى ۲۶۰

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۰

وأمّا الوجه الرابع، أى‌ما يستفاد من قوله «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»: فهو عدم صحّة الإعتماد على الإكتساب والأسباب الظاهرية، بل لا بدّ من التوجه إلى عالم الغيب، فإنّه تعالى المؤثر الوحيد فى الكون.

وهيهنا نكتة لطيفة: وهى، إنّه لما كانت هذه النشأة دار الأسباب وأبى اللَّه أن يجرى الأمور إلّابأسبابها فلابدّ من الإقدام فى كلّ شىء بماله من الأسباب، وحيث إنّ الاتكال على تأثير هذا الأسباب شرك، فلا بدّ من التوحيد والاعتماد على المؤثر الحقيقى، فعلى العاقل، الجمع بين الأمرين الظاهرى والحقيقى، فيشتغل بالعلم أو الكسب من جهة، ويتّكل على ربّه ويبتغى من فضله من جهة أخرى، أو يحضر جنازة مؤمن أو يعود مريضاً أو يزور أخاً للَّه تعالى الموجب لترشح فضله تعالى، وهذا طريق الجمع بين الفريقين من الأخبار الدّال بعضها على أنّ الابتغاء من فضله ليس بطلب الدنيا، وبعضها على أنّه طلب الرزق والكسب.

وأمّا الوجه الخامس، أعنى وجه الإتيان بلفظة (فضل)، فهو:

إفادة عدم استحقاقهم شيئاً، بل طلبهم على وجه الإستعطاء كالفقراء، لا كالمطالب، فإنّ الأنام وإن عبدوه حقّ عبادته لا يستحقون شيئاً، لأنّهم عبيد والعبد لا يستحق شيئاً، بل هو وماله لمولاه، كيف؟ وإنّهم لا يتمكنون من شكر نعمة واحدة فقط وإن كانوا يفعلون الواجبات

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۱

والمندوبات ويجتنبون عن المحرمات والمكروهات، فإنّ لكلّ شكر شكراً، كما قال الشاعر:

شكراً وأنّى لى بلوغ ما وجب من الشكر والشكر للشكر سبب

وأمّا الوجه السادس أعنى سبب الأمر بالذكر، فهو: إفادة عدم تخصيص الذكر بوقت الصلاة، بل هو لازم فى كلّ حال، فإنّه لا ينافى الإكتساب، كما قال تعالى «رِجالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» «۱»

وأيضاً ذكر اللَّه سبب ذكره لهم، كما قال «فَاذْكُرُونى أَذْكُرْكُمْ» «۲»

ومن كان اللَّه ذاكراً له لم يخسر، كما هو ظاهر.

والظاهر: أنّ المراد اذكروا اللَّه، لساناً وقلباً، وبه يجمع بين تفسيره بالتفكر وباللسان، وفى المجمع عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله إنّه قال: من ذكر اللَّه فى السّوق مخلصاً عن غفلة النـاس، وشغلهم بما فيه، كتب له ألف حسنة، ويغفر اللَّه له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر «۳» [۱].

[۱] قال الفاضل المقداد السيورى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثيرًا» على

---

(۱) سورة النور، الآية: ۳۷.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۱۵۲.

(۳) مجمع البيان ۱۰/ ۱۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۲

وأمّا الوجه السابع، أعنى وجه قوله «كثيراً» فهو: إفادة أنّ الذكر فى بعض الأوقات غير مجد، لأنّه ربما استولى عليه الغفلة حين لم يذكر، كما نشاهد فى غالب الكسبة والتجار، فإنّهم فى أوّل ما يريدون الجلوس فى محلّهم أو فتح حانوتهم يذكرون اللَّه، ثمّ يغفلون عنه تعالى، ويستغرقون فى أمر الدنيا، فتوسوس إليهم الشياطين.

إحسانه إليكم بالتوفيق، وقيل المراد بالذكر: الفكر، كما قال النّبى صلّى اللَّه عليه وآله «فكرة ساعة خير من عبادة سنة» «۱» وقيل: أذكروا اللَّه فى تجارتكم، وليس بعيداً من الصواب أن يكون المراد وابتغوا من فضل اللَّه: واذكروا أوامر اللَّه ونواهيه فى طلب الرزق، فلا تأخذوا إلّاما حلّ لكم أخذه لا ما حرم لكم، أو يكون المراد: الذكر حال العقد، فإنّه يستحب التكبير عنده والشهادتان «۲»، واللَّه أعلم.

وقال الشيخ أحمد الجزائرى: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثيرًا» أىعلى إحسانه إليكم بالتوفيق والألطاف، أو المعنى اذكروه فى تجارتكم وأسواقكم، أو اذكروا أوامره ونواهيه عند طلب الرزق. فلا تأخذوا إلّاما حلّ «۳».

---

(۱)

بحار الأنوار ۶۸/ ۳۲۶.

(۲) كنز العرفان ۱/ ۱۷۱.

(۳) قلائد الدرر ۱/ ۲۲۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۳

وأمّا الوجه الثامن، أعنى معنى «لعلّ»، فاعلم: أن لعلّ معناه لغة الإرتقاب، ويدخل فيه الطمع والإشفاق، فالطمع إرتقاب شىء محبوب، نحو لعلّ زيداً يقوم، والإشفاق إرتقاب شىء مكروه، نحو لعلّ زيداً يموت الساعة. ولا تدخل لعلّ على متحقق الوقوع، فلا يقال: لعلّ الشمس تغرب، ولا على متحقق العدم، فلا يقال: لعلّ الشباب يعود لنا.

وأمّا (لعلّ) الواقع فى كلامه تعالى، فقد اختلف الكلام فيه، لأنّه تعالى إمّا عالم بوجود مدخوله بعد، أو عالم بعدمه، لاستحالة جهله بشىء جلّ عن ذلك، وكلاهما ينافى «لعلّ» لما ذكر. وتفصّى كلّ بوجهٍ:

فذهب أبو على وقطرب: إلى أنّ معناها التعليل، فمعنى «افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لترحموا. لكن لا يصح هذا بالنسبة إلى قوله تعالى «وَما يُدْريكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَريبًا» «۱»

إذ لا معنى للتعليل فيه.

وقال بعضهم: هى لتحقيق مضمون الجملة التى بعدها.

ولا يستقيم ذلك بالنسبة إليها فى قوله تعالى فى قصة فرعون «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «۲»

، إذ لم يتذكّر ولم يخش.

وأورد عليه: بأنّه آمن بعد ذلك، فكأن التّذكر حصل منه، إذ قال

---

(۱) سورة الشورى، الآية: ۱۷.

(۲) سورة طه، الآية: ۴۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۴

«آمَنْتُ أَنَّهُ لاإِلهَ إِلَّا الَّذى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائيلَ» «۱»

، وأجيب: بأنّ إيمانه وتوبته عن يأسٍ لا معنى تحققها، ولو كان تذكراً حقيقياً لقبل منه.

وعندى فيه نظر إذ لم يظهر لى وجه عدم الحقيقيّة. وأمّا عدم قبول توبته فليس لعدم الحقيقة، بل لأنّ التوبة كانت وقت مشاهدة الموت وهى لا تنفع، كما قال اللّه تعالى «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكينَ* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ» «۲».

والحقّ فى الجواب أن يقال: إنّ الظاهر من قوله تعالى «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «۳»

التذكر والخشية بسببك، لا مطلق التذكر والخشية.

هذا، والحق فيها ما قاله سيبويه من تعلّق الرجاء والإشفاق بالمخاطبين، لأنّ الأصل عدم خروج الكلمة عن معناها الأوّلى، وبعبارة أخرى: إنّ كلمة (لعلّ) لبيان أنّ مدخولها معرض للحصول والوقوع.

فيكون المعنى فى الآية إنّ ما ذكر من الأمور مقتضى الفلاح، لكن ليس علّةً تامّةً له بقول مطلق، بل لا بدّ من اجتماع سائر الشرائط المجتمعة فى قوله «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» «... ۴»

وقوله «إِنَّمَا

---

(۱) سورة يونس، الآية: ۹۰.

(۲) سورة غافر، الآية: ۸۴- ۸۵.

(۳) سورة طه، الآية: ۴۴.

(۴) سورة المؤمنون، الآية ۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۵

الْمُؤْمِنُونَ» «۱»

، ...فيكون ما ذكر جزء السبب لا يفلح بدونه.

ويستفاد من قوله «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» إحتياجهم إلى الفلاح وأنّهم ليسوا بمفلحين قبل ذلك [۱].

[۱] «لعلّ» من الحروف المشبهة بالفعل، تنصب الإسم وترفع الخبر، وفيها ثمانية وعشرون لغةً، وتختص بالممكن الذى لا- وثوق بحصوله، ولها معانٍ ۱- للتوقع وترجى المحبوب «وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۲»

۲- للإشفاق من مكروهٍ أو مخوفٍ، كقول فرعون «لَعَلّى أَبْلُغُ الْأَسْبابَ» «۳»

۳- للتعليل «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» «۴»

۴- للإستفهام «وَما يُدْريكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّى» «۵»

۵- للطمع، «لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ» طمع قوم فرعون. ۶- للظن: «فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ» «۶»

أى يظن بك الناس ذلك. ۷- بمعنى (كى): «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «۷»

. ۸- للشك واللام فى أوّلها زائدة بمعنى عل «وَإِنْ أَدْرى لَعَلَّهُ

---

(۱) سورة الأنفال، الآية: ۲.

(۲) سورة الأنفال، الآية ۴۵، وسورة الجمعة، الآية: ۱۰.

(۳) سورة غافر، الآية: ۳۶.

(۴) سورة طه، الآية: ۴۴.

(۵) سورة عبس، الآية: ۳.

(۶) سورة هود، الآية: ۱۲.

(۷) سورة البقرة، الآية: ۲۱ و ۶۳ و.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۶

وأمّا الوجه التاسع: أعنى ما يمكن أن يستفاد من الآية ممّا يتعلق بصلاة الجمعة وهو أمور:

الأوّل: الخطبة إجمالًا، لقوله تعالى «فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ» وقد سبق مفصّلًا.

الثانى: إسماع الخطبة.

الثالث: قيام الخطيب.

الرابع: الجماعة.

الخامس: العدد وهو خمسة، أحدهم المؤذّن أعنى المنادى،

فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إِلى حينٍ» «۱» «وَقالَ لِفِتْيانِهِ اجْعَلُوا بِضاعَتَهُمْ فى رِحالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَها» «۲»

؛ ولعلّ من اللَّه تحقيق: «لَعَلَّ السَّاعَةَ قَريبٌ» «۳» «۴»

وفى حديث حاطب قال صلّى اللَّه عليه وآله: وما يدريك يا عمر لعلّ اللَّه اطلع على أهل بدر، فقال لهم: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» «۵».

---

(۱) سورة الانبياء الاية ۱۱۱

(۲) سورة يوسف الاية ۶۲

(۳) سورى الاية ۱۷

(۴) راجع مختار الصحاح المفردات المعنى القاموس تاج العروس النهاية مصباح اللغه مجمع البحرين المنجد

(۵) البحار ۲۱/ ۹۴- ۹۵ و سنن أبى داود ۲/ ۴۵ كتاب الجهاد باب فى حكم الجاسوس إذكامسلماً.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۵۷

والثانى الإمام، وثلاثة اخر لقوله «فاسعوا» فإنّ أقلّ الجمع ثلاثة.

السادس: الوقت، أعنى كونه محدوداً بين الزوال إلى أن تتمّ الأفعال متعقّباً لما ذكر فى «قضيت».

السابع: وحدة المكان.

الثامن: وضعها عن الصبى والمجنون، لعدم إمكان توجّه الخطاب إليهما لعدم التكليف.

التاسع: وضعها عن المريض والشيخ والأعرج والأعمى، لعدم إمكان السّعى بأنفسهم، بل يحتاجون إلى شخص آخر، فالأمر بالسّعى لا يشملهم.

العاشر: وضعها عمّن هو على فرسخين أو أكثر، لمشقّة السفر منضمّاً إلى قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» «۱».

وأمّا وجوب السّعى على من كان أقرب، فللسنّة.

الحادى عشر: وضعها عن العبد، لأنّه لا يملك البيع، والأمر للبائعين لأنّه كالآلة للبيع.

الثانى عشر: وضعها عن المرأة، لأنّها لا تتمكن من الإنتشار ولا تكليف بها بالصّلاة، والمأمورون بالإنتشار هم المأمورون بالسعى.

الثالث عشر: وضعها عن المسافر، لعدم الأمر بالإنتشار به.

ولا يخفى أنّ ما ذكر من وجوبها على البائع أعمّ من البائع

---

(۱) سورة البقرة، الآية: ۱۸۵.

بالفعل أو بالقوة، أعنى الذى يمكنه البيع حالًا وإن لم يكن متلبّسا به، فيجب السّعى على من لا يشتغل أصلًا مع إجتماع سائر الشروط فيه.

وأمّا الوجه العاشر، أعنى وجه الربط بين قوله تعالى «وَإِذا رَأَوْا» والآية السابقة فهو: إنّه لما أمر بالسعى إلى ذكر اللَّه أراد أن يبين عدم كفاية الذهاب إليه فقط، بل يجب البقاء إلى آخر الأعمال، ويحرم الخروج فى أثناء صلاة الجمعة [۱].

[۱] عن قتادة: بينما رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم يخطب الناس يوم الجمعة، فجعلوا يتسلّلون ويقومون حتّى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا إثنا عشر رجلًا وامرأة، ثمّ قام فى الجمعة الثانية فجعل يخطبهم، قال سفيان: ولا أعلم إلّاأنّ فى حديثه ويعظهم ويذكرهم، فجعلوا يتسلّلون ويقومون حتّى بقيت عصابة فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا إثنا عشر رجلًا وامرأة، ثمّ قام فى الجمعة الثالثة فجعلوا يتسلّلون ويقومون حتّى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا إثنا عشر رجلًا وامرأة فقال (والذى نفسى بيده لو اتبع آخركم أوّلكم لالتهب عليكم الوادى ناراً، وأنزل اللَّه عزّ وجل «وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِمًا» «۱».

---

(۱) تفسير الطبرى ۲۸/ ۱۰۴.

وأمّا الوجه الحادى عشر، أىوجه نزول هذه الآية، ففى الصافى عن القمى قال: «كان رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله يصلّى بالناس يوم الجمعة، ودخلت ميرةٌ وبين يديها قومٌ يضربون بالدفوف والملاهى، فترك الناس الصّلاة ومروا ينظرون إليهم، فأنزل اللَّه الآية».

وفيه عن المجمع عن جابر بن عبداللَّه قال: «أقبلت عيرٌ ونحن نصلّى مع رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله الجمعة، فانفضّ الناس إليها، فما بقى غير إثنى عشر رجلًا أنا فيهم، فنزلت الآية «وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْوًا» «۱» «۲»

وقيل: كان الرسول صلّى اللَّه عليه وآله خطيباً» [۱].

[۱] قال صدر المتألهين (تركوه قائماً ايثاراً لهذا الخسيس الدنى على الشريف العلّى، نظير ذلك ما وقع لهم فى ترك النجوى مع الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله حين أوجبت عليهم الآية صدقة يسيرة حبة أو شعيرة، ففوّتوا ذلك الأمر العظيم بإمساك هذا التراب الرميم، لما روى أنّهم أكثروا مناجاة الرّسول صلّى اللَّه عليه وآله بما يريدون، حتّى الموت وأبرموه، فنزلت «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا

ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

---

(۱) الصافی ۵/ ۱۷۶.

(۲) مجمع البیان ۱۰/ ۱۱.

سلسلة النقد والتحقیق، ج۳، ص: ۱۶۰

رَحِيمٌ* ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْواكُمْ صَدَقاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» «... ۱».

وأمروا بأنّ من أراد أن يناجيه صلّى اللَّه عليه وآله قدّم قبل مناجاته صدقة.

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام: «لمّا نزلت، دعانى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فقال: ما تقول فى دينار؟ قلت لا يطيقونه، قال: كم؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: إنّك لزهيد، فلمّا رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفّوا عن النّجوى حتى نسخت عنه صلّى اللَّه عليه وآله» «۲».

وعنه عليه السّلام: «إنّ فى كتاب اللَّه لآية ما عمل بها أحدٌ قبلى، ولا يعمل بها أحدٌ بعدى، كان لى دينار فصرفته بعشر دراهم، فكنت إذا ناجيته تصدّقت بدرهم، فانظر فى هذه الحكاية بنظر التأمل حتّى تعلم أنّ أهل المودة الأخروية فى غاية القلّة والندورة بالنسبة إلى أهل المودّة الدنيوية، وإنّ عدد طالب الحقّ بالنسبة إلى طالب الهوى كعدد الشعرة البيضاء فى جلد البقرة السوداء» «۳» «۴».

---

(۱) سورة المجادلة، الآية: ۱۲- ۱۳.

(۲) الدر المنثور ۶/ ۱۸۵.

(۳) تفسير القمى: ۶۷۰.

(۴) تفسير صدر الدين الشيرازى ۷/ ۲۸۳- ۲۸۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۶۱

وأمّا الوجه الثانى عشر، أى‌سبب قوله «رأوا»، فيمكن أن يكون بمعنى أبصروا أى‌بأعينهم، لأنّه كان جدار المسجد كما نقل مقدار قامة يمكن النظر إلى خارج المسجد، أو كان المسجد فى محلّ منخفض والتّجار فى محلٍّ مرتفع يمكن النظر، لكن على هذا يكون استعمال اللّهو والتّجارة فى أسبابها مجازاً، لإستعمال المسبّب مكان السّبب. ويمكن أن يكون بمعنى (علموا) فلا يحتاج إلى ما ذكر من فرض جدار المسجد مقدار قامة أو فرضه منخفضاً، فتدبّر.

وأمّا الوجه الثالث عشر أعنى وجه الإتيان بكلمة (لهواً)، فهو:

خروج بعضهم للتجارة وبعضهم للهو، كما عن بعض، أو إفادة خسّة طبعهم، فكأنّه إضراب، ويكون قوله «أو لهواً» إظهار رذالة نفسهم بأنّهم فى هذه المرتبة من الخسة، وهو تركهم الصّلاة للهو [۱].

وأمّا الوجه الرابع عشر، وهو معنى «انفضوا» [۲]، فالظاهر أنّه

[۱] قال الفاضل المقداد السيورى: (اللهو) هو الطبل، وفى الأصل اللهو كلّ ما ألهى عن ذكر اللَّه «۱».

[۲] عن أبى عبداللَّه عليه السّلام فى معنى «انْفَضُّوا إِلَيْها»

---

(۱) كنز العرفان ۱/ ۱۷۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۶۲

بمعنى «هجموا» كالجراد، لا الميل كما فسّره بعض. وهذا المعنى لا يستفاد من نحو خرجوا أو تفرّقوا ونحوهما، ولذا أتى به للدلالة

على حالهم حين الخروج لشدّة حرصهم على التّجارة واللّهو وعدم اعتنائهم بالصلاة والذّكر، وقد ورد عن النّبى صلّى اللّه عليه وآله: «لولا هؤلاء- أى‌الحاضرين، وهم اثنا عشر أو أحد عشر- لسومت عليهم الحجارة من السماء» «۱»، وهو يدلّ على غضب اللّه عليهم.

وأمّا الوجه الخامس عشر، أى‌وجه إفراد الضمير فى «إليها» [۱]

إنصرفوا إليها «۲». «وَتَرَكُوكَ قائِمًا» تخطب على المنبر «۳».

[۱] وقيل: الضمير للتجارة من غير تقدير آخر، لأنّ المراد إذا رأوها تجارة وعلموها أو لهواً دالّاً عليها فظنوها إنفضّوا إليها وقدم التّجارة أوّلًا للتّرقى باللّهو، إذ لا فائدة لهم فيه بخلافها، فالذمّ على الإنصراف أولى وأقوى، وآخرها ثانياً للترقى بها، فإنّ كون ما عند اللّه من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصّلاة والثبات مع النّبى صلّى اللّه عليه وآله أو من خير الدنيا والآخرة خيراً من التجارة، أبلغ من كونه خيراً من اللّهو الذى لا فائدة فيه إلّاوهماً، ولعلّ التفضيل أيضاً بناءً

---

(۱) تفسير مجمع البيان ۱۰/ ۱۱.

(۲) تفسير البرهان ۴/ ۳۳۶.

(۳) مجمع البيان ۱۰/ ۱۵.

مع ذكر شيئين: التجارة واللّهو، فهو: خروجهم لأجل التجارة [۱] وهذا يؤيّد ما ذكرناه فى سبب الإتيان بكلمة (لهواً).

وقيل: فى الكلام حذف، تقديره وإذا رأوا تجارة إنفضّوا إليها،

على وهمهم لينا ومماشاة وتخلّقاً معهم، «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» فيرزقكم إن لم تتركوا الخطبة والجمعة خيراً ممّا يرزقكم مع الترك، أو خيراً ممّا ترجون من التّجارة ونحوها، وقيل: أى‌يرزقكم وإن لم تتركوا الخطبة والجمعة، و (خير الرازقين) من قبيل (أحكم الحاكمين) و (أحسن الخالقين) أى‌إن أمكن وجود الرازقين فهو خيرهم، وقيل:

الإطلاق على غيره بطريق المجاز، ولا ريب أنّ الرازق بطريق الحقيقة خير من الرازقين بطريق المجاز «۱».

[۱] قال صدر المتألّهين: إعلم أنّ دعوى كون ما عنداللّه خيراً من اللّهو الذى هو لذّة القوّة الحسّية وشهوة النفس البهيميّة، ومن التجارة التى هى لذّة القوّة الخياليّة والنفس السبعيّة، إذ بها يحصل الجاه والحشمة، ممّا يشكل إثباته على أكثر الناس، لغلبة التجسّم عليهم وكثافة الحجاب فيهم، فإنّ كون معرفة اللّه وصفاته ومعرفة ملكوت سماواته وأسرار ملكه أعظم من لذّة الرياسة وساير المرغوبات ممّا يختص دركه

---

(۱) آيات الأحكام للإسترآبادى: ۲۶۲.

وإذا رأوا لهواً إنفضوا إليه. وقيل: الضمير على سبيل البدل كقوله فى قصّة عزير، «فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» «۱»

. وليس بشىء، لإمكان إرجاع الضمير فى القصّة إلى كلّ واحدٍ منهما بخلافه فى «انْفَضُّوا إِلَيْها» فلا يصلح الضمير لرجوعه إلى اللّهو.

وأمّا الوجه السادس عشر، أى‌سبب تقديم التّجارة فى الأوّل وتأخيرها فى الثانى، فهو الدّلالة على خسّة طبعهم فى الأوّل، كما تقول: زيد يكذب بدينار، بل بدرهم، فكأنّه إضراب كما تقدّم، وعلى حسن ما عنداللّه فى الثانى، كما تقول: هذا أحسن من الدّرهم ومن الدّينار، إذا أردت بيان رذالته فى الأوّل وحسنه فى الثانى.

وأمّا الوجه السابع عشر، أعنى وجه تكرار «من»، فهو: إفادة الإضراب الذى ذكر، بخلاف ما إذا لم يتكرّر، فلا يفهم منه بل كان يفهم إستواؤهما، كقولك: هذا أفضل من زيد وعمرو، وهذا أمر ذوقى مرجعه الوجدان، فلا يحتاج إلى بيان.

بمن نال رتبة المعرفة، وذاق مشرب الحكمة، ولا يمكن إثباته على من لا قلب له، لأنّ القلب معدن هذه القوّة «... ۲».

---

(۱)

سورة البقرة، الآية: ۳۵۹.

(۲) تفسير صدر الدين الشيرازى: ۷/ ۲۹۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۶۵

وأما الوجه الثامن عشر: أعنى سبب قوله «وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»، فهو: تنبيههم إلى أنّ الرّزق بيد اللَّه يؤتى كلّ أحدٍ نصيبه، فلا يحتاج إلى التجشم والتعب، وأنّه لا يفوت أحداً رزقه بسبب الذكر [۱] وله الحمد أوّلًا وآخراً.

[۱] وقوله: «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أمرٌ للنّبىّ أن ينبّههم على خطأهم فيما فعلوا- وما أفظعه- والمراد بما عنداللَّه، الثواب الذى يستعقبه سماع الخطبة والموعظة.

والمعنى قل لهم: ما عنداللَّه من الثواب خيرٌ من اللّهو ومن التّجارة، لأنّ ثوابه تعالى خيرٌ حقيقى دائم غير منقطع، وما فى اللّهو والتّجارة من الخير أمرٌ خيالى زائل باطل، وربما استتبع سخطه تعالى كما فى اللّهو.

وقيل: خير مستعمل فى الآية مجرّداً عن معنى التفضيل، كما فى قوله تعالى «ءَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ» «۱»، وهو شائع فى الإستعمال، وفى الآية أعنى قوله: «وَإِذا رَأَوْا» إلتفات من الخطاب إلى الغيبة، والنكتة فيه تأكيد ما يفيده السياق من العتاب واستهجان الفعل بالإعراض عن تشريفهم بالخطاب، وتركهم فى مقام الغيبة لا يواجههم

---

(۱) سورة يوسف، الآية: ۳۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۶۶

ربّهم بوجهه الكريم.

ويلوّح إلى هذا الإعراض قوله: «قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ» حيث لم يشر إلى من يقول له، ولم يقل: قل لهم كما ذكرهم بضميرهم أوّلًا من غير سبق مرجعه فقال: «وَإِذا رَأَوْا» واكتفى بدلالة السياق.

و «خَيْرُ الرَّازِقِينَ» من أسمائه تعالى الحسنى كالرازق «۱».

خلاصة موضوعات السورة

۱. وصفه تعالى نفسه بصفات الكمال.

۲. صفات النّبى الأمّى الذى بعثه اللَّه رحمةً للعالمين.

۳. النعى على اليهود لتركهم العمل بأحكام التوراة.

۴. طلب مباهلة اليهود.

۵. الحث على السّعى للصّلاة يوم الجمعة حين النداء والإمام على المنبر.

۶. الأمر بالسعى على الأرزاق بعد انقضاء الصّلاة.

۷. عتاب المؤمنين على تركهم النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، وهو يخطب قائماً، وتفرّقهم لرؤية التّجارة أو اللّهو «۲».

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۱۸.

(۲) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۰۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۶۹

تفسير سورة التغابن ... ص: ۱۶۹

«سورة التّغابن ... ص: ۱۶۹

«[۱]

[۱] سورة التغابن، مدنيّة نزلت بعد الجمعة فى مصحف الإمام الصادق عليه السّلام وهى آخر المسبّحات «۱».

ضوابط المدنىّ ومميّزاته الموضوعيّة

۱- كلّ سورة فيها فريضة أوحد، فهى مدنيّة.

۲- كلّ سورة فيها ذكر المنافقين، فهى مدنيّة سوى العنكبوت فإنّها مكيّة.

۳- كلّ سورة فيها مجادلة أهل الكتاب، فهى مدنيّة.

هذا من ناحية الضوابط، أمّا من ناحية المميّزات الموضوعيّة وخصائص الأسلوب، فيمكن إجمالها فيما يأتى:

۱- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصّلات الإجتماعية، والعلاقات الدوليّة

---

(۱) تاريخ القرآن للزنجانى: ۵۷، الإتقان ۱/ ۴۴، وتفسير ابن كثير ۴/ ۳۹۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۰

فى السّلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

۲- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتب اللّه، وتجنيهم على الحقّ، وإختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم.

۳- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدّين.

۴- طول المقاطع والآيات فى أسلوب يقرر الشريعة ويوضع أهدافها ومراميها «۱».

قال مجد الدّين الفيروزآبادى: معظم مقصود السورة بيان تسبيح المخلوقات، والحكمة فى تخليق الخلق، والشكاية من القرون الماضية، وإنكار الكفّار البعث والقيامة، وبيان الثواب والعقاب، والإخبار عن عداوة الأهل والأولاد، والأمر بالتقوى حسب الإستطاعة، وتضعيف ثواب المتقين، والخبر عن إطّلاع الحقّ على علم الغيب فى قوله «عالِمُ الْغَيْبِ» الآية «۲».

---

(۱) مباحث فى علوم القرآن: ۵۹.

(۲) راجع بصائر ذوى التمييز ۱/ ۴۶۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۱

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

[۱]»

[۱] قال العلّامة الشيخ محمّد جواد البلاغى: الظاهر أنّ البسملة فى جميع السور متعلقة بكلمة (أبدأ) للمتكلّم من قول اللّه جلّ اسمه تنويهاً بجلال اسمه الكريم وبركاته وتعظيماً له لجلال المسمّى وعظمته جلّ شأنه، وله الأسماء الحسنى، كما أمر فى القرآن بذكر اسمه وتسبيحه، كما فى سورة المائدة والحج والمزمّل والدّهر والأعلى، فيتنظم المقدر فى جميع السور وجميع الأحوال بنظام واحد على نسق

واحد، ولا يعترى ما استظهرناه غرابة ولا إشكال، وكيف يعتريه ذلك، وقد نسب اللَّه الإبتداء لذاته المقدّسية فى خلقه، كما فى قوله جلّ اسمه «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طينٍ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ» «۱»

وقد أقسم جلّ اسمه بمخلوقاته كالشمس والقمر والنفس وغيرها تعظيماً، لأنّها مظاهر قدرته وآيات حكمته «۲».

---

(۱) سورة السجدة الاية ۷ و سورة الانبياء الاية ۴

(۲) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن ۱/ ۵۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۲

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ* هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ* خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصيرُ* يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ».

ينبغى التحقيق فى هذه الآيات حول ستّة أمور:

الأوّل: إنّ المستفاد منها أنّها فى مقام دعوة الخلق إلى الإيمان والتوحيد، وتوبيخهم على الكفر، ووعظهم حتّى يؤمنوا، ثمّ إنّ التسبيح المسند إلى الموجودات برمتها فى السّموات والأرض، هو التسبيح التكوينى، فإنّ كلّ موجود بهويّة ذاته وبلسان تكوّنه، يقدّس اللَّه جلّ وعلا، وينزّهه عن الشريك، وعن الشبه، وعن الجهل، وعن العجز، وعن سائر الجهات الإمكانية [۱] لما برهن فى محلّه- وقد ذكرنا نبذة منه فى سورة الجمعة- إنّه لو كان الإله اثنين لما وجد موجود قطّ، ولو كان جاهلًا أو عاجزاً لما صدر منه صادر، كما هو واضح، إلى غير ذلك ممّا يصدقه الوجدان، ويشهد عليه البرهان.

والحمد للَّه الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا اللَّه.

[۱] قال عزّ اسمه تارةً: سبّح للَّه، وتارة: يسبّح للَّه، هى إشارة إلى

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۳

ثمّ إنّ اللّام فى «للَّه» للإختصاص ويفهم منه الخلوص، بمعنى أنّ التسبيح كائن للَّه وخالص له، بلا عجب ولا رياء ولا سمعة، إذ التسبيح التكوينى لا يعقل فيه غير الخلوص.

الثانى: إنّ قوله تعالى «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» فيه ثلاث احتمالات:

الأوّل: إنّه بيان تسبيح ما فى السّموات وما فى الأرض [۱] بمعنى أنّهم يسبّحون بتلك الآية، وهو «لَهُ الْمُلْكُ». ... فما ذكر هو بعينه كلامهم بلسان تكوينهم.

دوام تنزيهه بتسبيح المكلّفين بالقول، وتسبيح الجمادات بالدّلالة، وإنّ وجود ما فى السّموات والأرض دالّ على تنزيه اللَّه وكماله، وإنّ هذه المخلوقات مسخّرة ومنقادة له «۱».

[۱] قال الفخر الرازى: قال اللَّه تعالى فى موضع «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ» وفى موضع آخر «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» فما الحكمة فيه؟ قلنا: الحكمة لا بدّ منها، ولا نعلمها كما هى، لكن نقول ما يخطر بالبال، وهو: إنّ مجموع السّموات والأرض شىء واحد، وهو عالم مؤلّف من الأجسام الفلكية

---

(۱) راجع جوامع الجامع: ۴۹۳، ومجمع البيان ۵/ ۲۹۷ كلاهما للطبرسى، وتفسير المراغى ۲۸/ ۱۱۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۴

والعنصريّة، ثمّ الأرض من هذا المجموع شىء والباقى منه شىء آخر، فقوله تعالى «يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ» بالنسبة

إلى هذا الجزء من المجموع وبالنسبة إلى ذلك الجزء منه كذلك، وإذا كان كذلك فلا يبعد أن يقال قال تعالى فى بعض السور كذا، وفى البعض هذا، ليعلم أنّ هذا العالم الجسمانى من وجه شىء واحد، ومن وجه شيئان، بل أشياء كثيرة والخلق فى المجموع غير ما فى هذا الجزء، وغير ما فى ذلك أيضاً، ولا يلزم من وجود الشىء فى المجموع أن يوجد فى كلّ جزء من أجزائه إلّابدليل منفصل، فقوله تعالى «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ» على سبيل المبالغة من جملة ذلك الدليل لما أنّه يدلّ على تسبيح ما فى السّموات وعلى تسبيح ما فى الأرض، كذلك بخلاف قوله تعالى «سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» «۱».

وقال الشيخ الطّوسى قدّس سرّه: «إنّ المراد بها ما فى خلق السّموات والأرض وما فيهما من الأدلة الدّالة على توحيده وصفاته التى باين بها خلقه، وإنّه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شىء، وإنّه منزّه عن القبايح

---

(۱) التفسير الكبير ۳۰/ ۲۰.

الثانى: كون الآية وجهاً لاختصاص الملك والحمد له، وقدرته على أنّ كلّ ما يشاءه يفعل [۱].

الثالث من الإحتمالات فى الآية: تزكية النفس منه سبحانه وتعالى لنفسه المقدّسة، وهو جلّ وعلا أحقّ بذلك، بمعنى أنّه يحمد ويثنى على نفسه بهذه الصّفات الكماليّة.

وصفات النقص، فعبّر عن ذلك بالتسبيح من حيث كان معنى التسبيح التنزيه للّه عمّا لا يليق به» «۱».

[۱] قال الآلوسى: «تقديم (له الملك) لأنّه كدليل لما بعده» «۲»، وقال الطّبرسى قده: (له الملك) منفرداً دون غيره والألف واللّام لإستغراق الجنس، والمعنى أنّه المالك لجميع ذلك، والمتصرف فيه كيف يشاء (وله الحمد) على جميع ذلك، لأنّ خلق ذلك أجمع الغرض فيه للخلق الإحسان إلى خلقه والنفع لهم به، فاستحقّ بذلك الحمد والشكر «وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ» يوجد المعدوم ويفنى الموجود، ويغيّر الأحوال كما يشاء «۳».

---

(۱) تفسير التبيان ۱/ ۶۸۰.

(۲) روح المعانى ۲۸/ ۱۰۵.

(۳) مجمع البيان ۵/ ۲۹۷.

الثالث: ذكر بعض مقدوراته تعالى، فقال: «هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ» يفيد الحصر، ويستفاد من قوله تعالى «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» التعريض والتوبيخ على الناس بمعنى أنّ الإله الذى يسبّح له ما فى السّموات والأرض وقد خلقكم فكيف تكفرون أنتم؟ وكان حقّ ذلك ومقتضى وحدة الخالق أن يكون الناس جميعهم مؤمنين باللّه، فلماذا صاروا فرقتين؟ مؤمن وكافر؟ [۱] وتقديم الكفر على الإيمان هو المناسب لمقام التوبيخ، والفاء فى قوله تعالى: «فَمِنْكُمْ» يفيد

[۱] قال الطّبرسى قده: ولا يجوز حمله على أنّه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين، لأنّه لم يقل كذلك، بل أضاف الكفر والإيمان إليهم وإلى فعلهم، ولدلالة العقول على أنّ ذلك يقع على حسب قصورهم وأفعالهم، ولذلك يصحّ الأمر والنهى، والثواب والعقاب وبعثة الأنبياء «۱».

عن حسين بن نعيم عن صحاف قال: سألت الصّادق عليه السّلام عن قوله تعالى «فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» قال عليه الصّلاة والسّلام: «عرف اللّه عزّ وجل إيمانهم بولايتنا وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق فى صلب آدم عليه السّلام» «۲».

---

(۱) مجمع البيان ۱۰/ ۲۸.

(۲) تفسير البرهان ۴/ ۴۳۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۷

تأخر الايمان والكفر عن الخلق، لا أنّهما أمران ذاتيان كسائر اللوازم الذاتية التى يطرأ عليها الوجود والخلق [۱].

[۱] قال النسفى: أىفمنكم آت بالكفر وفاعل له، ومنكم آت بالإيمان وفاعل له. ويدلّ عليه «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أىعالم وبصير بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملكم، والمعنى: هو الّذى تفضّل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والإيجاد من العدم، وكان يجب أن تكونوا بأجمعكم شاكرين، فما بالكم تفرقتم أمماً فمنكم كافر ومنكم مؤمن، وقدّم الكفر لأنّه الأغلب عليهم، والأكثر فيهم، وهو ردّ لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين، وقيل: هو الّذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به «۱».

وقال الفخر الرازى، قال أبو إسحاق: خلقكم فى بطون أمّهاتكم كفّاراً ومؤمنين، وجاء فى بعض التفاسير أن يحيى خلق فى بطن أمّه مؤمناً، وفرعون خلق فى بطن أمّه كافراً، دلّ عليه قوله تعالى «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» «۲» «۳».

---

(۱) تفسير النسفى ۴/ ۲۶۰.

(۲) سورة آل عمران، الآية: ۳۹.

(۳) التفسير الكبير ۳۰/ ۲۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۸

أقول: ۱- قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله: «كلّ مولود يولد على الفطرة إلّاأبواه يهوّدانه وينصّرانه» «۱». قال سيدى الوالد قدّس سرّه: أى يولد على الفطرة اقتضاء.

۲- عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم: «يعنى على المعرفة بأنّ اللَّه خالقه، وذلك قوله «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» «۲»» «۳».

۳- وعن الصّادق عليه السّلام: «إنّ اللَّه خلق المؤمن من طينة الجنة، وخلق الكافر من طينة النار الحديث».

قال الشيخ الحرّ العاملى قدّس سرّه: والأحاديث فى ذلك كثيرة جدّاً قد تجاوزت حدّ التواتر، ولا منافاة فيها للعدل، لأنّ خلق الإنسان من طينة طيّبة أو خبيثة من جملة أسباب الطّاعة والمعصية، ولا ينتهى إلى حدّ الإلجاء، فلا يلزم الجبر، وخلق الطينتين يوجب إمكان صدور

---

(۱) بحار الأنوار ۳/ ۲۸۱، باب الدين الحنيف والفطرة، الرّقم ۲۲، وفيه: كلمة «حتّى» بدل «إلّا».

(۲) سورة لقمان، الآية: ۲۵.

(۳) الفصول المهمّة ۱/ ۴۲۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۷۹

وقوله تعالى «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» حيث أتى بالإسم الظاهر، والصفة المشبهة دون أن يقول: وهو بما تعملون بصير، أو نحوه، يفيد أنّ مبدأ البصيرة ذاتى له، فإنّه لو قال (مبصر) لم يكن له صراحة سبق البصيرة لعدم منافاته بضمير الغيبة مع حصوله بعد الخلق، والصفة المشبهة تدلّ على أنّ المبدأ ذاتى، بخلاف إسم الفاعل، فإنّه يدلّ على تلبّس الذات بمبدأ المشتق وإن لم يكن ذاتيّاً ولا ملكة، مضافاً إلى أنّ الإتيان بلفظ الجلالة بمثابة البرهان على كونه بصيراً، فإنّ معناه هو المستجمع لجميع الكمالات، فلا بدّ وأن يكون بصيراً بالذات، وإن كان يعدّ هو وأمثاله من صفات الفعل [۱]، إذ معناه أنّ المبدأ ذاتى وإن وقع على الفعل بعد وجوده، كما هو المذكور فى

الحديث. ولعلّ مناسبة ذكر هذه الجملة هو، أنّه لما كان الإيمان والكفر مصدرين لأعمال تناسبهما، فذكر أنّ الأعمال يطّلع عليها الخالق، يوجب النشاط للمؤمن والخوف للكافر. ويحتمل وجود مناسبة أخرى. واللَّه العالم.

الأثرين، وإن كان سبب أحدهما أقوى فلا مفسدة «... ۱».

[۱] قال الشيخ المفيد قدّس سرّه: صفات اللَّه تعالى على ضربين:

---

(۱) الفصول المهمّة ۱/ ۴۱۹- ۴۲۰.

أحدهما: منسوب إلى الذّات، فيقال صفات الذّات. وثانيهما:

منسوب إلى الأفعال فيقال: صفات الأفعال، والمعنى فى قولنا صفات الذات: أنّ الذّات مستحقّة لمعناها إستحقاقاً لازماً لا لمعنى سواها، ومعنى صفات الأفعال: هو أنّها تجب بوجود الفعل ولا- تجب قبل وجوده، فصفات الذّات للَّه تعالى هى الوصف له بأنّه حيّ، قادر، عالم، ألا ترى أنّه لم يزل مستحقّاً لهذه الصّفات ولا يزال. ووصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق، رازق، محى، مميت، مبدىء، معيد، ألا ترى أنّه قبل خلقه الخلق لا يصحّ وصفه بأنّه خالق، وقبل إحيائه الأموات لا يقال: إنّه محى، وكذلك القول فيما عدّدناه.

والفرق بين صفات الأفعال وصفات الذّات: إنّ صفات الذّات لا يصحّ لصاحبها الوصف بأضدادها ولا خلوّه منها، وأوصاف الأفعال يصحّ الوصف لمستحقّها بأضدادها وخروجه عنها، ألا ترى أنّه لا يصحّ وصف اللَّه تعالى بأنّه يموت ولا بأنّه يعجز ولا بأنّه يجهل، ولا يصحّ الوصف له بالخروج عن كونه حيّاً، عالماً، قادراً، ويصحّ الوصف بأنّه غير خالق اليوم، ولا رازق لزيد، ولا محى لميّت بعينه، ولا مبدىء لشىء فى هذه الحال، ولا- معيد له، ويصحّ الوصف له- جلّ وعزّ- بأنّه يرزق ويمنع ويحيى ويميت ويبدىء ويعيد ويوجد ويعدم، فثبتت العبرة فى

الرابع: قوله تعالى عزّ شأنه «خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» إنّه يستفاد من مجموع الآية المبدأ والمعاد، بمعنى أنّ كلّ شىء بين السّموات والأرض، من الإنسان وغيره، خلقهنّ اللَّه وإليه يعود كلّ ذلك، فجملة «خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ» قرينة للمبدأ، وقوله تعالى «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» قرينة للمعاد، وإليه المرجع يوم القيامة.

الخامس: يناسب هذه الجملة أعنى «خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ...

الآية» لما تقدّم، بأنّه امتنان عليهم بأحسن الصّور، فينبغى أن يشكروه، وأنّ المعاد والمصير إليه، فينبغى أن لا يكفروا، وذكر إبتداءً مادّة جميع المخلوقات وهو السّموات والأرض وخلقها، ثمّ حينما أعطى لكلّ شىء شكلًا وصورة يمتاز به عن غيره، ومنّ عليهم بأحسن الصّور [۱] وهى النفس الناطقة الإنسانية، فإنّها هى صورة

أوصاف الذّات وأوصاف الأفعال، والفرق بينهما ما ذكرناه «۱».

[۱] قال الآلوسى: «برأكم وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته، وخصّكم بخلاصة خصائص مبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة» «۲».

---

(۱) تصحيح الإعتقاد من مصنّفات الشيخ المفيد: ۵/ ۴۱.

(۲) روح المعانى ۲۸/ ۱۰۶.

الإنسان لغةً وإصطلاحاً.

وبهذا تعرف أن لا موقع للإستشكال- بأنّ بعض الإنسان قبيح المنظر، مشوه الخلقة، وفى غيره من الحيوان ما هو أجمل شكلًا، كما ذكر الإشكال، ووقعوا فى حيص وبيص عن جوابه- إذ ليست الصورة هى الشكل العرضى، بل الذاتى المائز له عن غيره أعنى النفس الناطقة التى هى أحسن الصور المائزة بين الأنواع، ولا يفرق فى ذلك كونه أجمل شكلًا أو اسوأه.

ثمّ إنّ كلمة «بِالْحَقِّ» فى قبال أن يكون باطلًا، على حذو قوله سبحانه حكاية عن المتفكرين حيث يقولون «رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا» ثمّ ذكر سبحانه «وَإِلَيْهِ الْمَصيرُ» فإنّه بالخوف من التبعة فى المعاد، يتصدى الإنسان إلى تحصيل الإيمان والخضوع للخالق، فإنّه من التفت إلى أنّ هناك معاداً ودار جزاء وحساب، يدعوه لزوم دفع الضرر بجبلة عقله إلى التحرز والإحتياط، فيتصدى إلى الفحص والنظر فى الآيات والدلائل ويهتدى إلى الإيمان [۱].

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: «بهذه الآية تتمّ المقدّمات المنتجة للزوم البعث ورجوع الخلق إليه تعالى، فإنّه تعالى لما كان ملكاً قادراً على الإطلاق له أن يحكم بما شاء، ويتصرف كيف أراد، وهو منزّه عن كلّ نقص وشين، محمود فى أفعاله وكان الناس مختلفين بالكفر

السادس: قوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ» يستفاد من هذه الآية أنّ المعلومات على ثلاثة أقسام، معلوم أعيانى، ومعلوم أفعالى، ومعلوم نفسىّ اخطارى.

أمّا المعلوم الأعيانى، فهو الموجودات التى تكون بين السماء والأرض.

وأمّا المعلوم الأفعالى: فهو أفعال البشر من سرّ وعلن.

وأمّا المعلوم النفسى: فهو التخيلات والخواطر التى تكون فى النفس والصدر.

فبناءً على هذا أشار بقوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» إلى المعنى الأوّل وهو الأعيانى، أى كلّ شىء يكون بين السّماء والأرض، فاللَّه تعالى عالم به [۱]. «وَيَعْلَمُ ما

والإيمان، وهو بصير بأعمالهم، وكانت الخلقة لغاية من غير لغو وجزاف، كان من الواجب أن يبعثوا بعد نشأتهم الدنيا لنشأة أخرى دائمة خالدة، فيعيشوا فيها عيشة باقية على ما يقتضيه إختلافهم بالكفر والإيمان، وهو الجزاء الذى يسعد به مؤمنهم ويشقى به كافرهم «۱».

[۱] دفع شبهة لمنكرى المعاد مبنية على الاستبعاد، وهى: أنّه كيف يمكن إعادة الموجودات وهى فانية بائدة وحوادث العالم لا تحصى؟

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۴۳۴.

تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ» بمعنى الأفعالى، أى عالم بكلّ ما تفعلون «وَاللَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» بمعنى الإخطار النفسى، أى عالم بكلّ الخواطر والأفكار التى تكون فى الصّدور.

وبالجملة، روابط هذه الآيات كما يستفاد منها أنّها فى مقام دعوة الخلق إلى الإيمان ومعرفته تعالى والتوحيد، وتوبيخهم على الكفر ووعظهم وإرشادهم وإنذارهم حتّى يؤمنوا، فذكر مقدّمة الثّناء للَّه تعالى بتسبيح ما فى السّموات، ... والتسبيح تكوينى ليس إلّاله، وذكر «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ» على ما ذكرنا من الأوجه الثلاثة.

ثم شرع فى التوحيد بقوله: «هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ» بنحو الحصر

والأعمال والصفات لا تعدّ، منها ظاهرة علنية، ومنها باطنة سريّة، ومنها مشهودة، ومنها مغيبة، فأجيب: بأنّ اللَّه يعلم ما فى السّماوات والأرض ويعلم ما تسرّون وما تعلنون «۱».

وقال الزمخشري: تكرير العلم في معنى تكرير الوعيد، وكلّ ما ذكره بعد قوله تعالى «فَمِنْكَمْ كافِرٌ وَمِنْكَمْ مُؤْمِنٌ» كما ترى في معنى الوعيد على الكفر، وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته «۲».

---

(۱) الميزان في تفسير القرآن ۱۹/ ۳۴۳.

(۲) تفسير الكشاف ۶/ ۱۱۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۸۵

ووبخهم بالتفرق بالايمان والكفر، مع أنّ وحدة الخالق تقتضي الإجتماع في الإيمان، وتقديم الكفر على الإيمان هو المناسب لمقام التوبيخ.

ثمّ شرع في ما منّ به عليهم، وذكر أنّ المادة لجميع المخلوقات هو السّموات والأرض، وذكر أنّ المصير ليس بنحو إبتدائي، كأنّه لم يكن ما سبق منه شيئاً مذكوراً، فلا يؤاخذ عليه، ولا يطالب به ولا يجازى عليه، بل اللّه يعلم ما في السّموات والأرض ويعلم ما تسرّون من الأعمال الخفيّة وما تعلنون ممّا يعملونه علناً ويعلم ما في الصّدور. وهذه أقسام المعلومات الثلاث كما ذكرنا.

ولعلّ النكتة في الإلتفات من الجملة الفعليّة إلى الإسميّة في قوله تعالى «وَاللَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» حيث لم يقل ويعلم ما في الصّدر، على حذو ما قبله من قوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ»: أنّ الجملة الإسميّة آكد في الدّلالة على ثبات العلم، مضافاً إلى أنّ هذه الجملة بمثابة التعليل لما تقدّمه، فإن من هو عليم بذات الصّدور لابدّ وأن يعلم الموجودات الخارجيّة من الأعيان والأفعال، فيناسب أن يكون جملة إسميّة [۱].

[۱] قال الشيخ المفيد قدّس سرّه: «إنّ اللّه تعالى عالم بكلّ ما يكون قبل كونه، وإنّه لا حادث إلّاوقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۸۶

والنكتة في الإتيان بالإسم الظاهر أعني لفظ الجلالة- مع أنّ ما سبق قد أسند إلى الضمير أعني قوله تعالى «يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ» [۱] وسياقه أن يقال هو عليم بذات الصّدور، بضمير الغيبة- لعلّها من باب إيراد القضية مع الإرشاد إلى برهان ثبوت المحمول لموضوعه، وكأنّه قيل: إنّه عليم بذات الصّدور، لأنّه مستجمع لجميع الصفات، فأبدل عن ذلك قوله تعالى «وَاللَّهُ عَليمٌ» حيث أنّ لفظ الجلالة يدلّ على ذلك الإستجماع.

يكون معلوماً إلّاوهو عالم بحقيقته، وأنّه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، وبهذا قضت دلائل العقول والكتاب المسطور والأخبار المتواترة عن آل الرّسول صلّى اللّه عليه وآله، وهو مذهب جميع الإماميّة» «۱».

[۱] «أي ما يسرّه بعضكم إلى بعض وما يخفيه في صدره عن غيره، والفرق بين الإسرار والإخفاء، إنّ الإخفاء أعمّ لأنّه قد يخفى شخصه ويخفى المعنى في نفسه، والإسرار يكون في المعنى دون الشخص «وَاللَّهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ» أي بأسرار الصّدور وبواطنها» «۲».

---

(۱) أوائل المقالات من مصنّفات الشيخ المفيد: ۴/ ۵۴- ۵۵.

(۲) تفسير التبيان ۲/ ۶۸۱، ومجمع البيان ۵/ ۲۹۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۸۷

والنكتة في التعبير بالصّفة المشبّهة- حيث قال تعالى عليم، دون عالم- لعلّها من أجل أنّ الصّفة المشبّهة تدلّ على كون المبدأ ثابتاً مستقرّاً، وهو الأنسب لمقام ذاتية العلم، ولا يفيد ذلك إسم الفاعل، فإنّه يدلّ على التلبّس بالمبدأ وإن لم يكن ذاتياً ولا ملكة. وقد

قدّمنا نظيره.

ثمّ بعد ذلك وعظهم بالإعتبار من نبأ الماضين فى كفرهم حتّى يجتنبوا ويأتوا إلى طريق الهدى [۱].

«أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ* ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ».

لابدّ من التحقيق فى هاتين الآيتين عن أربعة أمور:

الأوّل: قوله تعالى «أَ لَمْ يَأْتِكُمْ». وجه المناسبة لما قبلها أنّها فى مقام الوعظ للعباد، فكما أنّ قوله عزّ شأنه «هُوَ الَّذى خَلَقَكُمْ...»

كان فى مقام التوبيخ والتعريض، فكذلك هذه الآية، بمعنى: أما آتاكم

[۱] قال الطنطاوى: فتح باب للإعتبار بالتاريخ، لا فرق بين قوم نوح وقوم من أمم الإسلام، كأهل الأندلس الذين أذاقتهم أوروبا كأس الذل، وأخرجتهم من ديارهم «۱».

---

(۱) تفسير الجواهر ۲۴/ ۱۸۱.

خبر الذين من قبلكم [۱] فكيف كفرتم باللَّه؟ ولقد كان الكفر شيئاً ذا مفسدة عظيمة، بدليل ذوق الوبال وهو كما فى مجمع البحرين: عاقبة الأمر، والعذاب الأليم الذى يلحقهم فى الآخرة.

[۱] قال المراغى: بعد أن بسط سبحانه الأدلّة على عظيم قدرته وواسع علمه، وأنّه خلق السّموات والأرض، وأنّه صوّرهم فأحسن صورهم، وأنّه يعلم السّرّ والنّجوى، وحذر المشركين من كفّار مكّة على تماديهم فى الكفر، والجحود بآياته وإنكار رسالة نبيّه محمّد صلّى اللَّه عليه وآله، وبيّن لهم عاقبة ما يحلّ بهم من العذاب فى الدنيا والآخرة، وضرب لهم الأمثال بالأمم المكذّبة من قبلهم. فقد كذبوا رسلهم، وتمادوا فى عنادهم، وقالوا: أيرسل اللَّه من البشر رسلًا فحلّت بهم نقمة ربّهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأصبحت ديارهم خراباً يباباً، كأن لم يغنوا بالأمس، فهلا يكون ذلك عبرة لهم، فيثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا إلى ربّهم لو كانوا من أرباب النهى ... كقوم نوح و هود وصالح وغيرهم من الأمم التى أصرت على الكفر والعناد، كيف حلّ بهم عقاب ربّهم، وعظيم نقمته، وأرسل عليهم ألواناً من العذاب لا قبل لهم بها، فمن صاعقة من السماء تجتاحهم، إلى رجفة فى الأرض تهلكم، إلى صيحة تصم الآذان تبيدهم وتجعلهم كأمس الدابر، وتمحوهم من صفحة

الثانى: إذا سأل سائل عن قوله تعالى «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ» بأنّ «ذاقُوا» فعل ماض وقوله تعالى «وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» شىء يأتى ولم يقع بعد، فلا يجوز عطف الشىء الآتى على الماضى، لأنّ ذوق الوبال شىء قد مضى، فلا يحسن العطف هيهنا.

قلنا: ليست هذه الواو واو العاطفة، بل واو الإستيناف بمعنى أنّه أخبرناهم بذوقهم وبال أمرهم، ثمّ استأنف وابتدأ بمعنى: ليس جزاءهم الوبال فقط، بل ولهم أيضاً عذاب أليم، أى معذّبون فى

الوجود، إلى طوفان يعمّ الأرض ويبتلعهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، وسيكون لهم عظيم النكال والوبال يوم تجزى كلّ نفس بما كسبت إنّ اللَّه سريع الحساب «۱».

قال علىّ عليه السّلام: «وإنّ لكم فى القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟ أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا النبيين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالألوف، وعسكروا العساكر، ومدنوا المدائن؟ «۲»

---

(۱) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۲۱.

(۲) نهج البلاغه، الخطبة ۱۸۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۰

الآخرة، وقد استفدنا أيضاً من كلمة «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ» أنّ لها من البلاغة والإستعارة ما لا يخفى، فكأنّ الوبال من المطعومات فأسند إليه ما يناسبه، أعنى الذوق مثل قوله تعالى «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» «۱».

الثالث: قوله تعالى «ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ» ... بيان علّة الوبال والعذاب، بمعنى أنّ هؤلاء كفروا بسبب قولهم «أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنا» فقولهم: أبشر يهدوننا سبب كفرهم، فيريد هؤلاء أنّ الهادى لابدّ وأن يكون من غيرهم، أعنى من غير جنس البشر، وضمير الجمع فى (يهدون) راجع إلى البشر، فإنّه يطلق على الواحد والجمع، والمراد به هو الرّسل، وأفادت الآية أيضاً أنّ المواخذة تكون بعد البيّنة التى يقيمها الرّسل، حيث قال تعالى «كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» [۱] وأفاد أيضاً منشأ كفرهم أنّهم لم يتبعوا نور العقل

[۱] عن علىّ بن سويد السائى، قال: سألت العبد الصالح- موسى بن جعفر عليهما السّلام- عن قول اللّه عز وجل «ذلِكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ» قال: «البينات هم الأئمّة عليهم السّلام» «۲».

---

(۱) سورة الدخان، الآية: ۴۹.

(۲) تفسير البرهان ۴/ ۳۴۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۱

والعلم، الدّال بأنّ من يأتى بالبينات لابدّ وإن يكون حقّاً، وإلّا لم يكن يصدر خارق العادة من شخص عادى، وباطل فى دعواه، واقتفوا أثر الجهل والسفاهة، وسبب نزول العذاب إستغناء اللّه عزّ وجل [۱].

الرابع: إنّ قوله تعالى «وَاسْتَغْنَى اللَّهُ» أنّ الإستغناء لغة: بمعنى طلب الغنى، وطلب الغنى من الشخص الذى يحتاج إلى غيره، وهذا المعنى من ذات البارى تعالى محال، لعدم احتياجه إلى الناس.

فنقول: الإستغناء بمعنى ترتيب أثر تحصيل الغنى، بمعنى عدم الإعتناء وعدم النظر إليهم بدليل «وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» فأمثال هذا كثير فى القرآن من نحو «وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا» «۱»

بمعنى ترتيب أثر المجىء، لأنّ البارى تعالى ليس له جسم، إلى غير ذلك من الآيات.

[۱] قال الشيخ الطوسى قدّس سرّه: إنّ اللّه لم يدعهم إلى عبادته لحاجته إليهم، لأنّ اللّه تعالى غنىّ عنهم وعن غيرهم، وإنّما دعاهم لما يعود عليهم بالنفع حسب ما يقتضيه حكمه فى تدبيرهم واللّه غنىّ عن جميع خلقه، حميد على جميع أفعاله لإنّها كلّها إحسان «۲».

---

(۱) سورة الفجر الاية ۲۲

(۲) التبيان فى تفسير القرآن ۲/ ۶۸۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۲

واستفدنا من الإتيان بلفظ الجلالة والصفة المشبهة: إنّ الوصفين ثابتان له تعالى فى الأزل، فإنّ له الغنى المطلق أزلًا وأبداً من دون شائبة فقر واحتياج، وله الصفات المحمودة الأزلية والأبدية، كما أنّ ذلك كلّه يرشد إليه لفظ الجلالة، ومعناه هو الذّات المستجمع لجميع الصّفات الكماليّة والجماليّة [۱] تبارك وتعالى شأنه، وقد تقدّم نظير ذلك [۲].

«زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنا وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ».

هيهنا تحقيقات: [۳]

الأوّل: إنّ قوله «زَعَمَ» بمعنى الإعتقاد، ولفظ زَعَمَ مشترك بين الإعتقاد الذى هو مطابق للواقع، والإعتقاد الذى لا يكون مطابقاً

[۱] صفات الجلال هى الصفات السلبية، مثل: لم يكن جسماً ولا ظالماً، وصفات الجمال هى الصفات الثبوتية «۱».

[۲] فى سورة الجمعة، فراجع.

[۳] قال ابن كثير: هذه هى الآية الثالثة التى أمر اللَّه رسول صلّى اللَّه عليه وآله أن يقسم بربّه عزّ وجلّ على وقوع المعاد ووجوده، فالأولى

---

(۱) لغتنامه دهخدا الجزء ۱۰، القسم الأوّل «جلال».

للواقع، وهنا عبّر به إشعاراً بأنّه ليس مطابقاً للواقع [۱]. وقوله تعالى «الَّذينَ كَفَرُوا» ظاهره أنّه بيان كلّى، ويرتبط بما قبله لأنّه من صغرياته، ويستفاد منه إنّ عمدة منشأ التّولى والإعراض عن الرّسل، هو زعمهم عدم البعث واعتقادهم بعدم الجزاء بعد الممات، وإلّا فلو كانوا يحتملون ذلك لدعاهم دفع الضرر المحتمل إلى الخضوع للرسل والنظر، فيقول اللَّه عزّ وجلّ: «قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ» جىء بلام القسم ونون التأكيد، لتأكيد الكلام فى هذا المقام

فى سورة يونس «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِىوَرَبّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ» «۱»

، والثانية فى سورة سبأ «وَقالَ الَّذينَ كَفَرُوا لاتَأْتينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلى وَرَبّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ» «۲»

الآية، والثالثة هى هذه «زَعَمَ الَّذينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ» «۳» «۴».

[۱] قال الرّاغب: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء فى القرآن فى كلّ موضع ذمّ القائلون به نحو: زعم الذين كفروا- بل

---

(۱) سورة يونس، الآية: ۵۳.

(۲) سورة سبأ، الآية: ۳.

(۳) سورة التغابن، الآية: ۷.

(۴) تفسير القرآن الكريم ۴/ ۳۷۴.

ردّاً لهم، بمعنى: لا بدّ وأن تبعثوا [۱].

والثانى: قوله تعالى «ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ» إشارة إلى أنّه لا يكون لكم البعثة فقط، بل لتنبئونّ بما عملتم وتجزون به [۲].

والثالث: قوله تعالى «وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ» أى‌سهل، بمعنى أنّ اللَّه خلق الأشياء التى لم تكن موجودة، فكيف لا يقدر على إعادتها؟ أى‌إعادة الشىء الذى كان موجوداً وبعد ذلك صار معدوماً، بمثل قوله «وَهُوَ الَّذى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» «۱»

. فاللَّه الذى خلق الأشياء من العدم أيسر له أن يخلق المعدوم الذى كان،

زعمتم- كنتم تزعمون- زعمتم من دونه «۲».

[۱] إن سئلنا: كيف يفيد القسم فى إخباره عن البعث، وهم قد أنكروا رسالته صلّى اللَّه عليه وآله، قلنا: وإن أنكروا رسالته، لكنّهم كانوا يعتقدون بأنّه صادق أمين، وإن الرائد لا يكذب أهله.

[۲] قال العلّامة الطباطبائى: وثمّ فى «ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ» للتراخى بحسب رتبة الكلام، وفى الجملة إشارة إلى غاية البعث وهو الحساب «۳».

(۱)

سورة الرّوم، الآية: ۲۷.

(۲) المفردات: ۲۱۳.

(۳) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۲۴۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۵

وهذه الكلمة برهان على ردّ ما زعموه.

ومنها يستفاد أيضاً منشأ زعمهم ذلك، حيث إنّهم يزعمون عدم إمكان البعث، لأنّه قد صارت العظام رميماً، فكيف تحيى وتعود؟ فيجاب عنهم بأنّ اللَّه المستجمع لجميع الصفات. ومنها القدرة الكاملة التامة، يسير لديه ذلك، فكان البعث ممكناً بالنظر إلى قدرة اللَّه تعالى، وهذا المقدار من الإمكان الوقوعى كافٍ فى الإرتداع من التولّى والكفر، وفى الإنقياد للرّسل والنظر فى البيّنات، فإنّ بالإلتفات إلى إمكانه، ينقدح احتمال الضرر ويوجب الخوف.

مضافاً إلى أنّ العاقل إن التفت إلى مفاد كلمة (اللَّه)، أعنى الإستجماع لجميع الصفات الكماليّة الّتى منها الحكمة، يرى أنّه لا بدّ من البعث حتّى يعطى لكلّ ذى حقّ حقّه من النعيم، والإحسان للمحسن، والإنتصار للمظلوم، ومن العذاب والمجازاة للمسىء والظالم بعد أن ينبأ بما عمل حتّى لا يبقى له حجّة، وغير ذلك [۱].

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: إنّ التصريح باسم الجلالة فى الجملة أعنى قوله: «وَذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ» للايماء إلى التعليل، والمفاد أنّ ذلك يسير عليه تعالى لأنّه اللَّه، والكلام حجّة برهانيّة لا دعوى مجردة «۱».

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۴۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۶

والرابع: قوله تعالى «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا» فآمنوا، أمر للناس بالإيمان تفريعاً لما سبق [۱]. فكأنّ المعنى: أنّه لما رأيتم حال الكفّار، ووبال أمرهم، وحصل لكم الإلتفات إلى البعث، فآمنوا باللَّه ورسوله والنور الذى أنزلنا [۲].

فإن قلت: ما معنى النور هنا؟

[۱] قال المراغى: بعد أن أبان لهم أدلّة التّوحيد والنّبوة بما لا مجال معه للإنكار، طالبهم بالإيمان بهما، فقال: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذى أَنْزَلْنا» أى فصدقوا باللَّه ورسوله وكتابه الهادى لكم إلى سواء السبيل إذا تراكمت ظلمات الشبهات، والمنقذ لكم من الضلالة إذا أحاطت بكم الخطيئات «۱».

[۲] إلتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير، ولعلّ النكتة فيه تتميم الحجّة بالسلوك من طريق الشهادة، وهى أقطع للعذر، فكم فرق بين قولنا: والنور الذى أنزل وهو إخبار، وقوله: (والنور الذى أنزلنا) ففيه شهادة منه تعالى على أنّ القرآن كتاب سماوى، نازل من عنده تعالى، والشهادة آكد من الأخبار المجردة «۲».

(۱) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۲۴.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۴۷.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۷

قلنا: قد ذكر المفسّرون أن النّور بمعنى القرآن [۱]. وقد ورد فى الرواية أنّ النّور هنا أريد به علىّ بن أبى طالب عليه السّلام والأئمة من

ولده، ولا منافاة بينهما لأنّ القرآن إمام صامت، والأئمّة عليهم السّلام قرآن ناطق. «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ» [۲]

[۱] روى السيوطى، إنّ اللَّه سمّى القرآن بخمسة وخمسين إسماً، سمّاه كتاباً ومبيناً فى قوله «حم* وَالْكِتابِ الْمُبينِ» «۱»

وقرآناً وكريماً فى قوله «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَريمٌ» «۲»

وكلاماً «حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ» «۳»

ونوراً «وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبينًا» «۴»

. وقال: وأمّا النور، فلأنّه يدرك به الغوامض من الحلال والحرام «۵».

[۲] تارة قال عز من قائل (واللَّه بما تعملون بصير) وتارة قال (واللَّه بما تعملون خبير)، والمعنى فى الأوّل إن اللَّه تبارك وتعالى بصير بمن هو قابل ومستعدّ للهداية والإيمان من الكفّار، وفى الثانى أنّه تعالى

---

(۱) سورة الدخان، الآية: ۱.

(۲) سورة الواقعة، الآية: ۷۷.

(۳) سورة التوبة، الآية: ۶.

(۴) سورة النساء، الآية: ۱۷۴.

(۵) الإتقان ۱/ ۱۴۱- ۱۴۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۸

خبير وعليم بالبواطن، هل آمنوا بألسنتهم فقط ليحقنوا به دماءهم أو قوله تعالى: «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدينَ فيها أَبَدًا ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظيمُ* وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدينَ فيها وَبِئْسَ الْمَصيرُ».

فهنا تحقيقاتٌ:

الأوّل: إنّ الظاهر تعلّق ظرف الزمان «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ» بالجملة المتّصلة به وهى قوله «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ» كما يقال: إنّ الحاكم مطّلع على ما ارتكبوه من الجرائم يوم يدعوهم إلى المجازاة، أو إنّ المعلّم مطّلع على ما صنعه الأطفال فى الجمعة يوم يأتون إليه فى سبتهم، أو إنّ ربّ البيت بصيرٌ وخبير بحال الضيوف يوم يأتون للضيافة، إلى غير ذلك [۱]، فيكون المعنى: واللَّه بما تعملون ذا خبرة وإطّلاع يوم يجمعكم ... وما ذكر أولى من تعلّقه بما سبق من قوله

آمنوا بألسنتهم وقلوبهم؟

[۱] قال الطّبرسى قدّس سرّه: البعث والجزاء يكونان فى يوم يجمع فيه خلق الأوّلين والآخرين «۱». وقال الحوفى: (يوم) ظرف لخبير، وهو عند غير واحد من الأجلّة بمعنى مجازيكم، فيتضمّن

---

(۱) مجمع البيان ۱۰/ ۳۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۱۹۹

تعالى «وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ»، فإنّه مع بعده بفواصل، لا يناسبه تمام المناسبة ما يتلوه من قوله «وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا» ... فإنّه قد فهم من قوله «وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ». وأمّا لو تعلّق بجملة «وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبيرٌ» فيكون المعنى: أنّ اللَّه بما تعملون ذا خبرة وإطّلاع، فيكفّر سيئات من آمن وعمل صالحاً ويدخله الجنّات، ومن كفر وكذّب بالآيات فهو من أصحاب النّار.

وما ذكرناه وإن كان على خلاف ما نقل فى التفاسير، لكنّه أظهر وأبين.

الثانى: تغيير السياق بين الآيتين، فإنّ فى الأولى أوتى بالجملة الفعليّة فقال: «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ»، وفى الوعد والعيد «۱».

وقال العلّامة الطباطبائى: (يوم) ظرف لقوله السابق «لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ ...» والمراد بيوم الجمع يوم القيامة الذى يجمع فيه الناس لفصل القضاء بينهم، قال تعالى «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْناهُمْ جَمْعًا» «۲»

، وقد تكرّر فى القرآن الكريم حديث الجمع ليوم القيامة «۳».

---

(۱) روح المعانى/ تفسير الآلوسى ۲۸/ ۱۲۳.

(۲) سورة الكهف، الآية: ۹۹.

(۳) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۴۹.

الثانية أوتى بالجملة الاسميّة فقال: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ».

ولعلّ النكتة فى ذلك، إنّ الخير مطلقاً ينسب إليه تعالى، والشرّ مطلقاً ينسب إلى المخلوق، كما هو مفاد قوله تعالى «ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» «۱»

، وكما فى الحديث القدسى «أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك منّى» «۲»، فكما أنّ هذا الإسناد بالنسبة إلى الأعمال الحسنة والسيّئة، كذلك يكون بالنسبة إلى الجزاء.

الثالث: إنّ قوله تعالى «يَوْمُ التَّغابُنِ» [۱] أى اليوم الّذى يتغابن فيه النّاس، بمعنى يعطى الكفّار سهم أهل الجنة من النّار، ويعطى المؤمنون سهم أهل النّار من الجنّة، كأنّهم يتوارثون. بدليل الكتاب والسنّة، أمّا الكتاب، فقوله تعالى «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ» «۳».

---

(۱)

سورة النساء، الآية: ۷۹.

(۲) التوحيد: ۳۳۸، وتفسير الصافى ۱/ ۴۷۳.

(۳) سورة المؤمنون، الآية: ۱۱.

[۱] قال محمّد عزّة: التّغابن من الغبن، وهو بيع شىء بأعلى من

قيمته بالتغيّر، والقصد من الكلمة هو أنّ يوم القيامة هو اليوم الذى يظهر فيه المغبون فى الدنيا، الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما ربحت تجارتهم «۱».

وقال الراغب: يوم التّغابن، يوم القيامة، لظهور الغبن فى المبايعة، والمشار إليها بقوله «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ» «۲»

وبقوله «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» «۳»

الآية وبقوله «الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا» «۴»

فعلموا أنّهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوه من ذلك جميعاً «۵».

وعن حفص بن غياث عن أبى عبداللّه (الصّادق) عليه السّلام قال:

«يوم التّلاق» يوم تلتقى أهل السماء والأرض، و «يوم التناد، يوم ينادى أهل النار أهل الجنة «أَفيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ»، ويوم

---

(۱) التفسير الحديث ۹/ ۱۵۹.

(۲) سورة البقرة، الآية: ۲۰۷.

(۳) سورة التوبة، الآية: ۱۱۱.

(۴) سورة آل عمران، الآية: ۷۷.

(۵) المفردات فى غريب القرآن: ۲۵۷.

وأمّا السنّة، فما رواه على بن إبراهيم القمى عن الصّادق عليه السّلام قال: «ما خلق اللَّه خلقاً إلّاجعل له فى الجنّة منزلًا وفى النّار منزلًا، فإذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، نادى منادٍ: يا أهل الجنّة أشرفوا فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم فيها، ثمّ يقال لهم: هذه منازلكم التى لو عصيتم اللَّه لدخلتموها، يعنى النّار، قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنّة فى ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثمّ ينادى منادٍ، يا أهل النّار: إرفعوا رأسكم فيرفعون رؤوسهم، فينظرون منازلهم فى الجنّة وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم التى لو أطعتم ربّكم لدخلتموها، قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً لمات أهل النّار حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء ويورث هؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول اللَّه عزّ وجلّ «أُولئِكَ هُمُ الْوارِثُونَ* الَّذينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خالِدُونَ»» «۱».

وفى (المجمع) عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله قال: «ما منكم من

التغابن، يوم يغبن أهل الجنّة أهل النّار، ويوم الحشر، يوم يؤتى بالموت فيذبح «۲».

---

(۱) تفسير القمى ۲/ ۸۹.

(۲) تفسير البرهان ۴/ ۳۴۲.

أحدٍ إلّاله منزلان، منزلٌ فى الجنّة ومنزل فى النّار، فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنّة منزله» «۱» [۱] إنتهى.

هذا وجه تسمية يوم التغابن، ويفسّره ما بعده وهو قوله تعالى:

«وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ» ... والآية «وَالَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا [...» ۲].

[۱] عن النّبى صلّى اللَّه عليه وآله: «ما من عبدٍ يدخل الجنة إلّاأرى مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، وما من عبدٍ يدخل النار إلّاأرى مقعده من الجنة ليزداد حسرة» وهو معنى قوله «ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ» «۲».

[۲] قال الفخر الرازى: فى الآية مباحث:

الأوّل: قال «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» بطريق الإضافة، ولم يقل ونوره الذى أنزلنا بطريق الإضافة، مع أنّ النور ههنا هو القرآن، والقرآن فى كلامه مضاف إليه؟

نقول: الألف واللام فى النور بمعنى الإضافة، كأنّه قال ورسوله ونوره الذى أنزلناه.

الثانى: بِمَ انتصب الظرف؟

نقول: قال الزجّاج بقوله (لتبعثن)، وفى الكشاف بقوله: (لتنبئون)،

---

(۱) مجمع البيان ۷/ ۱۷۸.

(۲) مجمع البحرين كلمة «غَبَنَ» ۳/ ۲۹۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰۴

قوله تعالى: «ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ* وَأَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبينُ* اللَّهُ لاإِلهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [۱].

أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد، كأنّه قيل: واللَّه معاقبكم يوم يجمعكم، أو بإضمار أذكر.

الثالث: قال تعالى فى الإيمان (ومن يؤمن باللَّه) بلفظ المستقبل، وفى الكفر وقال (والذين كفروا) بلفظ الماضى، فنقول: تقدير الكلام: ومن يؤمن باللَّه من الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا يدخله جنّات، ومن لم يؤمن منهم أولئك أصحاب النّار.

الرابع: قال تعالى (ومن يؤمن) بلفظ الواحد و (خالدين فيها) بلفظ الجمع.

نقول: ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى.

الخامس: ما الحكمة فى قوله (وبئس المصير) بعد قوله (خالدين فيها) وذلك بئس المصير، فنقول: ذلك وإن كان فى معناه فلا يدلّ عليه بطريق التصريح، فالتصريح ممّا يؤكده «۱».

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: شروع فى ما هو الغرض من السورة

---

(۱) التفسير الكبير ۳۰/ ۲۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰۵

فهنا مباحث:

الأوّل: ربط هذه الآية بما قبلها. والظاهر أنه من حيث أنّه لما ذكر حال الكفّار وسوء حالهم فى الآيات السّابقة، فى قوله تعالى «فَذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ»، والآية «وَالَّذينَ كَفَرُوا»، ذكر هذه الآية «ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ» [۱] أى: فذوقوا الوبال والعذاب الأليم والخلود فى النّار، كلّ ذلك فرد من أفراد المصيبة، وبعد ذلك ذكر سبحانه بأنّ الإيمان يهدى الإنسان ويحفظه، والإيمان حائل بين الإنسان وبين المصيبة.

بعد ما مرّ من التمهيد والتوطئة، وهو الندب إلى الإنفاق فى سبيل اللَّه والصّبر على ما يصيبهم من المصائب فى خلال المجاهدة فى اللَّه سبحانه، وقدم ذكر المصيبة والإشارة إلى الصّبر إليها، ليصفو المقام لما سيندب إليه من الإنفاق وينقطع العذر «۱».

[۱] قال المراغى: ما أصاب أحداً من خيرات الدنيا ولذّاتها، أو رزاياها وشرورها، فهو بقضاء اللَّه وقدره بحسب ما وضع من السنن فى نظم الكون، فعلى المرء أن يعمل ويجد ويسعى لجلب الخير ودفع الضرّ عن نفسه أو عن غيره ما استطاع إلى ذلك سبيلا».

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۵۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰۶

الثانى: قوله تعالى «إِلّا بِإِذْنِ اللَّهِ» بمعنى أنّ كلّ شىء يصيب الإنسان هو بإذن اللَّه [۱]، والإذن هنا بالمعنى التكوينى لا التشريعى، فإنّ الإذن على قسمين: تكوينى وتشريعى.

ثمّ هو لا يحزن ولا يغتم لما يصيبه بعد ذلك، لأنّه قد فعل ما هو فى طاقته وما هو داخل فى مقدوره، وما بعد ذلك فليس له من أمره شىء.

والخلاصة: إنّ على المؤمن واجبين: (۱) السعى وبذل الجهد فى جلب الخير ودفع الضرّ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

(۲) التّوكل على اللّه بعد ذلك، إعتقاداً منه إنّ كلّ شيءٍ يحدث، فإنّما هو بقضائه وقدره، فلا يغتم ولا يحزن لدى حلول الشر، ولا يتمادى فى السرور عند مجيىء الخير «۱».

[۱] قال محمّد عزّة: قد انطوى فى الإيذان معنى الإنذار، كما هو المتبادر أيضاً «۲».

وقال الشيخ الطّوسى قدّس سرّه: ويجوز أن يكون المراد بالإذن هاهنا العلم، فكأنّه قال: لا يصيبكم مصيبة إلّاواللّه عالم بها «۳».

---

(۱) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۲۶.

(۲) التفسير الحديث ۹/ ۱۶۱.

(۳) التبيان فى تفسير القرآن ۲/ ۶۸۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰۷

وقال العلّامة الطباطبائى: الإذن، الإعلام بالرّخصة وعدم المانع ويلازم علم الآذن بما أذن فيه، وليس هو العلم كما قيل، فظهر بما تقدّم:

أوّلًا: أنّ إذنه تعالى فى عمل سبب من الأسباب هو التخلية بينه وبين مسبّبه برفع الموانع التى تتخلّل بينه وبين مسبّبه، فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببيّته، كالنّار تقتضى إحراق القطن مثلًا لولا الفصل بينهما والرطوبة، فرفع الفصل بينهما والرطوبة من القطن مع العلم بذلك إذن فى عمل النار فى القطن بما تقتضيه ذاتها أعنى الإحراق.

وقد كان إستعمال الإذن فى العرف العامّ مختصّاً بما إذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الأعلام فى مفهومه فيقال:

أذنت لفلان أن يفعل كذا ولا يقال: أذنت للنار أن تحرق، ولا أذنت للفرس أن يعدّ، ولكن القران الكريم يستعمله فيما يعمّ العقلاء وغيرهم بالتحليل كقوله: «وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلّا لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» «۱»

وقوله:

«وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ» «۲»

، ولا يبعد أن يكون هذا

---

(۱) سورة النساء، الآية: ۴۴.

(۲) سورة الأعراف، الآية: ۵۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰۸

التعميم مبنيّاً على ما يفيده القرآن من سريان العلم والإدراك فى

الموجودات كما قدّمناه فى تفسير قوله «قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» «۱».

وكيف كان، فلا يتمّ عمل من عامل ولا تأثير من مؤثّر إلّاباذن من اللّه سبحانه، فما كان من الأسباب غير تامّ له موانع لو تحققت منعت من تأثيره، فإذنه تعالى له فى أن يؤثّر رفعه الموانع، وما كان منها تامّاً لا مانع له يمنعه، فإذنه له عدم جعله له شيئاً من الموانع، فتأثيره يصاحب الإذن من غير انفكاك.

وثانياً: إنّ المصائب، وهى الحوادث التى تصيب الإنسان فتؤثر فيه آثاراً سيئة مكروهة، إنّما تقع بإذن من اللّه سبحانه، كما أنّ الحسنات كذلك، لإستيعاب إذنه تعالى صدور كلّ أثر من كلّ مؤثّر.

وثالثاً: إنّ هذا الإذن، إذن تكوينى غير الإذن التشريعى الذى هو رفع الحظر عن الفعل، فإصابة المصيبة تصاحب إذناً من اللّه فى وقوعها وإن كانت من الظلم الممنوع، فإنّ كون الظلم ممنوعاً غير مأذون فيه إنّما هو من جهة التشريع دون التكوين، ولذا كانت بعض المصائب غير

(۱) سورة حم السجدة، الآية: ۲۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۰۹

فالإذن التشريعى: هو أن يأذن بشيء كأن تقول مثلًا: قد أذنت لك أن تفعل هذا الشيء.

والإذن التكوينى: هو إيجاد أسباب الفعل وعدم منعها عن مقتضياتها، مع العلم بها وبأحوالها، فمن أرسل دابته مثلًا مع علمه بأنّها تذهب إلى الزرع وتأكله ولم يمنعها ولم يقيدها، بل جعلها مرسلة، ولم يمسك بلجامها، مع تمكنه من ذلك كلّه وعلمه بما يفعل، فكأنّه أذن لها فى أكل الزرع إذناً عملياً.

والإذن فى المقام من قبيل الثانى، أىقضاء اللَّه وقدره [۱].

جائزة الصبر عليها، ولا مأذوناً فى تحمّلها، ويجب على الإنسان أن يقاومها ما استطاع، كالمظالم المتعلقة بالأعراض والنفوس.

ومن هنا يظهر، أنّ المصائب التى ندب إلى الصبر عندها هى التى لم يؤمر المصاب عندها بالذب والإمتناع عن تحملها، كالمصائب العامة الكونية من موت ومرض ممّا لا شأن لإختيار الإنسان فيها. وأمّا ما للإختيار فيها دخل، كالمظالم المتعلقة نوع تعلق بالإختيار، من المظالم المتوجهة إلى الأعراض، فللإنسان أن يتوقاها ما استطاع «۱».

[۱] الإذن التكوينى، هو الإرادة التكوينية، والإذن التشريعى من

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۵۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۰

الثالث: قوله «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» يستفاد منه [۱] أنّ بالإيمان يهتدى القلب بهدايته سبحانه وينجو من المصائب، ولا تتوجّه إليه تبعات الضلالة التى هى أعظم المصائب. وهذه الجملة بمنزلة الأمر كأنّه قال: وآمنوا باللَّه حتى يهديكم اللَّه.

سنخ الإرادة التشريعية التى إذا تعلقت بشيء كان محتماً أن يوجد، لا تتعلق بأفعالنا الإختيارية وإن كانت جميع أفعالنا خاضعة لإرادته التشريعية من حيث ترتّب المسئولية عليها، إذن. للَّه إرادتان: الإرادة التكوينية: وهى تلك المشيئة التى إذا تعلقت بواقعة كان من المستحيل تخلفها عنها. والإرادة التشريعية: وهذه تصلنا عن طريق الأنبياء عليهم السّلام الذين هم سفراء اللَّه إلينا، إنّهم يوصلون إرادة اللَّه التشريعية بصورة الأوامر والنواهى، والإرادة التشريعية لا توجد إجباراً فى متعلّقها مطلقاً «۱».

[۱] قال علىّ بن إبراهيم القمى: أىيصدق اللَّه فى قلبه، فإذا بين اللَّه له إختار الهدى ويزيده اللَّه، كما قال «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا

---

(۱) أنظر فى ذلك شرح أصول الكافى للعلّامة الطباطبائى باب المشيئة والإرادة، حديث ۴، وشرح أصول الكافى للشيخ صالح المازندرانى مع حواشى الشعرانى ۴/ ۳۶۱.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۱

زادَهُمْ هُدًى» «۱» «۲».

وقال الطّبرسى: من يؤمن باللَّه عند النعمة، فيعلم أنّها فضل من اللَّه يهد قلبه للشكر، ومن يؤمن باللَّه عند البلاء، فيعلم أنّه عدل من اللَّه يهد قلبه للصبر، ومن يؤمن باللَّه عند نزول القضاء يهد قلبه للإستسلام والرضا «۳».

وقال الطنطاوى: من الحكماء وأرباب البصائر من يعرفون سرّ هذا الإختلاف، وإنّ وجود الحنظل والبطيخ، والبقة والفيل، والحرّ والبرد، والمرّ والحلو، مشابهات تمام المشابهة لما فى العقول من كفر وإيمان، وخير وشرّ، وجهل وعلم، وإنّ النظام فى الحالين واحد، ولكنّهم لا يريدون أن يذكروا الحقائق التى عرفوها، لأنّ جمهور النوع الإنسانى غير كفوء لفهم هذه الحقائق، فلذلك يكتمونها «۴».

وقال المراغى: «يَهْدِ قَلْبَهُ» أى يشرح صدره، لازدياد الخير

---

(۱) سورة محمّد، الآية: ۱۷.

(۲) تفسير القمى ۲/ ۳۷۲.

(۳) مجمع البيان ۱۰/ ۳۳.

(۴) تفسير الجواهر ۲۴/

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۲

«وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أى عالم بما فى القلوب، بمعنى يعلم أىّ شخص آمن باللَّه حقيقةً، أو لم يؤمن حقيقةً، وعالم بمقتضيات المصائب وبموانعها ودوافعها [۱].

والمضى قدماً فى طاعة اللَّه، وأىّ نعمة أعظم من هذه النعمة؟ جدّ فى عمل الخير، واستراحة لدى الغم والحزن، وإطمئنان للنفس، ووثوق بفضل اللَّه «۱».

وقال العلّامة الطباطبائى: فالإذعان بكونه تعالى هو اللَّه، يستعقب إهتداء النفس إلى هذه الحقائق وإطمئنان القلب وسكونه وعدم اضطرابه وقلقه من جهة تعلقه بالإسباب الظاهرية، وإسناده المصائب والنوائب المرة إليها دون اللَّه سبحانه، وهذا معنى قوله تعالى «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» «۲».

[۱] قال ابن عباس «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ» يصيبكم من المصيبة وغيرها «عَلِيمٌ» «۳».

وقال الطّبرى: واللَّه بكلّ شىء ذو علم بما كان ويكون وما هو كائن

---

(۱) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۲۷.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۴.

(۳) تنوير المقباس من تفسير ابن عبّاس، الفيروزآبادى: ۴۷۴.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۳

الرابع: «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» هو بمثابة العطف على الأمر بالإيمان المستفاد من سابقه، فإنّه قال: آمنوا باللَّه وأطيعوا، وقد ذكرنا أنّ جملة «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ» يستفاد منها: إنّها خبريّة

من قبل أن يكون «۱».

وقال الفيض الكاشانى: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» حتّى القلوب وأحوالها «۲».

وقال المراغى: واللَّه عليم بالأشياء كلّها، فهو عليم بالقلوب وأحوالها ومطّلع على سرّها ونجواها، فاحذروه وراقبوه فى السرّ والعلن، كما جاء فى الأثر «اعبد اللَّه كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك» «۳».

وقال العلّامة الطباطبائى: تأكيد للإستثناء المتقدّم، ويمكن أن يكون إشارة إلى ما يفيده، قوله: «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فى أَنْفُسِكُمْ إِلّا فى كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» «۴» «۵».

---

(۱) جامع البيان ۲۸/ ۱۵۷.

(۲) التفسير الصافى ۷/ ۲۱۰.

(۳) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۲۷.

(۴) سورة الحديد، الآية: ۲۲.

(۵) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۴

مستعملة فى مقام الإنشاء والحثّ والترغيب، كما يقال: من صلّى كذا فله كذا، ومن تصدّق فله كذا، إلى غير ذلك من الجمل الخبرية المتضمنة للخواص والآثار المستعملة فى مقام الترغيب والحثّ على العمل، فقوله: «وَأَطيعُوا» بمثابة العطف على الآية السابقة، وحثّ على الإطاعة، كما إنّ تلك الآية حثّ على الإيمان.

ويستفاد منها: إنّ مجرد الإيمان لا يكفى، بل لا بدّ من الإطاعة للَّه وللرّسول، مضافاً إلى أنّ حقيقة الإيمان لا تثبت إلّابها [۱].

[۱] قال الآلوسى: كرّر الأمر «وَأَطيعُوا» للتأكيد والإيذان بالفرق بين الإطاعتين فى الكيفية «۱».

قال العلّامة الطباطبائى: ظاهر تكرار «وَأَطيعُوا» دون أن يقال:

أطيعوا اللَّه والرّسول، إختلاف المراد بالإطاعة فالمراد بإطاعة اللَّه تعالى، الإنقياد له فيما شرعه لهم من شرائع الدين، والمراد بإطاعة الرّسول، الإنقياد له وإمتثال ما يأمر به بحسب ولايته للأمّة على ما جعلها اللَّه له «۲».

وقال الشيخ محمود شلتوت: أمرهم بطاعة اللَّه ورسوله فيما بلّغهم الرسول عن ربّه «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَطيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ»

---

(۱) روح المعانى ۲۸/ ۱۲۵.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۵

«فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» أى أعرضتم عن الحقّ «فَإِنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبينُ» [۱] بمعنى أنّ إعراضكم لا يضرّ النّبى صلّى اللَّه عليه وآله بل ضرره على أنفسكم، فالنّبى صلّى اللَّه عليه وآله مكلّف بالإبلاغ.

قوله: «الْمُبينِ» بيان للبلاغ، لأنّ البلاغ على قسمين: مبين وغير مبين، ووظيفة النّبى البلاغ المبين أى الواضح.

الخامس: قوله تعالى «لا إِلهَ إِلّا هُوَ» يستفاد منه علّة إناطة جميع المصائب بإذن اللَّه تعالى، فكأنّه جواب عن سؤال مقدّر: لماذا كان كذلك؟

والطاعة هى العنصر المحقق لفائدة التشريع، وهى العنوان الصّادق على الإيمان الحقّ، والإيمان الذى يفقد عنوان العمل تعوزه الحجّة والبرهان، وهو بعد عرضة للضعف والزوال، ويقرب بصاحبه إلى الكفر والنفاق، ومن هنا جاء النهى عن الإعراض والتولّى مؤكّداً للأمر بالطاعة «۱».

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: ولما تقدّم من رجوع طاعة الرسول إلى طاعة اللَّه، إلتفت من الغيبة إلى الخطاب فى قوله: «رَسُولُنا» وفيه مع ذلك شىء من شائبة التهديد «۲».

---

(۱) تفسير القرآن الكريم: ۵۷۶.

(۲) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۵- ۳۰۶.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۶

والجواب: إنّ «اللَّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ، ...» لأنّ الألوهية منحصرة فى اللَّه، وكلّ شىء مخلوق منه، وتحت إرادته تبارك وتعالى [۱] ولمّا كان الأمر كذلك، فلا مجال لأن يعتمد الإنسان على قواه وتدابيره.

بل، «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» «۱»

بمعنى يفوّضون أمورهم إليه [۲].

[۱] قال الآلوسى: تعليل للجواب المحذوف أقيم مقامه، أى فلا بأس عليه إذ ما عليه إلّاالتبليغ المبين، وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه، وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة فى مقام إضماره لتشريفه عليه الصّلاة والسّلام والإشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم محض البلاغ، ولزيادة تشنيع التولى عنه والحصر فى الكلام إضافى «۲».

[۲] قال الشيخ محمود شلتوت: التّوكل على اللَّه وحده، والتّوكل أعلى مقامات التوحيد وأنّ من مقتضيات الإيمان بأنّ اللَّه هو المدبر للأمور، التّوكل عليه فى كلّ ما يحتاج إليه المؤمن فيما وراء مقدوره،

---

(۱) سورة آل عمران، الآية ۱۲۲ و ۱۶۰، وسورة المائدة، الآية ۱۱، وسورة التوبة، الآية ۵۱.

(۲) روح المعانى ۲۸/ ۱۲۵.

وليس من متناول التّوكل ترك الأسباب وتنكب سنن اللَّه فى الخلق،

فمن يترك الطعام والشراب باسم التّوكل على اللَّه فى حفظ حياته، فهو جاهل باللَّه، ومن يترك العمل للحصول على الرزق وما به قوت أولاده باسم التّوكل على اللَّه، فهو جاهل باللَّه، ومن يترك إعداد العدّة للدفاع عن الأوطان وإعلاء كلمة اللَّه باسم التّوكل على اللَّه وباسم أنّ اللَّه يدافع عن الذين آمنوا، فهو جاهل باللَّه «۱».

وقال العلّامة الطباطبائى: تأكيداً لمعنى الجملة السابقة أعنى قوله: «اللَّهُ لاإِلهَ إِلّا هُوَ»، توضيحه: أنّ التوكيل إقامة الإنسان غيره مقام نفسه فى إرادة أموره، ولازم ذلك قيام إرادته مقام إرادة موكّله، وفعله مقام فعله فينطبق بوجه على الإطاعة، فإنّ المطيع يجعل إرادته وعمله تبعاً لإرادة المطاع، فتقوم إرادة المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلّقاً لإرادة المطاع، صادراً منها إعتباراً، فترجع الإطاعة توكيلًا بوجه، كما أنّ التوكيل إطاعة بوجه، فإطاعة العبد لربّه إتباع إرادته لإرادة ربّه والإتيان بالفعل على هذا النمط، وبعبارة أخرى إيثار إرادته وما يتعلّق بها من العمل على إرادة نفسه وما يتعلّق بها من العمل، فطاعته تعالى فيما شرّع لعباده وما يتعلّق بها نوع تعلّق من التوكّل عليه، وطاعته واجبة لمن عرفه وآمن به،

---

(۱) تفسير القرآن الكريم: ۵۷۲.

قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ* إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَليمٌ* عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ الْعَزيزُ الْحَكيمُ».

يستفاد من هذه الآيات أمور:

الأوّل: قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا» ... بيان بعض المصائب وبيان منشأ المصيبة، بمعنى أنّه تعالى يذكر الإنسان بأنّ بعض الأزواج والأولاد عدوّ للإنسان، فهذا من المصائب، ولفظ (من) هنا للتبعيض، بمعنى أنّهم يشغلونكم ويمنعونكم عن طاعة اللَّه عزّ وجلّ، فاحذروا منهم [۱].

فعلى اللَّه فليتوكّل المؤمنون، وإيّاه فليطيعوا، وأمّا من لم يعرفه ولم يؤمن، فلا تتحقق منه طاعة، وقد بان بما تقدّم، أنّ الإيمان والعمل الصالح نوع من التّوكّل على اللَّه تعالى «۱».

[۱] عن ابن عباس، قالوا لهم: صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۵۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۱۹

على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال اللّه تعالى (فاحذروهم) أى أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة. وعن عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وكان ذا أهل وولد، فإذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورقّقوه، وقالوا إلى من تدعنا، فيرق عليهم فيقيم «۱».

وعن ابن عباس: كان الرجل يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده وقالوا: ننشدك اللّه أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك، وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال، فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر، فأنزل اللّه هذه الآية.

وعنه: وهؤلاء الذين منعهم أهلهم عن الهجرة لما هاجروا ورأوا الناس فقد فقهوا فى الدين، همّوا أن يعاقبوا أهليهم الذين منعوهم، فأنزل اللّه تعالى «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

وعن إسماعيل بن أبى خالد قال: كان الرجل يسلم فيلومه أهله وبنوه، فنزلت هذه الآية «إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» «۲».

(۱) تفسير الخازن ۴/ ۲۷۶.

(۲) أسباب النزول للنيسابورى: ۲۸۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۰

وذكر أنّ الآية لمّا نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله كان الناس يهاجرون إليه من البلاد، وكان بعضهم يريد أن يهاجر، يمنعهم الأهل والأولاد، ويقولون له، إلى أين تذهب؟ أسكن فى بلدك وبيتك، ولا ترحل من عندنا، وهم لا يعتنون إلى منعهم، بل كانوا يهاجرون ويخلصون أنفسهم من أيديهم، لأنّهم كانوا يرون المهاجرين إلى النّبى صلّى اللّه عليه وآله صاروا فقهاء وعلماء، وهؤلاء لا يزالون فى غمرات الجهل وكان المهاجرون يغضبون على الأهل والأولاد ويمنعونهم المعيشة، ولكنّ اللّه تعالى يأمرهم بالعفو والصفح والغفران. «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى إذا غفرتم وعفوتم فاللّه أيضاً يغفر لكم ويرحمكم.

إن قلت: لماذا جيىء هنا بثلاثة ألفاظ: العفو، والصفح، والغفران؟

قلنا: لأنّ مراتب العفو ثلاثة: فإمّا أن يكون بالظّاهر، أعنى اللسان والجوارح، فهذا يسمّى عفواً.

وإمّا العفو بالظاهر والقلب، ويسمّى صفحاً.

وإمّا العفو بمعنى محو الخطيئة عن نظر الإنسان مثل: التائب من الذنب كمن لا ذنب له «۱»، وهذا يسمّى غفراناً.

(۱) الكافى ۲/ ۴۳۵، باب التوبة، الرّقم ۱۰.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۱

وبعبارة أخرى: تارةً مجرّد عدم المجازاة فهو العفو، وأخرى الإغماض عنه وهو الصّفح، وثالثة محو ذنبه بالكلية وهو الغفران [۱].

الثانى: قوله تعالى «إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»، ربط الآية بما قبلها: أنّه لما ذكر سبحانه الأزواج والأولاد وعداوتهم، ذكر بعد ذلك أنّ الأموال والأولاد فتنة، وقدّمت الأموال على الأولاد، لأنّها أعظم فتنة، ويمتحن الإنسان بهم [۲].

[۱] قال الرّاغب: عفوت عنه، قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه، فالمفعول فى الحقيقة متروك، والصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو ...

وصفحت عنه أوليته منى صفحة جميلة معرضاً عن ذنبه، أو لقيت صفحته متجافياً عنه، أو تجاوزت الصفحة التى أثبتت فيها ذنبه من

الكتاب.

والغفران والمغفرة من اللَّه: هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب «۱».

[۲] أخرج أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه عن بريدة قال: كان النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم يخطب، فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم من المنبر

---

(۱) المفردات: ۳۳۸ و ۲۸۳ و ۳۶۳.

فحملهما واحداً من ذا الشق وواحداً من ذا الشق، ثمّ صعد المنبر فقال:

صدق اللَّه «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ»، إنّى لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران، لم أصبر أن قطعت كلامى ونزلت إليهما «۱».

وفى رواية ابن مردويه عن عبداللَّه بن عمر، أنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله بينما هو يخطب الناس على المنبر، خرج حسين بن على على رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله فوطىء فى ثوب كان عليه فسقط فبكى، فنزل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم عن المنبر فلمّا رآه الناس سعوا إلى حسين يتعاطونه، ويعطيه بعضهم بعضاً حتى وقع فى يد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم، فقال: «قاتل اللَّه الشيطان، إنّ الولد لفتنة، والذى نفسى بيده ما دريت أنى نزلت عن منبرى» «۲».

قال العلّامة الطباطبائى: «الرواية لا تخلو من شىء، وأنّى تنال الفتنة من النّبى صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم وهو سيّد الأنبياء المخلصين، معصوم مؤيد بروح القدس» «۳» والشيطان لا يمكنه إغراؤهم فكيف به؟

---

(۱) مسند أحمد ۵/ ۳۵۴، وسنن الترمذى ۵/ ۳۲۴، وسنن النسائى ۳/ ۱۹۲.

(۲) تفسير الآلوسى ۲۸/ ۱۲۷.

(۳) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۱۰.

فإن قلت: لماذا كانت الآية السابقة، الأزواج والأولاد، وهنا الأموال والأولاد؟

قلنا: لعلّه لأجل أنّ غالب ابتلاء الإنسان ومصائبه من المال والولد، وأكثر علاقة الإنسان بهما، ومراقبته غالباً منهما أكثر، كقوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاتُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» «۱».

ثم إنّه لما كانت علاقة الإنسان بالمال والولد توجب وقوعه فى المكاره، وكانت هى فتنة، وإمتحاناً، فمن التفت إلى ذلك وراقب اللَّه سبحانه فى أموره نال أجراً عظيماً «وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظيمٌ».

ويستفاد من الآية: إنّ اللَّه سبحانه أحقّ بأن يتعلّق القلب به ويحبّه، فإنّ الأجر والفائدة من حضرته سبحانه عظيم، بخلاف ما يكون من قبل المال والولد، فإنّهما حقيران فيذهبان جفاء [۱].

وأنّه الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل من الأئمّة المعصومين عليهم السّلام.

[۱] عن ابن مالك الأشعرى: «إنّ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله قال: ليس عدوّك الذى إن قتلته كان فوزاً لك، وإن قتلك دخلت الجنة،

---

(۱) سورة المنافقون، الآية: ۹.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۴

الثالث: قوله تعالى «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»....

يحتمل أن يكون المعنى: أنّه بعد أن كان المال والولد فتنة، وانحصر الأجر العظيم فيما عنداللَّه، فلا بدّ أن لا يتّقى الإنسان ولده، بل يتّقى ربّه، كما فى قوله تعالى «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» «... ۱»

[۱].

ويسمع منه ويطيعه، وأن لا يبخل بماله، بل ينفقه إنفاقاً، هو خير لنفسه، وعلى هذا يكون (خيراً) قيداً لكلمة (وأنفقوا) كما ذكر فى التفاسير، وارتباط الجملة بما تقدّم بنحو اللف والنشر المشوّش.

ويحتمل أن يكون المعنى: بعد أن كان الأجر العظيم عنداللَّه،

ولكن الذى خرج من صلبك، ثمّ اعدى عدو لك مالك الذى ملكت يمينك» «۲».

[۱] وقال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله لابن مسعود: يابن مسعود، لا تحملنك الشفقة على أهلك وولدك على الدخول فى المعاصى والحرام، فإنّ اللَّه تعالى يقول: «يَوْمَ لايَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ* إِلّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» «۳» «۴».

---

(۱)

سورة آل عمران، الآية: ۱۰۲.

(۲) تفسير القرآن العظيم ۴/ ۳۷۶.

(۳) سورة الشعراء، الآية: ۸۸- ۸۹.

(۴) بحار الأنوار ۷۴/ ۱۰۸.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۵

فلا بدّ أن يتّقى الإنسان ربّه فيسمع ويطيع وينفق، وتكون هذه الأمور الثلاثة بياناً للتقوى، ويكون (خيراً لأنفسكم) قيداً للكلّ (ومن يوق شحّ نفسه) مرتبط بالإنفاق، والشّح ظاهره بمعنى البخل مع الحرص، أى‌بخل نفسه؛ وفى مجمع البيان: قال الصادق عليه السّلام «من أدى الزكاة فقد وقى شحّ نفسه» «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى‌الفائزون فى الدّارين [۱].

الرابع: قوله تعالى «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضاعِفْهُ لَكُمْ

[۱] قال الشيخ الطوسى: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» أى‌من منع ووقى شحّ نفسه، والشّح منع الواجب فى الشّرع. وقيل: الشّح منع النفع على مخالفة العقل لمشقة البذل، ومثله البخل، يقال: شح يشح فهو شحيح وشحاح.

وقال ابن مسعود: من الشح أن تعمد إلى مال غيرك فتأكله.

وقوله: «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» قال: معناه إنّ من وقى شحّ نفسه، وفعل ما أوجبه اللَّه عليه، فهو من جملة المنجحين الفائزين بثواب اللَّه «۱».

وقال علىّ بن إبراهيم القمى: يوق الشّح إذا اختار النفقة فى طاعة اللَّه، قال: وحدثنى أبى، عن الفضل بن أبى قره قال: رأيت أبا عبداللَّه عليه السّلام يطوف من أوّل الليل إلى الصّباح وهو يقول: اللّهمّ قنى شحّ نفسى، فقلت جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء، قال: وأىّ

---

(۱) التبيان فى تفسير القرآن ۲/ ۶۸۳.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۶

وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ» هنا نذكر جهات:

الأولى: التعبير عن الإنفاق بالإقراض للَّه، إستعارة لما بينهما من الشبه، فإنّ القرض، هو إعطاء المال بضمان عوضه [۱] والإنفاق له عوض قد ضمنه اللَّه تعالى.

الثانية: قد وصف القرض بالحسن، فإنّ القرض أعنى الإنفاق السيء الذى يخالطه المنّ والأذى، أو تشوبه السّمعة والرياء، أو غير ذلك ليس له هذا الأثر.

الثالثة: المضاعفة هاهنا قد أشير إليها فى مكان آخر بقوله سبحانه «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» «۱»

وورد فى الحديث مفصّلًا، وذكر القرض تلطف به فى الإستدعاء.

شيء أشدّ من شحّ النفس؟ إنّ اللَّه يقول: «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» «۲».

[۱] قال النّبى صلّى اللَّه عليه وآله: «من احتاج إليه أخوه المسلم فى قرض وهو يقدر عليه فلم يفعل، حرّم اللَّه عليه ريح الجنة» «۳».

---

(۱)

سورة الأنعام، الآية ۱۶۰.

(۲) تفسير القمى ۲/ ۳۷۲.

(۳) بحار الأنوار ۷۳/ ۳۳۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۷

الرابعة: قد ذكر للقرض أعنى الإنفاق خاصيتان [۱] إحداهما:

المضاعفة، والأخرى: المغفرة. يشهد عليهما أنّه تعالى (شكور حليم) فوصف (الشكور) للجزاء بالمضاعفة (والحليم) للمغفرة [۲].

الخامس: إنّه وصف سبحانه نفسه، بأنّه عالم الغيب والشهادة، ما غاب وما شوهد، فإنّ جميع موجودات عالم الكون، ينتهى أمرها إليه سبحانه، فلا يخفى عليه شيء، سواء كان ممّا مضى أو ممّا يأتى، وسواء كان مكشوفاً لغيره أو مستوراً عنه. ويرتبط هذا التوصيف بمقام الإنفاق، فإنّ الإنفاق تارةً يكون علناً وأخرى سرّاً، فهو على كلا قسميه يعلمه اللَّه ويجازى عليه.

السادس: إنّه وصف نفسه سبحانه، بأنّه (العزيز الحكيم) فإنّ له

[۱] قال العلّامة الطباطبائى: «المراد بإقراض اللَّه، الإنفاق فى سبيله. سمّاه اللَّه إقراضاً للَّه وسمّى المال المنفق قرضاً حسناً حثاً وترغيباً لهم فيه» «۱».

[۲] قال الطّبرسى: ««حَلِيمٌ» لا يعاجل العباد بالعقوبة وهذا غاية الكرم» «۲».

---

(۱) الميزان فى تفسير القرآن ۱۹/ ۳۰۹.

(۲) مجمع البيان ۱۰/ ۳۵.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۸

العزّة المطلقة التامّة حيث أنّه لا كفو له، ولا ندّ له، ولا مثيل له، وجميع الخيرات والمنافع تصدّر منه، وهو القاضى لما تحتاج إليه الممكنات فى جميع حالاتها، وذلك كلّه مناط العزّة وله الحكمة البالغة الكاملة، يدبّر شؤون الكلّ ويديرها، ويضع كلّ شيء موضعه، ويعطى لكلّ ذى حقّ حقّه، ويهيىء الأسباب المناسبة لمسبباتها، كلّ ذلك بكمال الإتقان والنّظم الدّقيق. ويرتبط الوصفان أيضاً بمقام الإنفاق حيث إنّ ترتيب الآثار النّافعة، والخواصّ الخيرية على الإنفاق زائداً على الأمر به، تتميماً لدعوة الأمر، حيث إنّ غالب النّفوس البشرية إذا عرفت خاصيّة الشيء اشتاقت إليه وعملت به، بخلاف مالو كان هناك مجرّد الأمر به، فربما لم ينبعث، وربما توانى فى

العمل به، ولقد ذكر الشيخ الرئيس: إنّ المثوبات الموعودة فى الأوامر الشرعية، هى بمقتضى الحكمة تتميماً لدعوتهما وتكميلًا لباعثيتها فى غالب النفوس البشرية [۱]، هذا وآخر دعوانا، أن الحمد للّه ربّ العالمين.

[۱] قال الشيخ الرئيس ابن سينا: المثوبات الموعودة فى الأوامر الشرعية تتميم لداعويتها وتكميل لباعثيتها «۱».

قال المراغى: «خلاصة ما حوته السورة.

---

(۱) الشفاء: ۱۸۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۲۹

(۱) صفات اللّه الحسنى.

(۲) إنذار المشركين بذكر ما حلّ بمن قبلهم من الأمم مع بيان السبب فيما نالهم من ذلك.

(۳) إنكار المشركين للبعث.

(۴) بيان أن ما يحدث فى الكون، فهو بأمر اللّه وتقديره.

(۵) تسلية الرّسول صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، بأنّه لا يضرّه إصرارهم على الكفر.

(۶) إنّ من الأزواج والأولاد أعداء للمرء.

(۷) الأموال والأولاد فتنة وابتلاء.

(۸) الحثّ على التّقوى والإنفاق فى سبيل اللّه «۱».

هذا آخر ما كتبناه فى التعليق على سورتى الجمعة والتغابن، فى يوم ولادة سيّد الوصيين أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه أفضل الصّلاة والسّلام سنة ۱۴۰۱ هجرية فى مكتبة سيدى الوالد رضوان اللّه عليه وقدّس سرّه، فى مشهد إمامنا الرّضا عليه آلاف التّحية والثّناء.

السيد محمّد علىّ الحسينىّ الميلانى

---

(۱) تفسير المراغى ۲۸/ ۱۳۲.

سلسلة النقد والتحقيق، ج۳، ص: ۲۳۰

الكتاب القادم ...: ص: ۲۳۰

الهداية

فى كون الشهادة بالولاية فى الأذان والإقامة

جزءٌ كسائر الأجزاء

من بحوث

آية اللّه العظمى الشيخ عبدالنبى العراقى

تقرير

العلّامة الشيخ محمّد حسين آل طاهر الخمينى

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹